

حيوية تاريخ الفكر الإسلامي

ومقارنته بتاريخ الفكر الأوروبي

أ.م.د/ محمد حسين الصافي

حيوية تاريخ الفكر الإسلامي

ومقارنته بتاريخ الفكر الأوروبي

أ.م.د/ محمد حسين الصافي

الكتاب: حيوية تاريخ الفكر الإسلامي ومقارنته بتاريخ الفكر الأوروبي.

المؤلف: أ.م.د. محمد حسين الصافي.

malsafi١٩@gmail.com

٠٠٩٦٧ ٧١١١٢٨٩٨٥

الطبعة: الأولى. صنعاء.٢٠٢٣م.

تنسيق: الياسمين للطباعة والإعلان–صنعاء الدائري– ت٧٧٤٥٢٧٤١٠

رقم الإيداع: ٤٧٩ /٢٠٢١م

الناشر: مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث.فرع صنعاء. ش صنعاء،الستين الغربي. ت ٧٧٩٢٦٠٩٢٨/٧١٥١٠١٣٣١.



صورة الغلاف: النخلة رمز الإسلام والبحر رمز العلم. والإسلام والعلم قرينان لا يفترقان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى سيدي رسول الله

اهدي هذا الكتاب المتواضع، مع أفضل الصلاة وأجمل السلام عليه وعلى آله وذريته وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم إلى يوم الدين.

"إن أمتي لا تجتمع على ضلالة. فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم"(١)

"يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"(٢)

---

(١) رواه ابن ماجة، محمد بن يزيد (ت٢٧٣هـ): سنن ابن ماجة، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب، القاهرة، (د.ت)، ج٢ص ٣٠٣؛ ورواه الحاكم في المستدرك بلفظ قريب، الحاكم، أبو عبد الله محمد النيسابوري (ت٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ج١ص٢٠١.

(٢) رواه الطبراني، سليمان بن احمد الشامي (ت٣٦٠هـ)، مسند الشاميين، تحقيق/ حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م، ج١ص٣٤٣.

الفهرس

زارني للبيت أحد طلابي القدماء، كان من الطلاب النجباء وذو ثقافة عالية سررت بزيارته.

وتحدثنا في مواضيع متعددة؛ ولمست منه قراءاته الموسوعية ثم سألني ما العمل أمام هذا الطوفان من التيارات الفكرية المتناقضة. كان آمن بنظرية التطور ثم عندما تعمق فيها عرف عوارها، قرأ الكثير. يكاد الشاب لم يترك تيارا إلا وقرأ فيه. قلت له في لبنان نكتة تقول: انه في الخمسينات والستينات من لم يكن ماركسيا يكون حمارا، وفي الثمانينات والتسعينات من كان ماركسيا يكون حمارا. المعنى أن الإنسان كل يوم يتطور ويتغير وتتوسع مداركه وقناعاته. ونصحته أن يقرأ بعين المراقب وليس بعين المتلبس.

هذه الجلسة الجميلة مع أحد الطلاب الأذكياء لفتت نظري إلى صناعة الفوضى التي تمارس علينا. صناعة الفوضى ليس فقط في مجال السياسة والتي تسمى الفوضى الخلاقة، ولكن أيضا في مجال الفكر. هناك عشرات المراكز والمفكرين إن لم يكن المئات الذين يُمولون من جهات مشبوهة يصدرون مئات الدراسات والأبحاث عن التراث والفكر والتاريخ والدين. لتجد نفسك تقف أمام فوضى فكرية متعمدة هدفها تنفيذ سياسة فرق تسد، تشتت الشباب عن وحدة التصور والوعي والفكر. وتمارس كل أنواع التمزق في السياسة والمجتمع والفكر. وتنفذ سياسة النقض. نقض كل شيء والتشكيك في كل شيء. وليس ذلك فقط بل عمل برامج منتظمة في قنوات فضائية لا شغل لها إلا التشكيك في كل قضية وموضوع إسلامي مستخدمين قراءات مغلوطة للتاريخ والفكر الإسلامي.

وزاد الطين بله أن نظام المدارس والجامعات لا يسمح بالأبوة الفكرية والروحية. فلا يوجد أب فكري ولا أبناء، الكل يأخذ من الكل والكل يعطي للكل، فتضيع القدوة ويضيع الاتجاه في بحر متلاطم من التيارات المتلاطمة.

مقدمة:

أقام الإسلام حضارة عالمية، ذلك قول متفق عليه بين المؤرخين، لكن هل لازالت حضارته قائمة؟ وكيف هي حالها؟ وإذا كان أهم سمات الحضارة هي علومها وثقافتها وهويتها ومنهجها، فإن بقاء هذا يعني بقاء هذه الحضارة. ولكننا نلاحظ أن أهم رمز من رموز هذه الحضارة وهو المسجد يغزو كل بقاع الأرض تقريبا، كذلك فقه التعاملات المالية الإسلامية يغزو المؤسسات المالية العالمية وبنوكها. وعلى ذلك نستطيع القول إن هذه الحضارة ليست فقط لازالت قائمة بل هي تغزو وتقدم بديل حقيقي للحضارة المادية القائمة، بديل في الفكر والسلوك والتعاملات، ولازال الإسلام بشهادة تقارير مراكز الأبحاث الغربية أكثر الأديان سرعة في الانتشار. وبهذا يتحول السؤال من: هل الحضارة الإسلامية قائمة؟ إلى: كيف استطاعت هذه الحضارة البقاء طيلة هذه المدة رغم كل التحديات التي واجهتها، وأخطرها تحدي الحضارة الغربية، من الاستعمار بالسلاح إلى الفضائيات والشركات العالمية؟ وما هي خصائصها؟ وما السر فيها؟ ذلك ما سوف يحاول هذا الكتاب المتواضع الإجابة عليه، مع الإشارة إلى أهمية التفرقة بين الحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية، وهو اللبس الذي يعاني منه بعض الشباب.

لكن المسلمون يعانون اليوم من خطرين كبيرين أولهما الغزو الفكري وتبعاته من تبعية اقتصادية وسياسية[1]. وثانيهما أمراض حب الدنيا والصراع

---

(١) والعكس صحيح أيضا فالتبعية الاقتصادية أو السياسية تؤدي إلى التبعية الفكرية.

عليها وان كان أحيانا هذا الصراع يأخذ شكل شعارات دينية ووطنية. والفساد المستشري هو مجرد شكل من أشكال حب الدنيا، ولا نستطيع علاج هذين المرضين ومواجهتهما إلا من خلال علم الكلام وعلم التزكية. وهما للأسف العلمان المغيبان من واقع الأمة التعليمي والتربوي. وهو تغييب عن قصد وتعمد لتجريد الأمة من وسائل الدفاع عن نفسها.

ومعركة الوعي من أهم المعارك التي تخوضها الأمة اليوم، وبالأخص معركة الوعي لتغيير القيم والمفاهيم والسلوك[1]. أو ما يسمى حروب القيم المختلفة التي تستهدف الأعمدة الإيمانية والفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية للأمة الإسلامية. تلك الحروب القيمية والمفاهيمية والسلوكية والتربوية التي تهجم على الأمة الإسلامية من كل جانب وعلى كافة الأصعدة والمجالات. لفرض قيم هدامة وخطيرة وهي قيم الاستهلاك وقيم المتعة والمنفعة أو السخافة مثل أغاني الراب الأمريكي. وما يستتبع ذلك من التبعية الفكرية وفقدان الهوية. وكل ذلك تحت شعار التطور والتقدم ومواكبة العصر.

كذلك محاولة استبدال الإسلام بإسلام آخر؛ ليصبح جماعات إسلامية متباينة ومتعارضة، من الصراعات الطائفية إلى غيرها من مسميات الصراع والضرار. جماعات بعضها لا يتفق إلا على شيء واحد وهو رضا الغرب والسير مع قيمه التي يصفونها بـ "الإنسانية" في سياق "العولمة" المزعومة؛ فمن الإسلام السياسي الذي قد يكون بمعنى إسلام أمريكي أو إسلام ليبرالي يقبل بكل القيم

---

(١) تغيير القيم مثل القبول بالنظام البنكي والربا، وتغيير المفاهيم مثل الفتن الطائفية بين السنة والشيعة، وتغيير السلوك مثل قضية الحجاب على سبيل المثال.

السياسية والاقتصادية الغربية وبالبنك الدولي والحزبية المدمرة للمجتمعات، إلى الإسلام المتعصب المتشدد المكفر لما سواه من الفرق الإسلامية، وهكذا في سلسلة لا تنتهي لتحويل الإسلام إلى مسخ مشوه لا يحمل من الإسلام الحق إلا اسمه ومن قيمه السامقة إلا رسمه.[1]

والوعي الصحيح يبدأ بالوعي التاريخي والذي يؤدي بنا إلى الوعي بالحاضر ومعرفة توجهات المستقبل. بل: "إنَّ التراثَ هو الروضة اليانعة التي تحرِّك العقل والوجدان، وهو القوَّةُ الكامنة حول تحرير الفكر الإنساني الحقيقي في كلِّ العصور".[2] ولهذا فإن هدف هذا الكتاب هو تصحيح الوعي بالتاريخ الإسلامي وحيويته المستمرة.

وأهمية الوعي بما يبنى عليه من الفعل والسلوك بكل أشكاله، وللأسف فإن العدو الخارجي[3] يعرف هذه الحقيقة ويعمل عليها فتمكن من خلال الإعلام والجماعات التي أنشأها ومولها بكل أشكالها من أن يشوه الوعي لدى الكثير، وأن يبث العداوة والبغضاء والصراع بين أفراد الأمة وجماعاتها، في حين كانت

---

(١) أنظر: الأمة في معركة تغيير القيم والمفاهيم، التقرير الاستراتيجي السنوي لمجلة البيان، العدد الثامن ١٤٣٢هـ،٢٠١١م.

http://www.arab-center.org/index.php?option=com_content&view=article&id=١٨٥:takrer٨&catid=٣٠:strategic-report-&Itemid=٥٧

(٢) مستجاب، محمد: تراث يوسف زيدان ،جريدة أخبار الأدب، القاهرة، ١٩٩٤/١٢/٢٥.

(٣) المقصود بالعدو الخارجي هو من اسماه روجيه جارودي: الحاخامية الجهولة، اي اللوبي الصهيوني اليهودي.

رسالة الأنبياء والرسل ومن ورثهم من العلماء والأولياء نشر الوعي السليم والمحبة والتسامح والود مع خلق الله ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على ما تحابون به؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: أفشوا السلام بينكم).

لكن "بدلا من أن يتم تقديم الإسلام على أنه دين الحب والعدل والحق والجمال والتسامح والبناء والتحضر والسلام والخير، دين يهدي الناس جميعاً إلى الأفضل والأحسن"[2]، إسلام الإيثار والإخوة وجمع الكلمة وتوحيد الصف وعدم التنازع ومحبة الخلق لأجل الخالق، بدلا عن ذلك انحصر عمل بعض الجماعات على افتعال الصراعات السياسية والفتن والأزمات المتسببة في القتل والشك والتناحر والخصومة والبلبلة والإرجاف، بل وحتى التكفير والتشكيك في إيمان المسلمين، واتخذوا السيف شعاراً. وتم تسمية فترة الاستعمار بعصر النهضة، وفترة الغزو الثقافي والغيبوبة الفكرية بعصر الصحوة، فقلبت المفاهيم وزيف الوعي، وأخرجت المدرسة من حضن المسجد إلى مبنى لا مسجد فيه ولا تقام فيه صلاة، ولا يعلم فيه علوم الإحسان والتزكية والتربية النبوية. فتخرجت أجيال لا تحسن حتى قراءة القرآن، وأخرى تحفظ القرآن بلا تخلق به أو تزكية وبمفاهيم التكفير والتبديع.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ): الأدب المفرد، تحقيق محمد ناصر الالباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص٢٧٧؛ الطبراني: مسند الشاميين رقم ١٧٢.

(٢) عبد الله، يسري عبد الغني: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والابحاث، بيروت، المجلد١٥ ،العدد٥٨، ٢٠٠٨، ،ص٥٢.

ووحدة دراسة التاريخ من المنظور الإسلامي ليست فقط الدولة كما هي عند هيجل[(1)] Hegel (١٧٧٠-١٨٣١م) ولا الحضارة كما هي عند توينبي Arnold Joseph Toynbee[(2)] (١٨٨٩- ١٩٧٣م) واسوالد شبنجلر[(3)] Oswald Spengler (١٨٨٠-١٩٣٦) ولكن الأنبياء والرسل والأولياء ودورهم الحقيقي في حركة الشعوب والمجتمعات، فالتاريخ الحقيقي هو معرفة النبي ومجتمعه أو معرفة العِالم الولي الرباني ومجتمعه. أما اقتصار دراسة التاريخ على الملوك وأحوالهم السياسية وغيرها أو الحياة الاقتصادية فقط، فهو تزييف في فهم التاريخ وحقيقة عوامله المحركة. وهذا لا يعني بالطبع عدم دراسة أحوال الملوك والدول. ولكن التاريخ الحقيقي ليس في بلاط الملك بل في أحوال الشعوب ومن يؤثر فيهم؛ بكافة العوامل وكل أبعادها المادية والروحية.

والحقيقة أن المناهج الغربية جميعها لا تصلح لدراسة التاريخ الإسلامي، فقضايا ومواضيع مثل الوحي والملائكة والجن والشيطان والمعجزات والكرامات،

---

(١) هيجل: ولد في ١٧٨٧ في مدينة شتوت جارد الألمانية، درس الفلسفة واللاهوت ثم ركز دراسته أكثر في أعلام التصوف الألمان، عمل مدرسا خصوصيا، ثم مدرسا في جامعة بيل ثم في جامعة هيدلبرج وجامعة برلين، يعد أعظم الفلاسفة الألمان في عصره. (بدوي، عبد الرحمن: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت١٩٨٤م، ج٢ص٥٧٤).

(٢) توينبي، ارنولد: مؤرخ انجليزي له العديد من المؤلفات منها تاريخ الحضارة الهلينية ومحاكمة الحضارة وغيرها، لكن أهمها كتابه : دراسة للتاريخ.(الشيخ، رأفت: تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة٢٠٠٠،ص١٩٣-١٩٥).

(٣) اسوالد شبنجلر: مؤرخ ومفكر ألماني، عاش حياة في غاية من العزلة فترة طويلة من حياته، أشهر كتبة تهور الحضارة الغربية، والذي سبب ضجة كبير في أوروبا آنذاك. (بدوي، عبد الرحمن: اشبنجلر، دار القلم، بيروت ١٩٨٢، ص٣ وما بعدها).

لا تستطيع هذه المناهج الغربية التعامل معها، سواء نفياً أو إثباتاً. بينما المصادر الإسلامية الصحيحة تثبت أهمية العامل الغيبي، وتدخل قوى الغيب في المسار التاريخي، سواء إيجابياً (خيراً) أو سلبياً (شراً) كما حدث في غزوة بدر ودور الشيطان فيها على سبيل المثال.

إذن إذا أردنا أن نفهم حقيقة التاريخ الإسلامي فعلينا ألا نستبعد كافة العوامل الصانعة للتاريخ بما فيها العامل الغيبي، والتي تثبت المصادر التاريخية الصحيحة وجوده وتدخله وأهميته. ولا يؤدي استبعاده إلا إلى فهم ناقص ومشوه للتاريخ الإسلامي. مع الحذر من القبول المطلق لكل الروايات التاريخية، كما هو معلوم في منهج البحث التاريخي.

وتاريخ الفكر الإسلامي هو روح التاريخ الإسلامي وخاصة التاريخ الروحي منه، والمؤثر والموجه لكثير من أحداث التاريخ، ولا يتضح خطورة الفكر وأهميته كما يتضح في تاريخ المسلمين. في قيام دولهم وفي جهادهم واقتصادهم وحياتهم الاجتماعية ونزاعاتهم وتفوقهم وضعفهم، فالفكر الإيماني والحياة الروحية هي سر قوة المسلمين وهي سر ضعفهم وكثير من أهم المخاطر التي واجهت الأمة كانت فكرية، ابتداءً من حركة الردة وانتهاءً إلى الغزو الفكري المعاصر.

ويحكي لنا تاريخ المسلمين الفكري أن حياتهم العلمية والفكرية لم ترتبط بالتقدم السياسي ورقي الدول وازدهارها، فرغم انحطاط الأوضاع السياسية والفوضى الداخلية والاضطرابات يستمر ظهور نوابغ وعباقرة الفكر والتجديد والإصلاح والحركة العلمية، ففي أواخر القرن السابع الهجري – على سبيل المثال– بعد سقوط بغداد عاصمة المسلمين ودار الخلافة علي يد التتار الذين

حطموا شرق العالم الإسلامي، فبعد كل هذا الدمار والفوضى يظهر في الحضارة الإسلامية نوابغ العلماء أمثال تقي الدين بن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ)(١) محدثاً، والعلامة علاء الدين الباجي (ت٧١٤هـ)(٢) أصولياً ومتكلماً، وبهاء الدين النقشبندي (ت٧٩١هـ)(٣) مربياً ومعلماً، وغيرهم الكثير.(٤)

تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه(٥):" ان هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من اللا شيء لهي ظاهرة

(١) ابن دقيق العيد: (٦٢٥ - ٧٠٢ هـ /١٢٢٨ - ١٣٠٢ م) محمد بن علي بن، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد له العديد من المؤلفات منها: إحكام الأحكام، وأصول الدين وغيرها. (العسقلاني، ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق/ محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعرف العثمانية، حيدر آباد ١٩٧٢م، ج١ص٩٤؛ الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين ط٥، بيروت١٩٨٠م، ج٦ص٢٨٣).

(٢) الباجي (٦٣١ - ٧١٤ هـ / ١٢٣٤ - ١٣١٥ م) علي بن محمد، علاء الدين الباجي: عالم بالأصول والمنطق والحساب. فاق أهل زمانه في المناظرة، وتقشف في أواخر حياته. له كتب في الفرائض والحساب والرد على اليهود وأشهر كتبه: كشف الحقائق، قي المنطق، وغاية السول في علم الأصول (ابن حجر: الدرر الكامنة ٣/ ١٠١؛ الزركلي: الأعلام، ٤/٣٣٤).

(٣) محمد بهاء الدين النقشبندي البخاري: ولد قرب بخارى عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م، م، من العلماء الربانيين، مؤسس الطريقة النقشبندية في التزكية والسلوك. وهي طريقة تقوم على الذكر القلبي الخفي. (انظر: محمد احمد درنيقة: الطريقة النقشبندية وأعلامها، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ٢٠٠٩، ص٢١ وما بعدها).

(٤) الندوي، أبو الحسن علي : رجال الفكر والدعوة في الإسلام، تعريب: سلمان الحسيني الندوي، دار القلم، دمشق٢٠٠٢م، ج٤ص٤٦؛ وعن أعلام هذا القرن انظر على سبيل المثال : ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

(٥) هونكه، زيغريد: شمس العرب تستطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص ٣٣٤. زيغريد هونكه: (١٩١٣ - ١٩٩٩م) مستشرقة ألمانية في مجال الدراسات الدينية، حصلت على شهادة الدكتوراه عام ١٩٤١. عرف عنها إنصافها للإسلام وتاريخه. من أهم كتبها شمس العرب تستطع على الغرب، (هونكه: شمس العرب تستطع على الغرب، ٧،٨).

جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني. وان انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا هنا أن نقف متأملين. كيف حدث هذا؟ "

وتقول أيضا[١]:" لم يعمل العرب على إنقاذ تراث اليونان من الضياع والنسيان فقط، وهو الفضل الوحيد الذي جرت العادة الاعتراف به لهم حتى الآن، ولم يقوموا بمجرَّد عرضه وتنظيمه وتزويده بالمعارف الخاصة، ومن ثَمَّ إيصاله إلى أوروبا بحيث إن عددًا لا يحصى من الكتب التعليمية العربية حتى القرنين (١٦- ١٧) قدمت للجامعات أفضل مادة معرفية، فقد كانوا -وهذا أمر قلما يخطر على بال الأوربيين- المؤسِّسين للكيمياء والفيزياء التطبيقية والجبر والحساب بالمفهوم المعاصر، وعلم المثلثات الكروي، وعلم طبقات الأرض، وعلم الاجتماع، وعلم الكلام".

لكن يبرز أمامنا سؤال مهم وهو ما هي العوامل المسببة لحالة الانحطاط التي يعيش فيها المسلمون اليوم؟ والجواب أن هناك عاملين رئيسيين، الأول: عامل ذاتي داخلي، والثاني: عامل خارجي. العامل الذاتي ويتمثل في الخواء النفسي والانحطاط المعنوي والتهافت على الدنيا وحبها وعبادة البطن والشهوات وتفشي أمراض القلب من حقد وحسد وبغضاء وعجب وغيرها من المهلكات التي هي في حقيقتها عبادة للذات وليس لرب العباد. والعامل الآخر وهو الخارجي يتمثل في تسلط الغرب الاستعماري الذي تحركه الأيادي اليهودية على المقدرات

(١) ويكيبيديا، هونكه، زيغريد.

الاقتصادية وموارد المسلمين وفي الغزو الفكري والثقافي وفي الهيمنة السياسية وفرض أجندة ليست من صالح المسلمين. مستخدماً في ذلك جيوشاً من العملاء والمستغربين وحتى من الإسلاميين، ومنظمات وجمعيات دولية، وشبكات عالمية من الإعلام البراق.

وسؤال آخر أيضا: هل تاريخنا العلمي والفكري مشرف، بينما تاريخنا السياسي اسود؟ كما يقول أحدهم. الحقيقة أنه حتى تاريخنا السياسي فيه الأسود وفيه الأبيض. لأن هؤلاء الحكام في كثير من الأحيان أقاموا دول وفتحوا دول وشجعوا العلم والعلماء ونشروا الإسلام ودافعوا عنه. السؤال كيف نستفيد من دروس التاريخ؟ إذ بالفعل معظم الدماء التي سفكت بين المسلمين كانت بسبب الصراع على السلطة. ولهذا كان كثير من حكماء هذه الأمة يتجنبون السياسة خوفا على دينهم وحفاظا على دماء المسلمين. كما فعل الإمام الحسن بن علي والفقيه المقدم الذي أسس مدرسة حضرموت التي نشرت الإسلام في الهند وآسيا وأفريقيا ولازالت. وكما فعل الامام النورسي الذي قال: اعوذ بالله من الشيطان والسياسة. فحافظ على الإيمان في وجه موجات الإلحاد.

إن ترك السياسة هو موقف سياسي يدل على الورع والفرار بالدين من المجازفات في زمن الهرج أي القتل.

نشأة الفكر الإسلامي ،النبي وظهور علوم الاسلام:

كانت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم برسالة الله إلى عباده ثورة النور على الظلام، والعلم والمعرفة على الجهل والأمية الفكرية، فانبثقت كل العلوم تنهل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وتركزت في المحاور الأربعة التي حددها الكتاب الكريم: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" آل عمران (١٦٤)، ولهذا استندت الحضارة والفكر الإسلامي على هذه المحاور الأربعة: التلاوة والتزكية والكتاب والحكمة.

ومع جيل التابعين وتابع التابعين بدأت التخصصات وأخذ طلاب العلم النبوي يتخصصون أكثر في فنون علميه معينة، فبرزت المدارس العلمية والفكرية المختلفة، فمنهم من تخصص بقراءة القرآن وعلومه، ومنهم من تخصص بالحديث الشريف وفروعه من علوم الجرح والتعديل والتراجم والسيرة والأنساب. ومنهم من تخصص في الفقه والأحكام (أحكام الجوارح) ومنهم من تخصص في التزكية والتربية الروحية والسلوك (أحكام القلوب) الذي سمي بالتصوف، ومنهم من تخصص بعلم اللغة وهكذا.[(١)] لكن هذا التخصص ليس بالمفهوم الأكاديمي المعاصر، بل كان علماء الاسلام علماء موسوعيين، فيكون أحدهم فقيها ومحدثا وأصوليا وصوفيا ولغويا وهكذا، ولكن كان يغلب على أحدهم فنا معينا فيوصف به.[(٢)] وعلى ذلك نوضح

(١) الطوسي، أبي نصر عبدالله السراج (ت٣٧٨هـ): اللمع في التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت٢٠١٠، ص١٣-٢٠.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الخزرجي، علي بن الحسن بن وهاس(ت٨١٢هـ): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية،(د.ن)، القاهرة١٩١٤م،ج١/ ص٢٤٩؛ الشرجي، أبي العباس أحمد بن أحمد (ت ٨٩٣هـ) : طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦م: ١٧٢- ١٧٦، ٢٩٠، ٣٢٩، ٣٩٨، ٥٤- ٥٦ ؛: البريهي، عبدالوهاب بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ): طبقات صلحاء اليمن، تحقيق/ عبد الله الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء١٩٩٤م، ٢٣، ٢٤، ٦٧، ٦٨، ١٦٩

أن المقصود بالفكر الإسلامي هو فهم المسلمون للنصوص الشرعية والحفاظ عليها والعمل بها.

علوم القرآن وقضية البدعة:

وهي علوم التلاوات والتفسير والقراءات، والقرآن متواتر بين الأمة إلا أن الصحابة رضي الله عنهم رووه عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، واشتهر من ذلك سبع طرق معينة تواترت أيضاً بأدائها، وزادت قراءات أخرى حتى وصلت إلى العشر القراءات لكن بسند أقل قوة. ولا زال القراء يتداولون هذه القراءات ورواياتها حتى كتبت العلوم ودونت وصارت علماً مكتوباً، أما التفسير فإن القرآن الكريم نزل بلغة العرب مواكباً ومعاصراً للأحداث فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه مفرداً ومركباً وكان رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يبين لهم المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ. ثم تداول هذا العلم إلى التابعين ثم إلى من بعدهم حتى دونت الكتب ووصلت إلى أمثال الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ)[١] والواقدي[٢]

---

(١) ابن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ / ٨٣٩ – ٩٢٣ م) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له الكثير من المؤلفات منها أخبار الرسل والملوك يعرف بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن يعرف بتفسير الطبري، و (القرآت) وغير ذلك. ويعد من ثقات المؤرخين، وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. (الزركلي: الأعلام،٦/٦٩).

(٢) الواقدي (١٣٠ – ٢٠٧ هـ / ٧٤٧ – ٨٢٣ م) محمد بن السهمي، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة، وانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ، في أيام الرشيد، له العديد من المؤلفات التي تنسب إليه منها: كتاب المغازي، وكتاب الطبقات. (الزركلي: الأعلام،٦/٣١١).

وأمثالهما[(١)]. وفي خدمة القران الكريم وبيان إعجازه وحفاظا عليه نشأت علوم اللغة العربية، نحو وصرف وبلاغة[(٢)].

وموضوع جمع القرآن يلقي ضوء على قضية البدعة، إذ أن النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يجمع القرآن ولكن الذي قام بجمعه هو الخليفة ابوبكر الصديق رضي الله عنه عندما أخبره عمر ان حملة القرآن يقتلون في معارك الجهاد[٣]. وهذا الموضوع يوضح معنى كلمة البدعة، فليس كل ما لم يفعله النبي هو بدعة، وهي الحجة التي يتخذها البعض لتبديع وتكفير المسلمين. فالتعريف الصحيح للبدعة هو ما ليس له أصل في الدين أو ما خالف نص شرعي[٤].

علوم الحديث وهجوم المستشرقين:

وكذلك نشأت علوم الحديث وهو العلم الذي يتعلق بحديث رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، إسناداً ومتناً وتصحيحاً وتحسيناً وتضعيفا بمنهجية دقيقة جدا وحرص عالي[(٥)]. ولذلك يقول ابن المبارك[٦]:" الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ،

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن (ت٨٠٨هـ): المقدمة، دار القلم ط٤، القاهرة ١٩٨١، ص٤٣٧ .

(٢) أمين، احمد: ظهر الإسلام، بيروت (د.ن. د.ت)، ج١ص١٢.

٣) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١هـ) : الاتقان في علوم القرآن، تحقيق/ محمود أحمد قيسية و محمد اشرف الاتاسي، مؤسسة النداء، ابوظبي ٢٠٠٣م،ص٢٧١،

٤) ينظر على سبيل المثال: ابن رجب، زين الدين عبدالرحمن الحنبلي (ت٧٩٥هـ): جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا، ط٢، تحقيق/ محمد الاحمدي أبو النور، الناشر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤٢٤هـ، ج٢ص٧٨١.

(٥) العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي (ت١٤٤٩م): هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإسكندرية، (د.ن. د.ت)، ص ٢٢ -٢٥.

٦) مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق/ محمد فؤاد، دار احياء التراث العربي، بيروت (د ت) ج١ص١٠.

وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ". وبدأ تدوين الحديث منذ عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لحديث عبدالله بن عمر الذي قَالَ :"كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا :أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ، فَقَال: اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ" [١]، حتى كانت المائة الثانية للهجرة بدأ التدوين المنهجي[(٢)]، واظهر كتاب "صحيفة همام بن منبه" للدكتور حميد الله الحيدر آبادي الهندي أن عملية جمع الحديث وتدوينه قد بدأت في عهد النبوة ذاته، ودامت مستمرة حتى عهد أصحاب السنن والصحاح، ولم تتخللها فجوة زمنية[(٣)]. حيث قام بجمع الحديث ابن شهاب بناء على أمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز. ثم قام جماعة من العلماء بجمع الحديث على أبواب[٤]. لكن الامام البخاري كان اول من وضع كتاب للصحيح فقط بحسب منهجية دقيقة محددة ليصبح أصح كتاب بعد القران عند أهل السنة والجماعة.

---

١) أبو داوود، سليمان بن الاشعث (ت٢٧٥هـ): سنن ابي داوود، تحقيق/ محمد محي الدين، المكتبة العصري، صيدا- بيروت،(د ت)، ج٣ص٣١٨ حديث رقم ٣٦٤٦.

(٢) سالمان، توفيق أحمد عبدالغني: المنهل الحديث في علوم الحديث، مطبعة الفجر الجديد ط١، القاهرة ١٩٩١، ص١١-١٥.

(٣) الندوي، أبو الحسن علي: حول الاستشراق والمستشرقين، دار ابن كثير، بيروت ٢٠٠٢م، ص٤٧.

٤) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١هـ): ألفية السيوطي في علم الحديث، او نظم الدرر في علم الأثر، دار ابن حزم بيروت ٢٠٠٤م، ص٦ وما بعدها.

وارتبط بظهور علم الحديث علوم أخرى مرتبطة به ارتباطا كبيراً وتعد من العلوم المساعدة له مثل علم التاريخ والسيرة والتراجم والطبقات وعلم الأنساب، الذي اعتنى به العرب عناية خاصة فكانت أنساب الأشراف والقبائل العربية صريحة واضحة موثقة، وعلم الحديث له أهمية كبيرة كون حديث النبي وسنته المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم ولهذا اعتنى به المسلمون عناية خاصة، واهتموا به اهتماماً كبيراً، حتى عد مما ميز الله به أمة الإسلام عن الأمم الأخرى. إذ لا نظير لعلم الحديث عند أمم العالم كافة. وجدير بالتسجيل أن علم الحديث تمكن من الحفاظ على حديث النبي ومواجهة الوضاعين من الزنادقة وأرباب الأهواء والبدع والشعوبيين والمتملقين للحكام والمنافقون المنتحلون للعلم عن غير حقيقة.(١) وللأسف يواجه اليوم علم الحديث حملة شعواء للحط منه والتشكيك فيه كجزء من حملة تزييف الوعي ونقض الدين.(٢) وكان أول من بدأ في التشكيك في علم الحديث وبالذات في البخاري المستشرق اليهودي جولد تسهير. وتبعه بعد ذلك جمع من المستشرقين أمثال شاخت وجوينبول وتلاميذهم من العرب٣. ثم من يسمون أنفسهم بالقرآنيين. والحقيقة ان السنة وعلم الحديث هو الشرح العملي والتفصيلي لمجمل القرآن الكريم. فالقرآن لم يبين كيفية الصلاة

(١) بليق، عزالدين: منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين،(د.ن)، بيروت١٩٧٨،ص٣٢.

(٢) ينظر: بلقزيز، عبد الإله: نقد التراث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٤م، ص ٢٧٦.

٣) ينظر على سبيل المثال: أمين عمر محمد: المنطلقات الفكرية والعقدية لمدارس الطعن في الصحيحين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، (ب ت، ب م)؛ حلاق، وائل: تاريخ النظريات الفقهية في الإسلام، ترجمة أحمد موصللي، الناشر: دار المدار الإسلامي، بيروت ٢٠٠٧م، ص ١٩.

ولا مقدار الزكاة وهكذا. ومحاربة الحديث والسنة هو محاربة للقرآن الكريم نفسه. كما أن الرسالة السماوية لم تكن مجرد بلاغ لفظي ينتهي عند الإبلاغ، بل هي عملية إبلاغيه تربوية تعليمية سلوكية متكاملة تتضح في قوله تعالي:" لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ". ١٦٤ آل عمران. وهي عملية مستمرة يقوم بها رجال وراثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[١].

علم الفقه وأصوله وأهمية المذاهب وحيويتها المتجددة:

ثم تخصصت جماعة بالفهم والاستنباط في فقه الحديث والتعمق بدقيق النظر في ترتيب الأحكام وحدود الدين وأصول الشرع وميزوا الناسخ والمنسوخ والأصول من الفروع والخصوص من العموم بالكتاب والسنة والإجماع والقياس[٢].

فعلم الفقه هو علم استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة في أعمال الجوارح من العبادات والمعاملات، ويعرف كذلك بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية. أما المذاهب الفقهية فهي مناهج

---

(١) رواه الطبراني، سليمان بن احمد الشامي (ت٣٦٠هـ)، مسند الشاميين، تحقيق/ حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م، ج١ص٣٤٣.

(٢) السراج: اللمع،١٤ ،١٥.

استنباط هذه الأحكام أو ما يسمى أصول المذهب[1]، ولأن الفقه هو الفهم البشري للنصوص الشرعية كان لابد من وضع ضوابط ومنهج محدد لاستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، ومن هنا تأتي أهمية المذاهب الفقهية كضرورة علمية ما لم فسوف يعني غياب المذاهب فوضى تشريعية وفقهية لا ضابط لها.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن ظهور المذاهب الفقهية ليس دليل ضعف الإسلام ولا يعد ثلمة في الإسلام أو خلل كما يحاول البعض أن يصور ذلك، بل العكس من ذلك تماماً فإن ظهور المذاهب والتنوع الفقهي الفكري دليل على عظمة الإسلام وقدرته على احتواء اختلافات البشر لأن الاختلاف بين البشر طبيعة أساسية والإسلام لديه هذه المساحة الكبيرة لاحتواء كل هذه الاختلافات العقلية والنفسية بين الناس. والتزام المسلمون بهذه المذاهب من عظمة المسلمين وتدينهم الجميل وانضباطهم العجيب لهذه المناهج. في رقعة امتدت من إندونيسيا الى السنغال ومن تنزانيا الى داغستان. كما ظهرت ميزة هذا التعدد الفقهي في قضايا كثيرة منها قضية الصيرفة الإسلامية والبنوك الإسلامية عندما احتاج المسلمون الى فقه يستطيع ان يتخلص من هيمنة البنوك الربوية.

ومن أوائل الخلافات الفقهية التي حدثت بين المسلمين ما حدث في غزوة بني قريظة عندما أذن مؤذن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: (لا

---

(١) زيدان، عبدالكريم : الوجيز في اصول الفقه،(د.ن)، بيروت٢٠١٤م،ص٣٨٥.

يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)[1] فخرج المسلمون سراعاً في السير وزحفوا إلى بني قريظة حتى تداركهم وقت صلاة العصر، فقال فريق منهم نؤدي الصلاة ثم نواصل السير فإنما أراد العزم على الخروج وحتى لا يفوت وقت الصلاة، وقال فريق آخر بل لا نصلي إلا في بني قريظة كما جاء الأمر، وعندما وصلوا إلى بني قريظة أخبر النبي بذلك فلم يعنف أحداً على عمله، وهذه الحادثة تدل على إمكانية اختلاف الفهم البشري للأمر الشرعي، وأن الطرفين على صواب، وعلى ذلك نفهم الخلاف المذهبي، فالنصوص قطعية الدلالة قطعية الثبوت ليس عليها خلاف بين المذاهب، ولكن الخلاف في النصوص التي هي ظنية الثبوت قطعية الدلالة أو قطعية الثبوت ظنية الدلالة، أو ظنية الثبوت ظنية الدلالة.

ولهذا ظهرت المذاهب الفقهية تلبية لحاجة المجتمع المسلم وحلاً لمختلف المسائل التي تمس الناس في أداء فرائض الدين من العبادات والمعاملات ودليلاً على حيوية الإسلام وقوته.

كان ظهور هؤلاء الفقهاء المجتهدين والمشرعين في العصر الإسلامي الأول دليلاً على قدرة هذه الأمة على البقاء والانتشار وقدرتها على مواكبة كل متطلبات الحياة والتغير والتطور، بل كانت هذه المذاهب عاملاً مهماً من عوامل وحدة الأمة الفكرية والعملية حيث كان الاتفاق على الأصول أكبر بكثير من الاختلاف في الفروع. فأمنت هذه المذاهب الأمة من الفوضى التشريعية والفقهية، التي أصيبت بها الأمم والديانات الأخرى حتى انتهى بها الأمر إلى

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ): الجامع المسند الصحيح، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ، ج٥ص١١٢.

الوصول إلى ما يسمى فصل الدين عن السياسة والذي هو الخطوة الأولى الحاسمة إلى الإلحاد والارتداد عن الديانات السماوية [١].

يقول أحد الباحثين[٢]: " لا يقلل من المذاهب الفقهية، ولا يغض من أهميتها العلمية والدينية إلا الذين لم يتيسر لهم الاطلاع عليها، ولا الاتصال بها، ولا التمرس بقواعدها وفروعها فحرموا منها، ومن ثمراتها، وفاتهم بذلك خير كثير؛ وكانوا كالشعوبية الحاقدة على العرب والإسلام معا، هدموا منهما كل شيء، ثم لم يأتوهما بعد ذلك بشيء". [٣]

ويعد أول المذاهب تاريخياً هو مذهب الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٤] (ت١٢٢هـ) وكان عالما مجتهداً ثار ضد هشام بن عبد الملك فقتل، من أهم مؤلفاته: كتاب المجموع. وشرحه السياغي المتوفي سنة (ت١١٢١هـ)[٥] في كتاب: الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير. كذلك من أهم كتب الزيدية: البحر الزخار الجامع لمذهب علماء الأمصار

(١) الندوي: رجال الفكر، ص١٨٦، ١٨٧.

(٢) فيض الله، محمد فوزي: المذاهب الفقهية، دار القلم، دمشق ٢٠٠١م، ص٢٢٨ .

(٣) ينظر أيضا : محمد سعيد رمضان البوطي: اللامذهبية اخطر بدعة، دمشق،(د.ن د.م د.ت).

(٤) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي. ويقال له (زيد الشهيد) من كبار الهاشميين في عصره، قام بثورة ضد هشام بن عبدالملك بعد أن ضيق عليه. ثم استشهد في أحد المعارك مع الأمويين. .(الزركلي: الأعلام،٥٩/٣)

(٥) الحسين بن أحمد السياغي الحيمى ثم الصنعاني ولد سنة ١١٨٠ ونشأ بصنعاء فقرأ على أعيان علمائها، كان زميلا للقاضي محمد بن علي الشوكاني، برع في العلوم الشرعية وصار من أعيان علماء العصر وله العديد من المؤلفات. (الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت (د.ت)،٢٠٤/١).

للإمام أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ)[١] . والفقه الزيدي قريب جداً من الفقه الشافعي حيث يلتقي معه في كثير من الأحكام، وفي الاجتهاد والنظر والاستدلال بصحاح الأحاديث، والعمل بالقياس كلما أعوزت النصوص[٢].

وحقق المذهب انتشاراً واسعاً في إيران (طبرستان والديلم وجيلان) والمغرب (دولة الادارسة) واليمن والحجاز وجنوب بحر الخزر ومصر، حيث امتد وجوده التاريخي لأكثر من ١٠٠٠ عام تقريباً وحتى الوقت المعاصر.

وتميز المذهب بالقول بوجوب الخروج على الإمام الظالم الجائر ولا تجب طاعته والقول بالإمامة لأهل البيت. كذلك تميز بفتح باب الاجتهاد وعدم جواز التقليد للمجتهد. ولهذا اعتبر أكثر المذاهب الإسلامية نماء ومسايرة لتطورات العصور[٣].

ومنهج المذهب في استخراج الأحكام الشرعية يقوم على كتاب الله، ثم سنة رسول الله ثم القياس ومنه الاستحسان والمصالح المرسلة، ثم يجيء بعد ذلك العقل، فما يقر العقل صحته وحسنه يكون حسناً، وما يقر قبحه ينهى عنه[٤]، والجدير بالذكر أن مدرسة آل البيت انقسمت إلى مدرستين: مدرسة الإمام الحسين عليه السلام في الخروج على الحاكم الظالم، أو طلب الحكم لأجل إقامة

---

(١) الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل الامام الكبير المصنف في جميع العلوم ولد بمدينة ذمار سنة ٧٧٥ درس العلوم الشرعية وتبحر فيها واشتهر فضله بويع بالإمامة إلا أنه خاض حروباً ولم تستقر له حتى اعتزلها واعتكف على العلم والتأليف. (الشوكاني: البدر الطالع،١/١١٥).

(٢) فيض الله: المذاهب الفقهية، ١٧٢،١٧١.

(٣) أبو زهرة، محمد: الإمام زيد، القاهرة، (د.ن، د، ت)، ص٥٠٨-٥١٢.

(٤) محمد أبو زهرة: الإمام زيد، ٥٠٩.

الشرع، ومدرسة الإمام الحسن عليه السلام في ترك الحكم منعاً للفتنة وسفك الدماء، والتفرغ للتربية والتعليم والزهد والعبادة.

وقد تميز المذهب الزيدي في اليمن بالتسامح المذهبي، بل والتآخي والبعد عن الفتن وعدم التفرقة المذهبية والتخلي عن الآفة الطائفية بالتعامل مع الآخرين حتى كانت كتب أهل السنة تدرس في مدارس الزيدية العلمية بما يمثل نموذجاً للتعايش المذهبي[١].

ثم يأتي في التسلسل التاريخي مذهب الإمام جعفر الصادق (ت١٤٨هـ)[٢] الذي يعد أول من أسس جامعة إسلامية فقهية جمعت جميع التخصصات من الفقه والأصول وعلم الكلام والتصوف والحديث، وبلغ عدد طلابها ما يقارب أربعة آلاف طالب، وهو عدد كبير في ذلك الزمان، تميزت بكونها غير خاضعة للسلطة أو متأثرة بمطالب الحكام وسياساتهم. بل كانت تعمل على الإصلاح الديني والاجتماعي وتجنب المعترك السياسي المباشر والنأي عن الخصومات التي كانت تعصف بالعالم الإسلامي آنذاك.[٣]

---

(١) قانص، غالب حميد: الفكر التربوي عند الزيدية في اليمن خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، مجلة الثوابت، صنعاء، العدد ٦٧ (يناير – مارس)، ٢٠١٢، ، ص١٦٧-١٦٨.

(٢) جعفر الصادق (٨٠ - ١٤٨ هـ /٦٩٩ - ٧٦٥ م) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، سادس الأئمة الاثنا عشر عند الأمامية. كان من أجلاء آل البيت. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له مواقف مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئا عليهم صداعا بالحق. له رسائل مجموعة في كتاب. (الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م): سير أعلام النبلاء، تحقيق/ بإشراف شعيب الارناؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م، ج٦ص٢٥٥ ،٢٥٦؛ الزركلي: الأعلام، ٢/١٢٦).

(٣) الأنصاري، فاضل : قصة الطوائف،(د.ن)، دمشق٢٠٠٠،ص٥٦،٥٥.

يطلق على مذهبه المذهب الجعفري أو المذهب الاثنا عشري، نسبة إلى قولهم إن الأئمة من آل البيت هم اثنا عشر إماماً، ويستند المذهب إلى القول إن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوصى بالخلافة لعلي بن أبي طالب[1]. وأصول المذهب خمسة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد.[2]

ثم تطور المذهب بأطروحاته حتى وصل إلى مبانيه الفكرية النهائية، ويستند المذهب على الكتاب والسنة وما صح لديهم من روايات عن آل البيت. ويعتبر هذا المذهب أكبر مذاهب الشيعة امتداداً حيث يمتد أتباعه من الهند وباكستان وإيران حتى العراق وتركيا ولبنان وشرق الجزيرة العربية.

ولابد هنا من ذكر توضيح هام للأمام الأكبر شيخ الأزهر عبد الحليم محمود وهو أن الفرق الجوهري والأصلي بين الشيعة الأمامية وبين أهل السنة هو القول بإمامة الأئمة. وما عداه من الفروق هي فروق فرعية كالفروق التي وقعت بين أئمة الاجتهاد كالشافعي والحنفي وغيرهما. فالشيعة يرون قضية الإمامة قضية من أصل العقيدة الإسلامية، بينما يراها أهل السنة أنها قضية مصلحية اجتماعية لا تلحق بالعقيدة[3]. أي أن قضية السياسة من قضايا الفقه الفرعية فالاهتمام الأول للإسلام هو في جوهر النفس الإنسانية وإصلاحها من جميع جوانبها. بينما يرى

---

(١) ينظر: الجندي، عبدالحليم: الإمام جعفر الصادق،(د.ن)، قم١٩٩٥م، ص٢١٩ وما بعدها.

(٢) الشيرازي، محمد الحسيني، آية الله العظمى: منتخب المسائل الإسلامية، لجنة الإمام المهدي للطباعة والنشر والترجمة،١٩٩٩ (د.ن)، ص ٧ -٩.

(٣) محمود، عبد الحليم: التفكير الفلسفي في الإسلام، مطبعة الإيمان، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٥٩، ٩٦ . ينظر أيضاً الدراسة القيمة للشيخ أمين الحداء: فقه الآل بين دعوى الإهمال وتهمة الانتحال،(د.ن) صنعاء، ٢٠١٠م.

الشيعة أن الإمامة أصل من أصول الدين لأنها امتداد للرسالة النبوية. والحق أن موضوع الخلاف السني الشيعي أصبح فرصة لأعداء الاسلام لإثارة هذه النعرات والفتنة والبغضاء التي يُهدف منها تمزيق المسلمين وإضعافهم وأشغالهم بفتنهم وخلافاتهم الداخلية. ولذلك لأبد من الإشارة إلى فتوى شيخ الأزهر الإمام محمود شلتوت بجواز التعبد إلى الله بمذهب الشيعة الاثنا عشرية باعتباره مذهباً إسلامياً كسائر مذاهب أهل السنة وعلى هذه الفتوى سار بقية شيوخ وعلماء الأزهر. أي أن الاثنا عشرية أحد المذاهب الإسلامية.

ويشير الشيخ الدكتور علي جمعة مفتي مصر إلى أن الأمة الإسلامية جنس واحد لا فرق فيه بين سني وشيعي، طالما أن الجميع يصلي صلاة واحدة ويتجه لقبلة واحدة ثم أكد هذه الفتوى العلماء المسلمون في المؤتمر الإسلامي الدولي المنعقد في عمان الأردن عام ٢٠٠٥م[١].

لكن للأسف أصبح هذا المذهب ببعض الجهلاء والمغرضين من الطرفين وسيلة لإثارة النعرات الطائفية والمذهبية بين المسلمين لغرض صرف الصراع من صراع حول القدس وفلسطين المحتلة وبين المسلمون والصهاينة إلى صراع سنة وشيعة تنفيذاً لسياسة فرق تسد الاستعمارية المعتادة. فيتم استنزاف طاقات الأمة في صراع يخدم اليهود ومشروعهم في حكم العالم. وإذا كان التاريخ حكى لنا صراع أحيانا يثور بين الشيعة والحنابلة في بغداد مثلا فإنه سجل لنا أيضا أن الذي كان يقود هذا الصراع من الطرفين هم العيارون الذين كانوا يحرضوا عليه لممارسة السلب والنهب والاستفادة من كل مصادمة تحدث[٢].

---

(١) الحداء: فقه الآل، ٢/ ١٠٥٩.

(٢) طرابيشي، جورج: مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام، دار الساقي، بيروت ١٩٩٨م، ص ٩١.

ثم ظهر من الناحية التاريخية مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت١٥٠ هـ) [١]، كان أصل والده من فارس؛ ويعد أبو حنيفة إمام أهل العراق آنذاك ويسمى مذهبه مذهب أهل الرأي. أخذ الفقه عن جملة من العلماء منهم الإمام زيد بن علي، وكان يقول[٢]:" لولا السنتان لهلك النعمان". أي لولا السنتان التي قضاهما عند آل البيت لهلك. ولهذا نجد ارتباطاً كبيراً بين فرعيات المذهب الحنفي مع المذهب الزيدي.

وأصول المذهب (منهجه) هو الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستحسان، أما الوجود التاريخي للمذهب، فقد حقق انتشاراً في عهد العباسيين والعثمانيين ولازال منتشراً في تركيا وباكستان وأفغانستان والعراق وسوريا ولبنان والأردن[٣].

(١) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الحرير ويطلب العلم في صباه، ثم تفرغ للتدريس والإفتاء. طلبه المنصور العباسي للقضاء ببغداد، فرفض فحبسه إلى أن مات وكان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقا، كريما في أخلاقه، جوادا، حسن المنطق والصورة، وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. له " مسند في الحديث، جمعه تلاميذه، و " المخارج " في الفقه، توفي ببغداد. (الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠، ج٧ص٣١٥؛ الزركلي: الأعلام،٨/٣٦).

(٢) أبو زهرة، محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت)، ،ص٦٨٢.

(٣) فيض الله: المذاهب الفقهية، ٣٩ -٤٢ ؛ فياض، سليمان، الأئمة الأربعة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة ٢٠١١، ص١٣-١٥.

ثم مذهب الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ)[1]، إمام أهل المدينة، أخذ العلم عن جملة من العلماء والتابعين في المدينة المنورة.

كان صابراً مثابراً في طلب العلم حتى باع يوماً سقف خشب بيته في سبيل طلب العلم، وكان يجلس على باب شيخه منتظراً في البرد الشديد.

وكان يقول لتلاميذه ومريديه: "العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع وما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة".

ولهذا لم يكن الإمام مالك مجرد فقيه ومحدث بل كان أيضاً مربياً مسلكا. كان يقول لتلاميذه: "الجدال في الدين ليس بشيء، المراء والجدال في الدين يذهب بنور العلم من قلب العبد، إن الجدال يقسي القلب، ويورث الضغن".

ولم يهتم مالك فقط بالفقه، ولكن أيضاً بالتزكية فقال[2]: "من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق". أي أنه لا ينفع العلم بالفقه الظاهر الخاص بالجوارح دون علم القلب وأحوال النفس وحالها مع الله.

وكان عندما يجلس ليحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتطيب ويلبس ثياباً جديدة ويتعمم ويقعد على منصة بخضوع وخشوع ووقار ويبخر المجلس من أوله إلى أخره بعود أدباً مع المصطفى صلى الله عليه وسلم.

---

(١) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أبو عبد الله، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة مولده ووفاته في المدينة، كان صلبا في دينه بعيدا عن الأمراء والملوك له كتاب الموطأ ورسالة في الوعظ وكتاب المسائل ورسالة في الرد على القدرية وتفسير غريب القرآن. (الذهبي: سير أعلام النبلاء،٤٨/٨).

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد (ت٥٠٥هـ): منهاج العارفين، القاهرة (د.ن. د.ت)، ص٤ ؛ زروق، احمد بن احمد البرنسي المغربي (ت٨٩٩هـ): قواعد التصوف، دار البيروتي، دمشق٢٠٠٤م، ص١٥؛ كسنزاني، محمد عبدالكريم: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه اهل التصوف والعرفان، دار المحبة ،دمشق ٢٠٠٥م، ص٣١.

ويسجل للإمام مالك موقفاً رائعاً عندما عرض عليه هارون الرشيد[1] (ت٨٠٩هـ) فرض مذهبه وكتابه الموطأ حيث قال: "يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة على هذه الأمة. كلٌ يتبع ما صح عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله".

ويتمثل أصول المذهب المالكي(منهجه) في: الكتاب، والسنة، والإجماع، وفتوى الصحابي، وعمل أهل المدينة، ثم القياس، ثم الاستحسان، والاستصحاب، والمصالح المرسلة، والذرائع، والعادات والعرف[2].

ثم ظهر الإمام محمد بن إدريس الشافعي[3] (ت٢٠٤هـ) المطلبي القرشي. طلب العلم في مكة والمدينة واليمن والعراق وغيرها ولم يكتف بالحديث والفقه بل أخذ أيضاً

---

(١) هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣ هـ/ ٧٦٦ - ٨٠٩ م) هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي: خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. ولد بالري، وولاة أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيرين وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار. وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ، وازدهرت الدولة في أيامه. واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسة شارلمان فكان يتهاديان التحف. وكان الرشيد عالما بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحا، له شعر، حازما كريما متواضعا، يحج سنة ويغزو سنة، له معارك كثيرة مع ملوك الروم، ولم تزل جزيتهم تحمل إليه من القسطنطينية طول حياته، ولايته ٢٣ سنة. توفي في " سناباذ " من قرى طوس، وبها قبره. (الزركلي: الأعلام،٦٢/٨).

(٢) المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤف (ت١٠٣١هـ): الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت٢٠٠٨م، ج١ص٢٤ -٢٦؛ فياض، الأئمة الأربعة، ٦٥ -٦٧؛ فيض الله: المذاهب الفقهية، ٧٣ -٧٥.

(٣) الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي المطلبي القرشي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وذهب إلى مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. قيل فيه كان الشافعي أشعر الناس وأدبهم وأعرفهم بالفقه والقرآت. وقال الإمام ابن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة. درس الفقه والحديث وغيرها، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكيا مفرطا. له مؤلفات كثيرة، أشهرها كتاب الأم في الفقه. (الذهبي: سير أعلام النبلاء،٢/١٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات،٢٢١/١؛ الزركلي: الأعلام،٢٦/٦).

علم الكلام فجمع بين طريقة أهل الحجاز وأهل العراق وهو أول من كتب في أصول الفقه [1]، وهو العلم بالقواعد والبحوث التي يستنبط بها الأحكام الشرعية بينما علم الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية نفسها[2]. حيث كان الخلاف بين مدرسة الرأي في العراق ومدرسة الحديث والأثر في الحجاز. وبسبب كثرة وضع الحديث في العراق والزندقة قدم أهل العراق الرأي والقياس على الحديث احتياطا للدين واستنباطا للمعاني من النصوص لبناء الأحكام عليها. وعابوا على أهل الحديث كثرة الرواية بدون تدبر وفهم واستنباط. أو القدرة على الرد على أي اشكال او جدال. وبالمقابل كان أهل الحديث يعيبون على أهل الرأي أخذهم بالقياس وتقديمه على خبر الواحد (حديث الواحد). فظهر الامام الشافعي رحمه الله فوضع كتابه الرسالة جامعا بين الحديث والرأي مبينا الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والعام الذي أريد به الخاص والظاهر الذي أريد به غير ظاهره. وتكلم على حجية أحاديث الآحاد وتقديمها. كذلك تكلم عن القياس والاجماع والاجتهاد وشروط المفتي في دين الله[3].

وأصول المذهب الشافعي هي: الكتاب والسنة، بالأحاديث الصحيحة والحسنة، وبخبر الواحد(الحديث) على ألا يكون مرسلا ولا منقطعاً، ولا يشترط فيه ما شرطه الحنفية من كونه غير مخالف للأقيسة العامة في الشريعة وكذلك لا يشترط عدم مخالفته عمل أهل المدينة كما شرط الإمام مالك، بل أنه أنكر

(١) فيض الله: المذاهب الفقهية، ١٠٨.

(٢) عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، بيروت،(د.ن د.ت)، ص٧،٨.

٣) الغزالي، محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ) : المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق/ محمد حسن هيتو، دار الفكر، (د.ت)، ص ٣-٥.

الاحتجاج بعمل أهل المدينة ودافع الخبر المفرد ثم القياس إذا كان له أصل من الكتاب والسنة.

ولا يعمل الشافعي بالاستحسان بل اعتبر أن "من استحسن فقد شرع" مخالفاً بذلك أبا حنيفة، كذلك لا يعمل بالمصالح المرسلة مثل المالكيين ولا يحتج بأقوال الصحابة لاحتمال الخطأ.

ومثل الأئمة الآخرين، لم يكن الشافعي مجرد فقيهٍ محدثٍ بل كان أيضاً مربياً وقدوة لطلابه، يقول: ما طلب أحد العلم بالتعمق وعز النفس فأفلح، ولكن من طلبه بضيق اليد وذلة النفس وخدمة العلم أفلح ويقول: "استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر". وهو صاحب القول المشهور:

أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

فكان رحمه الله يقوم ثلث الليل ويختم في رمضان القرآن ستين ختمة وقال: ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا مرة فأدخلت يدي فتقيأتها لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف عن العبادة. ويقول[1]:" عليك بالزهد فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على الناهد".

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٢٣/١.

ويعتبر المذهب الشافعي من أكثر المذاهب انتشاراً حيث تواجد في مصر والشام والعراق وإيران واليمن والحجاز والهند وأفريقيا واندونيسيا ومن أشهر الدول الإسلامية اعتناقاً لهذا المذهب الدولة الأيوبية وصلاح الدين الأيوبي [1].

ثم مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)[2] وأصول مذهبه: الكتاب والحديث المرفوع ولا يقدم عليه رأي ولا قياس ولا قول صحابي ولا إجماع، بل أنكر وجود إجماع. ثم فتوى الصحابي إذا ليس لها مخالف من الصحابة. أما إذا أختلف الصحابة في مسألة أختار أقرب أقوالهم إلى الكتاب والسنة، فإن لم يتبين له الأقرب، سرد الأقوال المختلفة ولم يخرج عنها ولم يجزم بشيء، ثم الأخذ بالحديث المرسل والضعيف إذا لم يجد سواهما.

وتميز الإمام أحمد بن حنبل بعدم الإفتاء بشيء ليس له فيها خبر ممن سبقوه. ولهذا نجد وصف بعض العلماء له أنه ليس فقيها بل محدثاً. ومن هؤلاء الإمام أبن جرير الطبري، وقد تحفظ الإمام أحمد بن حنبل على كل من: الاستحسان، والاستصحاب، وسد الذرائع، والمصالح المرسلة.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء،٢/١٩ ؛ ابن العماد، عبد الحي الدمشقي (ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ،ج٢ص٨ ؛ فيض الله: المذاهب الفقهية،١٠٨ ؛ سليمان فياض: الأئمة الأربعة، ١٠٧.

(٢) الإمام ابن حنبل، أحمد محمد، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو. وولد ببغداد. فنشأ مشتغلا بالعلم، وسافر أسفارا كثيرة في طلبه، ابتلي زمن المأمون بفتنة خلق القرآن. له عدة مؤلفات منها: المسند، وكتاب الزهد وللأسف لازال مخطوطا. وكان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء. (الذهبي: سير أعلام النبلاء،٢١٢/٢١؛ الزركلي: الاعلام،٢٠٣/١).

أما الوجود التاريخي لمذهب أحمد فإنه لم ينتشر كما المذاهب السابقة ولم يكن له كثير أتباع ويعلل ابن خلدون ذلك لبعد المذهب عن الاجتهاد والتزامه المطلق بظاهر النصوص، ويمكن تلخيص أسباب قلة أتباع مذهب أحمد كما يشير بعض الباحثين إلى التالي:

١. التشدد في الاعتماد على الرواية والمنقول.

٢. التضييق في الاجتهاد إلا لضرورة.

٣. جمود أتباعه والعمل على نشر المذهب بالقوة والقسوة.

٤. تأخر ظهوره عن المذاهب الأخرى.

٥. لم تتقلده دولة في التاريخ الإسلامي إلا الحكومة السعودية في العصر الحديث[١].

٦. اشتهار الحنابلة بالتكفير والتبديع وارتفاع صوت المغالين فيهم.[٢]

أما الظروف التاريخية لظهور هذه المذاهب الفقهية، فهي برزت في ظل حركة تموج بالفتن والصراعات السياسية والفكرية، حيث قتل الإمام زيد في معركة ثورته ضد بني أمية ومات الإمام جعفر الصادق مسموماً، وضرب الإمام أبي حنيفة وسجن لمواقفه مع الهاشميين العلويين وكذلك كان حال الإمام مالك

---

(١) فيض الله: المذاهب الفقهية، ١٣٩ ؛ فياض: الأئمة الأربعة، ١٣٧.

(٢) المالكي، حسن بن فرحان: قراءة في كتب العقائد، المذهب الحنبلي نموذجا، (د.ن) الرياض ٢٠٠٤م، ص١٠٢.

ضرب حتى خلعت كتفاه لموقفه من ثورة محمد النفس الزكية[1] (١٤٥هـ) واتهم الشافعي بالتشيع للعلويين وهو القائل: يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القران انزله ... يكفيكم من عظيم الذكر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له.

بينما تعرض الإمام أحمد بن حنبل للإهانة والضرب والحبس لموقفه من قضية خلق القرآن.

إذن كان الأئمة متأثرين بقضايا المجتمع المسلم وخاصة في مسألة الحكم والموقف السليم المبدئي تجاهها وقضية الحكم من القضايا الهامة التي كانت أكبر المخاطر المهددة للإسلام والمسلمين والتي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (لينتقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة)[2].

وقد عمل كبار رجال الفكر والإصلاح والعلم في الأمة على الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، حيث عرفوا بنهجهم التقريبي والوحدوي

---

(١) النفس الزكية (٩٣ - ١٤٥ هـ /٧١٢ - ٧٦٢ م) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، النفس الزكية. ولد ونشأ بالمدينة. وكان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء، بويع سرا ضد العباسيين، دارت بينه وبين المنصور رسائل تبادل فيها الطرفان الحجج ثم انتدب المنصور عيسى بن موسى العباسي، فسار إليه بأربعة آلاف فارس، فقاتله محمد بثلاثمائة على أبواب المدينة. وثبت لهم ثباتا عجيبا، فقتل منهم بيده في إحدى الوقائع سبعين فارسا. ثم تفرق عنه أكثر أنصاره، فقتله عيسى في المدينة. وكان شديد السمرة، ضخما، يشبهونه في قتاله بالحمزة. (الزركلي: الأعلام،٦/٢٢٠).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم ٧٤٨٦

والإصلاحي سعياً نحو وحدة الأمة ونهضتها.[1] بينما عمل أعداء هذه الأمة على إثارة النعرات المذهبية والطائفية لتمزيقها تحقيقا لمبدأ فرق تسد المعروف. أما الدعاة الى الاجتهاد والمقصود فيه الخروج على المذاهب فهم لم يقدموا منهج محدد في التعامل والأخذ من الشريعة، وبالتالي هي دعوة أقرب الى الفوضى. وإذا قدم أحدهم منهج محدد فهذا معناه انه أضاف مذهب الى المذاهب الموجودة والمخدومة والمشروحة. وقد ظهر فائدة الاختلاف المذهبي الفقهي في قضية الصيرفة الإسلامية والبنوك الإسلامية، حيث استفادوا من التعدد الفقهي وأخذوا ما يوفق إقامة صيرفة اسلامية مواكبة لمتطلبات العصر.

علم التصوف المفتري عليه ومدارس التربية الروحية[2]:

يُعرف التصوف بأنه علم تزكية النفس النبوي للوصول بها إلى مقام الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[3]، والتزكية هي إحدى مهام النبي مع المسلمين "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ

(١) ميلاد، زكي: الدفاع عن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية في زمن المحنة، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، السنة الخامسة عشرة، العدد٢٠٠٨،٥٨، ص٤٦.

(٢) من بحث للكاتب بعنوان: علماء التزكية ودورهم العلمي والدعوي، مؤتمر تعز عاصمة الثقافة،٢٠٠٩.

(٣) القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية، مؤسسة الكتب الثقافية ط١، بيروت،(د.ت)، ص١٦ حاشية ٥ للشيخ زكريا الأنصاري ؛ ابن لقيم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت٧٥١هـ) : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣، ج٣ص٤٦٤- ٤٦٧ ؛ زروق، : قواعد التصوف،١٥ ؛ أبو الحسن علي الندوي: ربانية لا رهبانية، دار القلم، دمشق ٢٠٠٢م، ص٣٣ .

قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" آل عمران (١٦٤)، وبعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، أخذت العلوم الإسلامية تتبلور بشكل أكثر تخصصاً، ولهذا ضم الإسلام عدة علوم ومدارس، هي قوام العقيدة والفكر والحضارة الإسلامية، منها من تخصص في التزكية والتربية والسلوك، فمدرسة علم التزكية، تزكية النفس والباطن وأحوال القلب[١]. وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة وسلوك فقط، حيث كانت أحكامها تتلقى من صدور الرجال كما وضع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك[٢].

ولهذا تعددت التعاريف التوضيحية للتصوف، وكلها تصب في هذا الجانب، مثل " التصوف الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دنى ". و "التصوف كله خلق، فمن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف". أو "التصوف صفاء ومشاهدة"[٣].

ولأنه من علوم الشريعة الإسلامية فقد كان علماؤه "مجمعين على تعظيم الشريعة متصفين بسلوك طريق الرياضة مقيمين على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة، متفقين على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم

---

(١) السراج : اللمع، ص ١١- ١٧، ٣٢٧، ٣٢٤ ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، ٤٦٩ ؛ الندوي: ربانية لا رهبانية، ٣٣ -٣٥ ؛ الأصفهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ): الأربعون على مذهب المحققين من الصوفية، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٤هـ، ص٢١-٢٥.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ٤٦٩.

(٣) محمود، عبد الحليم: المنقذ من الضلال، قضية التصوف، دار المعرف، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٤٣ .

يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه مفتوناً هلك في نفسه، وأهلك من اغتر به"[1].

يقول القاضي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)[2] في كتابه الفتح الرباني [3]: "اعلم أن معنى التصوف المحمود يعني: علم الباطن هو الزهد في الدنيا حتى يستوي عنده ذهبها وترابها ثم الزهد فيما يصدر عن الناس من المدح والذم حتى يستوي عنده مدحهم وذمهم ثم الاشتغال بذكر الله وبالعبادة المقربة إليه فمن كان هكذا فهو الصوفي حقاً وعند ذلك يكون من أطباء القلوب فيداويها بما يمحو عنها الطواغيت الباطنية من الكبر والحسد والعجب والرياء وأمثال هذه الغرائز الشيطانية التي هي أخطر المصاحب وأقبح الذنوب. ثم يفتح الله له أبواباً كان عنها محجوباً كغيره لكنه أماط عن ظاهره وباطنه ... صار حينئذ صافياً عن شوب الكدر مطهراً عن دنس الذنوب، فيبصر ويسمع ويظهر لحواس لا يحجبها عن حقائق الحق حاجب...". إلى أن يقول: "وإذا فرضنا ثاني في المدعين للتصوف والسلوك من لم يكن بهذه الصفات وعلى هذا الهدى القويم فإن بدا منه ما يخالف هذه الشريعة المطهرة وينافي منهجها الذي هو الكتاب والسنة

---

(١) القشيري: الرسالة، ٣٧ .

(٢) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد لمن وصل إلى درجة الاجتهاد. له العديد من المؤلفات المشهورة. (الزركلي: الأعلام،٢/٢٩٨).

(٣) ج٢ص١٠٤٣وما بعدها ؛ انظر أيضا: القنوجي، صديق بن حسن (ت١٣٠٧هـ): أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم تحقيق / عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧، ٢/ ٣٧٠ ؛ قديش، عبدالفتاح اليافعي: المنهجية العامة، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء٢٠٠٧م،ص١٠٦.

فليس من هؤلاء... ولا يقدح على هؤلاء الأولياء وجود من هو هكذا؛ فإنه ليس معدوداً منهم ولا سالكاً طريقتهم ولا مهدياً بهديهم. فاعرف هذا فإن القدح في قوم بمجرد فرد أو أفراد منسوبين إليهم نسبة غير مطابقة للواقع لا تقع إلا ممن لا يعرف الشرع ولا يهتدي بهديه ولا يبصر بنوره..". وهذه فتوى شرعية كبيرة في حق التصوف والصوفية. منكرا على من يقدح في الصوفية وأنه من يعيب في الصوفية لا يعرف الشرع الحنيف ولا يهتدي بهديه.

ويقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) (١) في كتاب التصوف من مجموع الفتاوى(٢):" والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أولا يتوب.. وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج (ت٣٠٩هـ)(٣) مثلاً فإن أكثر مشايخ

(١) ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم الحراني: الإمام والفقيه والمفسر، ولد بحران سنة ٦٦١هـ وعاش في دمشق ومصر، حبس في مصر بسبب فتاوى له ثم أطلق ثم حبس في دمشق وتوفي في السجن، له الكثير من المؤلفات. (ابن حجر: الدرر الكامنة ،١٦٨/١؛ الزركلي: الأعلام، ١٤٤/١).

(٢) ابن تيمية، احمد عبد الحليم (ت٧٢٨هـ): مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن النجدي الحنبلي، (د. ن) بيروت (د.ت)، المجلد الحادي عشر كتاب التصوف، ص١٨.

(٣) الحلاج، الحسين بن منصور: تضاربت حوله المصادر يعد تارة من كبار المتعبدين وتارة من الملحدين، رده بعض مشايخ التصوف، وأبو أن يكون له قدم في التصوف، أصله من فارس وتنقل بين مدن العراق وغيرها، كثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فسجن وضرب وهو صابر لا يتأوه ولا يستغيث حتى قتل.(السلمي، أبو عبد الرحمن محمد (ت٤١٢هـ) : طبقات الصوفية، (د.ن) بيروت١٩٩٨،ص٢٣٦ ؛ الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٢٦٠/٢؛ ينظر أيضا: الحلاج، الحسين بن منصور: حقائق التفسير أو خلق خلائق القرآن والاعتبار، تحقيق/ محمود الهندي، مكتبة مدبولي، القاهرة٢٠٠٦،ص٢١ -٢٤). وله أقوال ونصوص ينزه الله عن الحلول والاتحاد كما اتهم. (أنظر: الحلاج: حقائق التفسير أو خلق خلائق القرآن والاعتبار، ١٤٠).

الطرق أنكروه وأخرجوه عن الطريق: مثل الجنيد بن محمد (ت٢٩٧هـ) ..."[(١)].
وهكذا برأ ابن تيمية التصوف.

ويقول ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ)[(٢)]:" والتصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ومعية من تحبه فإن المرء مع من أحب، كما قال سنمون (ت نحو ٢٩٠ هـ)[(٣)]: ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة فإن المرء مع من أحب والله أعلم".

وعلى ذلك فإن التصوف علم يعمل على البناء الروحي والنفسي الباطني للمؤمن، من خلال إتباع السنة في المجاهدة والرياضة والاقتداء العملي على يد شيخ مربي يحول المفاهيم والتعاليم الشرعية في الفقه والحديث والتفسير من الجانب النظري إلى الجانب العملي والتطبيقي من خلال سلوك الشيخ نفسه ومن

---

(١) الجنيد بن محمد الخراز البغدادي: أبرز أئمة التصوف وعلمائه حتى لقب بسيد الطائفتين لأنه جمع بين الفقه والتصوف، عرف بالصلاح والعلم والدعوة إلى الله، فتخرج بصحبته خلائق في سلوك طريق الله، عاصر الحلاج والشبلي وأنكر على الحلاج. (أنظر ترجمته: الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ، ج١٠ص٢٥٥؛ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر(ت٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج٧ص٢٤١).

(٢) مدارج السالكين ،٣١٧/٢.ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ/ ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) محمد بن أبي بكر الدمشقي: الفقيه العلامة مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، له مؤلفات كثيرة منها: إعلام الموقعين، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية وغيرها(ابن حجر: الدرر الكامنة، ٣: ٤٠٠؛ الزركلي: الأعلام،٥٦/٦).

(٣) سنمون بن حمزة، أبو الحسن، أو أبو بكر: صوفي ناسك، من الشعراء. له مقطوعات في غاية الجودة. وهو من البصرة. سكن بغداد وتوفي بها (الاصبهاني: حلية الأولياء ،٣٠٩/١٠؛ الزركلي: الأعلام،١٤٠/٣).

خلال إشرافه على سلوك المريد (التلميذ) في الأعمال الظاهرية، والدعاء له بالصلاح والحفظ في دياجير الليل باطناً، وبهذا فإن التصوف هو المرتبة الثالثة في الدين (الإسلام –الإيمان – الإحسان)، وهو علم من علوم النبي صلى الله عليه وسلم.

وبفضل هذه التربية الروحية – الإحسانية- يكون المولى عز وجل عند الصوفي هو المحور الوجودي الكلي، يمتلك عليه كل شعوره وعواطفه وحواسه وأفعاله. فلا يرى شيئاً إلا يرى فيه مظهراً من مظاهر القدرة الإلهية، ولا يوجد غيرها [١]. فأصبح الصوفية صفوة مختارة، تقدم بسلوكها نماذج عليا للسلوك ومثلاً للاستلهام والتأسي قدر الطاقة [٢].

وعندما عم الترف والغني الفاحش أمة الإسلام بعد الفتوحات، وتعرض المجتمع المسلم لتهديد خطير في كيانه وعمت المادية وعبادة الشهوات، كان أهل الصلاح والعبادة والزهد متميزين في المجتمع لسلوكهم في إتباع السنة ولذلك عرفوا باسم الصوفية للبسهم الصوف بشكل عام كما هو الراجح[٣]. على أن كثيراً منهم كانوا لا يلبسون الصوف ولا يحبون أن يتميزوا بلباس معين، منعاً للشهرة وتواضعاً لله[٤].

---

(١) منير، وليد: التصوف وسيكولوجية الحضور المتسامي بين الدافع والغاية – دراسة استكشافية – مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، العدد ٣٦، السنة التاسعة ربيع ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص٢٥ وما بعدها.

(٢) بدوي، عبد الرحمن: تاريخ التصوف الإسلامي، وكالة المطبوعات، القاهرة، ١٩٩٣م، التصدير.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ٤٦٧. وعن مدى الترف والمادية التي كانت سائدة آنذاك انظر على سبيل المثال: الاصبهاني، ابو الفرج (٣٥٦هـ): الأغاني، تحقيق/ سمير جابر، دار الفكر، بيروت (د.ت)،ج٢ ص٢١٩ –٢٥٠.

(٤) محمود، عبد الحليم: قضية التصوف، ٤٣ .

ثم تطور هذا العلم مثله مثل كل علوم الملة مثل الفقه والحديث واللغة، وتأسست في علم التصوف الطرق التربوية السلوكية، كما تأسست المذاهب في الفقه. وهي طرق تتفق في الأصول، على الكتاب والسنة، وتختلف في بعض الفروع، مثل الأذكار ومجالسها[1]. فالطرق الصوفية هي مدارس التربية الروحية والسلوك في الإسلام.

موقف أئمة المذاهب من التصوف:

قال الإمام مالك[2] :" من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق ". وجاء عن الإمام الشافعي قوله:

"حبب إلى من دنياكم ثلاث: ترك التكلف وعشرة الخلق بالتلطف والاقتداء بطرق أهل التصوف".[3]

ونقل العلامة محمد السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨ هـ) [4] أن الإمام احمد بن حنبل قال عن الصوفية: لا اعلم أقواما أفضل منهم قيل: أنهم يستمعون ويتواجدون؟ قال: دعوهم يفرحوا مع الله ساعة[5]

---

(١) أنظر: المالكي، عبد الحافظ بن علي (ت١٣٠٣هـ): هداية الراغبين في السير والسلوك الى ملك الملوك، مكتبة القاهرة، القاهرة، (د. ت)، ص ٧ -٩.

(٢) الغزالي: منهاج العارفين، ٤ ؛ زروق: قواعد التصوف، ١٥.

(٣) العجلوني، إسماعيل بن محمد (ت١١٦٢هـ) : كشف الخفايا ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس، دار احياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ج ١ ص ٣٤١.

(٤) السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب. ولد في سفارين من قرى نابلس ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها. (الزركلي: الأعلام،٦/١٤).

(٥) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة ط٢، القاهرة١٩٩٣م، ج١ص ١٠٦.

كما لم يقتصر علم التزكية (التصوف) على مذهب معين، مثل الشافعية السنة، بل كان يعم اليمن – على سبيل المثال- كلها شافعية وزيدية، عملاً وتأليفاً وتدريساً. حيث كان لأهل المذهب الزيدي وأئمته باع طويل مع التصوف سلوكاً وتأليفاً، إذ اهتموا بالجانب القلبي والتربية الاحسانية. كذلك كان لهم علاقات طيبة مع التصوف السني ما لم تفسده السياسة في بعض الأحيان كما كان حال الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة (ت٧٤٥هـ)[1] صاحب مؤلفات في التصوف. والإمام محمد بن علي السراجي[2] (ت٩١١هـ) وغيره من الأئمة. كما تواجد بصنعاء زوايا وأربطة صوفية تهتم بالتربية

(١) المؤيد، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي: من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن. يقال إن كراريس مؤلفاته زادت على عدد أيام عمره. ولد في صنعاء. وأظهر الدعوة بعد وفاة المهدي محمد بن المطهر سنة ٧٢٩ هـ وتلقب بالمؤيد بالله (أو المؤيد برب العزة) واستمر إلى أن توفي في حصن هران قبلي ذمار من مؤلفاته الشامل في أصول الدين، ونهاية الوصول إلى علم الأصول، والحاوي في أصول الفقه، وتصفية القلوب عن أدران الأوزار والذنوب في التصوف. وكان مشهورا بإجابة الدعوة وله كرامات كما ذكر الشوكاني. إضافة إلى عدم إقدامه على التكفير والتفسيق بالتأويل وكان كثير الذب عن أعراض الصحابة رضى الله عنهم وعن أكابر علماء الطوائف (الشوكاني: البدر الطالع ج٢ص٣٣١؛ الزركلي: الأعلام،٨،١١٣).

(٢) الوشلي السراجي، محمد بن علي بن محمد بن أحمد، الملقب بالمنصور بالله: من أئمة الزيدية باليمن. ولد بذمار، تفقه بها وبصعدة. فبرز في مختلف العلوم، دعا إلى نفسه سنة ٩٠٢ هـ. فبويع، واستمرت إمامته عشر سنين. وكان كريما لا يدخر درهما فلم يعمر داراً، ولم يغرس غراساً، أسره السلطان عامر بن عبد الوهاب في وقعة بينهما على أبواب صنعاء، ومات بعد ثلاثة أشهر من أسره بها. (الشوكاني، البدر الطالع،٢/٤٢٢؛ الزركلي: الأعلام،٦/٢٨٩).

الاحسانية.[1] ويروي كاتب حوليات يمانية أن الإمام المهدي عبد الله[2] (ت ١٢٥١هـ) عزم على زيارة قبر الشيخ احمد بن علوان للتبرك به، إلا أن رجال دولته منعوه من ذلك لأسباب سياسية أقرب منها دينية [3].

كذلك عرف علم التزكية والسلوك في المذهب الاثنا عشري الشيعي، وان كان عرف باسم العرفان، أو علم العرفان حينا وعرف بعلم التصوف حينا آخر.[4]

على أن علم التصوف ككل العلوم الإسلامية لم يخل من المندسين فيه والمحرفين والمنحرفين[5]. وكان أهل التصوف هم من تصدى لهؤلاء وبينوا زيفهم

---

(١) ينظر على سبيل المثال: البريهي: طبقات صلحاء اليمن، ٢٢- ٢٤ ؛ المهدي، الإمام أحمد بن يحي المرتضى، (ت٨٤٠هـ): تكملة الأحكام والتصفية من بواطن الآثام، تحقيق/ عبد الله بن حمود العزي، مؤسسة الامام زيد بن علي، صنعاء٢٠٠٧، ص١١ -٢؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١ص٣٨٨،٤٠٣،١٨٧،ج٢ص٣٩١،٢٧٧،٢٦،ج٣ص٩٨ ؛ المنصوب، عبد العزيز سلطان: العارف بالله عبد الهادي السودي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤، ص٦٠، ٦١، ٤١١؛ الحبشي، عبد الله محمد: الصوفية والفقهاء في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٧٦م، ص٦٣ -٦٥.

(٢) الإمام المهدي عبد الله بن أحمد المتوكل ابن على المنصور ولد في سنة ١٢٠٨ أكبر أولاد أبيه ولى أعمالا منها ريمة ثم ولاية عمران ثم لما توفى والده سنة ١٢٣١ بويع له بالإمامة. (الشوكاني: البدر الطالع، ١/ ٣٦٠).

(٣) حوليات يمانية، اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي، تحقيق/ عبد الله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، صنعاء١٩٩١م، ص ٤٢.

(٤) للمزيد ينظر: الحيدري، كمال: العرفان الشيعي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢٩هـ، ص ٧ وما بعدها.

(٥) ابن تيمية، المجلد ١٠ / ١١-٣٣؛ الأهدل، بدر الدين أبو عبد الله الحسين (ت٨٥٥هـ): تحفة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق / عبد الله محمد الحبشي، (د. ن) بيروت ١٩٨٦م، ص٢٩٠،٢٨٩ .

وحذروا الناس منهم[١]. وادعى بعض الباحثين أن التصوف مجلوب من العقائد الهندوسية والنصرانية وغيرها إلاَّ أن باحثين آخرين ردوا على هذه الشبهات وبينوا أن التصوف علم إسلامي أصيل مأخوذ من الكتاب والسنة النبوية.[٢]

القاضي الشوكاني ودفاعه عن التصوف:

كان القاضي محمد بن علي الشوكاني متأثراً في بدايات حياته العلمية بالمدرسة الوهابية النجدية، على أنه سرعان ما توسعت علومه ومداركه، فكتب الكتب وألف المؤلفات وأفتى الفتاوي التي بينت صحيح موقفه من التصوف والصوفية أواخر حياته الناضجة علمياً [٣]، بعد أن تلقى علم التصوف من الشيخ عبد الوهاب السحني الموصلي (ولد ١١٨٤هـ)[٤] وأصبح صوفياً على

(١) الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ):إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت (د.ت) ،٣٩/١، ٤٠؛ الأهدل، بدر الدين أبو عبد الله الحسين (ت ٨٥٥هـ): كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين وبيان حال ابن عربي واتباعه المارقين، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل،، تونس ١٩٦٤م، ص١٧٠.

(٢) عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٩٣، ص٤٥،٤٤؛ شاخت، جوزيف و بوزورث، كليفورد، تراث الإسلام، ترجمة، حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٨، ج٢ ص٦٢ -٦٥ ؛ اتور، آندريه : التصوف الإسلامي، ترجمة، عدنان عباس علي، منشورات الجمل، كولونيا ٢٠٠٣، ص٢١ . ينظر أيضاً : الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ)، المنقذ من الضلال، (د. ن)، بيروت ١٩٨٨م، ص١٣٠ -١٣٩ .

(٣)ينظر مثلا: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج٢ص٣١.

(٤) السيد عبد الوهاب بن محمد شاكر بن عبد الوهاب بن حسين ابن العباس بن جعفر الحسيني الموصلي مولدا وبلدا ومنشأ ولد سنة ١١٨٤ وقدم إلى صنعاء في سنة ١٢٣٤ وكثر اتصاله بالقاضي الشوكاني. وصفه الشوكاني انه كان جيد الفهم فصيح اللسان حسن العبارة حسن الإشارة وقد تلقى منه الذكر على الطريقة النقشبندية. (الشوكاني: البدر الطالع، ١/ ٣٨٧).

الطريقة النقشبندية [1]. ومن مؤلفاته في التصوف "قطر الولي في حديث الولي"، وهو مؤلف كامل في التصوف والتزكية.

وقد كتب من خلال تراجمه للكثير من للصوفية في كتابه البدر الطالع ما يوضح موقفه ومحبته واحترامه لهم سواء كان هؤلاء الصوفية من الزيدية أو من أهل السنة، والشوكاني هو الذي قال في كتابه قطر الولي:" فما لك والتلدد حول نجد .... وقد غصت تهامة بالرجال "[2].

أما موقفه من ابن عربي واضرابه فقد هاجمهم في أول حياته العلمية ثم تاب عن ذلك، يقول[3]: "وأنا الآن أتوقف في حال هؤلاء وأتبرأ من كل ما كان من أقوالهم وأفعالهم مخالفا لهذه الشريعة البيضاء الواضحة التي ليلها كنهارها ولم يتعبدني الله بتكفير من صار في ظاهر أمره من أهل الإسلام وهب أن المراد بما في كتبهم وما نقل عنهم من الكلمات المستنكرة المعنى الظاهر والمدلول العربي وأنه قاض على قائله بالكفر البواح والضلال الصراح فمن أين لنا أن قائله لم يتب عنه".

الدور التاريخي للتصوف:

كان للتصوف والصوفية دور كبير في تاريخ الإسلام والمسلمين على جميع الأصعدة. من ذلك على سبيل المثال:

١- الدور العلمي والدعوي والفكري: كان مشايخ التربية والصوفية الربانيون متجهين إلى إصلاح النفوس، وتزكية القلوب، متصفين بالفضائل الروحية من صفاء

---

(١) الشوكاني: البدر الطالع، ١/ ٣٨٧.

(٢) الشوكاني، محمد علي (ت١٢٥٠هـ): قطر الولي في حديث الولي، (د.ن) بيروت ٢٠٠١، ص ٥٠.

(٣) الشوكاني: البدر الطالع، ٢/٣١.

القلب وإشراق الروح، وبلغ الكثير منهم شأنا عظيما من علو المكانة والتأثير[(١)]، وكانت الأربطة والزوايا والخانقاوات أماكن يدرس فيها العلوم الشرعية بمختلف تخصصاتها من التفسير والقراءات والفقه واللغة وغيرها.[(٢)] بنيت على يد أئمة كبار أمثال الإمام البخاري (ت٢٥٦ هـ)[(٣)] على سبيل المثال[(٤)]. كما كان كثير من العلماء يجمعون في تحصيلهم معظم العلوم من فقه وتصوف ولغة وغير ذلك أمثال العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)[(٥)] والإمام النووي

---

(١) الندوي : رجال الفكر ،ج٤ص٤٧.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٤٩؛ الشرجي: طبقات الخواص: ١٧٢- ١٧٦، ٢٩٠، ٣٢٩، ٣٩٨، ٥٤- ٥٦ ؛ البريهي: طبقات علماء اليمن، ٢٣، ٢٤، ٦٧، ٦٨، ١٦٩ ؛ بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م) : تاريخ ثغر عدن، (د.ن د. م د.ت)،ص٢٤٦، ٤٧، ٢٥٤، ٦١، ٦٢، ١٤٣ — ١٤٥، ١٨٩.

(٣) البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ/ ٨١٠ - ٨٧٠ م) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الإمام في علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ، طلب الحديث وسافر إلى أكثر محدثي الأمصار، في خراسان ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية. (ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧١م، ج٤ص١٨٨ -١٩٠)

(٤) العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي (ت٨٥٢هـ): هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (د. ن) الإسكندرية (د.ت)، ص ١٣.

(٥) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السُلمي (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ / ١١٨١ - ١٢٦٢ م) سلطان العلماء، مغربي الأصل ولد في حوران في سوريا عام ٥٧٧ هـ، وبرز في الدعوة والفقه، نشأ في كنف أسرة متدينة. كان جليلاً مهاباً حسن الصورة، منبسط الأسارير، متواضعاً في مظهره وملبسه، وكان في بداية أمره منكراً على الصوفية إلا أنه بعدما التقى بالشيخ أبو الحسن الشاذلي سلك التصوف وبدأ يحضر دروسهم كما رجع أيضاً عن إنكاره على ابن عربي، رفض المسالمة مع الصليبيين والتعامل معهم، وكان له مواقف قوية وشجاعة مع السلاطين والمماليك وفي الدعوة لجهاد التتار.(الشرقاوي، عبد الرحمن: أئمة الفقه التسعة، (د.ن) القاهرة ١٩٨٣، ص ٣٥٩ -٣٦٢).

(ت٦٧٦ هـ)[١] والإمام الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)[٢] والإمام السرهندي (ت١٠٣٤ هـ)[٣] على سبيل المثال والإمام الشعراوي (ت ١٩٩٨م)[٤] والإمام الشهيد البوطي (ت٢٠١٣م) في عصرنا الحالي.

كما كان المنهج المتبع للتعلم و التعليم في علم التزكية هو منهج الصحبة والرفقة، وهو بهذا يجسد المنهج النبوي مع الصحابة، حيث كانوا رضوان الله عليهم يتلقون علومهم من خلال صحبتهم للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فكان المريد أو الطالب يصحب الشيخ فترة من الزمن لأخذ العلوم والسلوك أخذا عملياً

---

(١) النووي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ/ ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م) يحيى بن شرف بن مري الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: شيخ الإسلام، علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا من قرى حوران، بسورية واليها نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا. له الكثير من المؤلفات منها: الأربعون حديثا النووية، ومنهاج الطالبين والمنهاج في شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. (السبكي، تاج الدين بن علي (ت٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق/ محمد بن محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة ١٤١٣هـ، ج٨ص٣٩٥).

(٢) شاه ولي الله الدهلوي (١١١٠ - ١١٧٦ هـ/ ١٦٩٩ - ١٧٦٢ م) العلامة الفقيه المحدث، يعد احد كبار المصلحين والمجددين، من أهل دلهي بالهند. جمع بين الفقه والتصوف وكان شيخ الطريقة النقشبندية في عصره. من مؤلفاته: الفوز الكبير في أصول التفسير وحجة الله البالغة (الندوي: رجال الفكر،١٢/٤ -١٥٠؛ الزركلي: الأعلام،١٤٩/١).

(٣) احمد السرهندي الدهلوي الفاروقي (٩٧١ - ١٠٣٤ هـ / ١٥٦٣ - ١٦٢٥ م) ولد بمدينة سرهند بالهند، وسافر إلى سيالكوت لطلب العلم فصحب كبار العلماء بعصره، ثم أخذ التربية والسلوك والتصوف على يد الشيخ عبد الباقي النقشبندي الدهلوي، فبرز إماما للسالكين وقدوة للعارفين، حتى لقب بمجدد الألف الثاني، له العديد من المؤلفات منها المكتوبات وإثبات النبوة (الندوي: رجال الفكر،١٤٧/٣ وما بعدها؛ القنوجي: أبجد العلوم، ج٣ص٢٢٥؛ الزركلي: الأعلام،١٤٣/١).

(٤) محمد متولي الشعراوي (١٣٢٩ -١٤١٩ هـ / ١٩١١ - ١٩٩٨م) الإمام العلامة المفسر وزير الأوقاف المصري الأسبق. من أشهر العلماء المسلمين في العصر الحديث؛ فسر القرآن الكريم بطرق مبسطة وعامية مما جعله يستطيع الوصول لشريحة أكبر من المسلمين في جميع أنحاء العالم العربي، لقبه البعض بإمام الدعاة.(السنان، حمد والعنجري، فوزي، أهل السنة الأشاعرة، دار الضياء، الكويت ٢٠٠٦، ص١٥٠).

سلوكياً، وليس فقط أخذا نظرياً وبهذا فإن علم التزكية أو علم التصوف هو العلم التطبيقي العملي السلوكي التربوي لعلوم الإسلام الأخرى، كذلك فإن علوم الدين كانت تؤخذ عبر سلسلة مترابطة من السند المتصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مما حفظ الشريعة من التلاعب بها[1].

وكان التعليم في تاريخنا الإسلامي وفي الحضارة الإسلامية يسير على المنهج النبوي في التربية والتعليم من حيث البناء العقلي والروحي معاً للطالب والتلميذ؛ فكانت المدرسة الإسلامية في عهد الدولة الرسولية يقرر لها مقرئ يعلم القرآن على القراءات السبع ومحدثٌ لتعليم علم الحديث وفقيه لتعليم الفقه وآخر لتعليم علم الفرائض (المواريث) وشيخٌ صوفيٌ للتربية والسلوك وتزكية النفس[2].

فالعلم الشرعي ليس مجرد معلومات بل هو سلوك وتربية وممارسة، وهذا هو الجانب الصوفي في العملية التعليمية، أو ما يسمى التربية الاحسانية[3].

وأما الدور الدعوي فبعد توقف حركة الفتوح الإسلامية تحقق نشر الإسلام على يد الصوفية في كل البلدان التي انتشر فيها بعد ذلك، مثل الهند وشرق

---

(١)ينظر على سبيل المثال لا الحصر : الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ١/ ٣٨٩، ٤٠٩ ؛ الشرجي: طبقات الخواص، ٨٨، ١٧٢ – ١٧٦ ؛ بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ١٤٣ – ١٤٥ .

(٢) ينظر على سبيل المثال: الخزرجي: العقود، ٢/ ٢٠٢.

(٣) ينظر على سبيل المثال: الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دار الفرقان، عمان ٢٠٠٣، ص١٧٧. كان هذا المنهج النبوي سائداً في العالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال عندما أرسل مسلمي الهند سنة ٧٤٤هـ إلى سلطان مصر يطلبون منه إرسال من يعلمهم شرائع الإسلام، بعث إليهم الشيخ ركن الدين الملطي، الشيخ الصوفي، وشيخ الخانقاة السرياقوسية. (ابن شاهين الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن خليل الحنفي (٨٤٤-٩٢٠هـ) : نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق / عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت٢٠٠٢، قسم١، ج١ص٨١).

آسيا ووسطها وشمالها[١]، وشرق أفريقيا ووسطها وغربها. كما كان للتصوف دور في مواجهة الفكر الفلسفي اليوناني ضد الإسلام[٢]

٢-الدور الجهادي: كذلك كان للصوفية دور جهاديٌ كبيرٌ، سواء في فترة الفتوحات أمثال مالك بن دينار (ت ١٣١ هـ)[٣] وإبراهيم بن أدهم (ت١٦٢هـ)[٤]، أو في فترة مواجهة الغزو الصليبي والتتار أمثال صلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ) الذي كان مرتبطاً ارتباطاً كاملاً بالصوفية والتصوف، فكان يحضر بنفسه عند مشايخهم[٥]، ويتبرك بهم[٦]، كما كان يستدعيهم إليه ليحضر مجالس السماع[٧]، وهو من أنشأ لهم أول خانقاه في مصر بعد إسقاط الدولة الفاطمية[٨]. كذلك كان الصوفية مشاركين مع

---

(١) ينظر على سبيل المثال : القلقشندي، احمد بن علي الفزاري (٨٢١هـ):، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج٤ص٣٠٩ ؛ درويش، هدى، دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠٤، ص٩٧-١٠٥.

(٢) الندوي، رجال الفكر، ٢٨٠ بعدها .

(٣) مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: الورع الزاهد، من رواة الحديث. كان يأكل من كسبه، ويكتب المصاحب بالأجرة. توفي في البصرة. (الزركلي: الإعلام،٥/٢٦٠).

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم: كان والده من ملوك خراسان، فترك الملك والتنعم وتفرغ للعبادة والزهد بعد أن تفقه وجاهد في قتال الروم حتى صار علما من أعلام التصوف. (انظر: الأصفهاني: حلية الأولياء،٣٦٧/٧؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ): صفة الصفوة، دار الحديث، القاهرة، (د.ت)، ج٢ص٣٣٤).

(٥) أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ): الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية، (د.ن) القاهرة (د.ت)، ص٢٨١.

(٦) ينظر على سبيل المثال: ابن شداد، أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت٦٣٢هـ): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق/ جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٢، ١٩٩٤م، ص١٣٣.

(٧) ابن شداد: النوادر السلطانية،١٠١.

(٨) المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، (د.ن د. م د.ت). ج٣ص١٧٨.

صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين حتى قيل انه لم يتخلف منهم أحد.(١) وعندما فتح بيت المقدس أنشأ بها رباط للصوفية، وفي غيرها من المدن الإسلامية (٢).

كذلك محمد الفاتح، فاتح القسطنطينية، الذي قال عنه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم[٣]: " لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش". تربى محمد الفاتح تربية دينية صوفية راقية على يد شيخ صوفي عالي الهمة هو العالم الرباني أحمد بن اسماعيل الثوراني. ثم ارتبط عندما أصبح شاباً وسلطاناً بالشيخ الصوفي الكبير آق شمس الدين. الذي ظل يقوي عزيمته لفتح القسطنطينية روحياً حتى فتح الله له ذلك. كان محمد الفاتح يتمتع بصفات شخصية عجيبة، فكان يتحدث خمس لغات غير اللغة التركية. وكان إذا تحدث إلى مسيحي يتوضأ من جديد حتى يبقى على وضوء دائم. ويوم الفتح أمر الجيش المسلم أن يتوضأ سبع مرات قبل تنفيذ الهجوم وكان وهو سلطان يقبل يد شيخه كأي مريد متواضع[٤]. لقد كان التصوف والتربية الصوفية القوة الروحية الدافعة للأبطال المسلمين، بمختلف مستوياتهم.

---

(١) ابن الوردي، ابو حفص عمر بن مظفر: تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي، (ت٧٤٩هـ)، بيروت (د.ن د. ت)، ج٢ص٩٥. ينظر أيضا: الصافي، محمد حسين: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، مركز الابداع الثقافي، صنعاء ٢٠١٦م، ص٢٣٧.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ معرفة القاهرة، (د.ن) القاهرة ١٩٠٩م، ج٢ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠؛ ينظر أيضاً: رزق، عاصم محمد: خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمماليكي (٥٦٧ ـ ٩٢٣هـ / ١١٧١ ـ ١٥١٧م)، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٧م ج١، ١٢٨ ـ ١٢٩.

[٣] رواه احمد، رقم ١٨١٨٩.

[٤] الخطيب: البطولة والفداء،١٤٣-١٤٥.

ثم في مواجهة الاستعمار الحديث، أمثال هداية الله (ت١٥٧٠م)[١] في إندونيسيا والشيخ احمد عرفان الشهيد (ت ١٨٣١م) [٢] وأتباع ولي الله دهلوي في الهند والشيخ شامل في داغستان (١٨٧١م)[٣] وعز الدين القسام (ت١٩٣٥م)[٤] في فلسطين والسيد عمر مكرم

---

(١) الشريف هداية الله: الملقب سونن فوتونغ جاتي – أي مولى جبلي جاتي، العالم الداعية، أصله من السادة العلويين في حضرموت، كان له دور كبير في نشر الإسلام في جاوة ومجاهدة الغزو البرتغالي. (شهاب، محمد ضياء وعبد الله نوح: الإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق ماله ولنسله وللأئمة من أسلافه من الفضائل والمآثر، دار الشروق، جدة ١٩٨٤م، ص٨٠ وما بعدها؛ الخطيب، البطولة والفداء، ٤٥).

(٢) أحمد بن محمد عرفان: المجاهد الداعية. تعلم في مدرسة شاه ولي الله في مدينة دلهي، ثم رحل إلى دلهي سنة ١٢٢١ هـ ـ١٨٠٦ م، وتتلمذ على يد الشاه عبد القادر الدهلوي وأخيه الشاه عبد العزيز الدهلوي وهما من أبناء الشيخ شاه ولي الله، ثم عاد إلى حياة الجندية والجهاد مرة أخرى، وانضم إلى جيش "أمير خان" حاكم مدينة "تونك" إحدى مدن إقليم "راجستان"، وذلك في سنة ١٢٢٥ هـ ـ١٨١٠ م، وأخذ يحثّه على الجهاد والقتال في سبيل الله، ويشجعه في حربه للإنجليز، ثم لم يلبث أن ترك الجيش بعدما عَلِم بالصُّلح الذي أجراه أمير تونك مع الإنجليز. عمل في الدعوة والإصلاح وتأثر به خلق كثير، حاول تأسيس دولة إسلامية في شمال الهند، استشهد أثناء معركة مع الهندوس (الخطيب، البطولة والفداء، ٢١١؛ الندوي: ربانية لا رهبانية،٨٧ وما بعدها).

(٣) الإمام شامل (١٧٩٧ – ١٨٧١م) عالم وفقيه، شيخ الطريقة النقشبندية في شمال القوقاز وأحد أشهر المقاومين للوجود الروسي ومعه شيوخ الطريقة النقشبندية . ولد عام ١٧٩٧ في قرية غيمري، الداغستانية. قاد المقاومة ضد الروس خلال حروب القوقاز وهو ثالث أئمة الشيشان وداغستان من ١٨٣٤ إلى ١٨٥٩ لقب بأسد القفقاس وصقر الجبال. (الخطيب: البطولة والفداء،٢١٥).

(٤) عز الدين القسام: محمد عز الدين بن عبد القادر القسام: مجاهد، من أسرة متدينة والده شيخ الطريقة النقشبندية في جبلة اللاذقية درس في الأزهر بمصر. عمل داعيا ومربيا في بلده إلى أن احتل الفرنسيون ساحل سورية في نهاية الحرب العامة الأولى سنة ١٩١٨ فقاد ثورة في جماعة من تلاميذه ومريديه. وطارده الفرنسيون، فذهب دمشق، ثم غادرها بعد استيلاء الفرنسيين عليها سنة ١٩٢٠ فأقام في حيفا بفلسطين وتولى فيها إمامة جامع الاستقلال وخطابته، ورياسة جمعية الشبان المسلمين. وتعاون مع الشيخ محمد كامل القصاب على تأليف كتاب: النقد والبيان. وبسبب ظهور الصهيونية ثارت فلسطين على الانكليز، وظهرت بطولة القسام في معارك خاضها في تلك الثورة، منفردا مع رجاله، يقاتلون كلما وجدوا سبيلا إلى القتال، ويأوون إلى الكهوف والمغاور. استشهد أواخر الثورة، فدفن في قرية الشيخ بجوار حيفا. (الزركلي: الأعلام،٦/٢٦٨).

(ت١٨٢٢م)[١] في مصر و عمر المختار (ت١٩٣١م)[٢] في ليبيا وعبد القادر الجزائري (ت١٨٨٣م) [٣] في الجزائر والمهدي (ت١٨٨٥ م) [٤] في السودان

---

(١) السيد عمر مكرم بن حسين السيوطي: نقيب الأشراف في مصر وشيخ مشايخ الطرق الصوفية. ولد بأسيوط ودرس بالأزهر. قاد الأمة المصرية لجهاد الحملة الفرنسية. (عمارة، محمد: شخصيات لها تاريخ، دار السلام، القاهرة ٢٠٠٨م، ص١٤٧-١٥٠).

(٢) عمر المختار: عمر بن مختار بن عمر المنفي: أشهر مجاهدي طرابلس الغرب في حربهم مع المستعمرين الايطاليين. من قبيلة " المنفة " أحد قبائل بادية برقة. ولد في البطنان (ببرقة) تلقى التربية والتعليم في الزاوية السنوسية بالجغبوب، وأقامه محمد المهدي الإدريسي شيخا على " زاوية القصور " بالجبل الأخضر بقرب المرج. وسافر معه إلى السودان سنة ١٣١٢ هـ، فأقيم بها شيخا لزاوية "كلك " إلى سنة ١٣٢١ هـ وعاد إلى برقة شيخا لزاوية القصور، فأقام إلى أن احتل الطليان مدينة بنغازي (سنة ١٣٢٩ هـ) فكان من أهم زعماء الجهاد. حتى اسر وأعدم على يد الايطاليين. (الزركلي: الأعلام،٥/٦٦).

(٣) عبد القادر الجزائري: عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري: الأمير، المجاهد، من العلماء الشعراء. ولد في وهران بالجزائر وتعلم بها. وحج مع أبيه سنة ١٢٤١ هـ، فزار المدينة ودمشق وبغداد. ولما دخل الفرنسيين الجزائر (سنة١٢٤٦ هـ - ١٨٤٣ م) بايعه الجزائريون فتزعم حركة الجهاد وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية. وكان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة كبيرة. وعندما هادن سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام فرنسا، ضعف أمر عبد القادر، فاضطر للاستسلام سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٧٤ م) فنفوه إلى طولون، ومنها إلى أنبواز حيث أقام نيفا وأربع سنين. أطلق شرط عدم العودة إلى الجزائر. استقر في دمشق سنة ١٢٧١ هـ، وتوفي فيها. من مؤلفاته: ذكرى العاقل ورسالة في العلوم والأخلاق، والمواقف في التصوف. (الزركلي: الأعلام،٤/٤٥).

(٤) محمد أحمد بن عبد الله، المهدي السوداني: الإمام العالم الصوفي ولد في جزيرة تابعة لدنقلة، من أسرة هاشمية. كان أبوه فقيها، فتعلم منه القراءة والكتابة. وحفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره. ومات أبوه وهو صغير، فعمل مع عمه مدة قصيرة، وذهب إلى الخرطوم، فقرأ الفقه والتفسير، والتصوف. وانقطع في جزيرة في النيل الأبيض، مدة خمسة عشر عاما للعبادة والدرس والتدريس. وكثر مريدوه، واشتهر بالصلاح. وتلقب سنة ١٢٩٨ هـ/١٨٨١ م بالمهدي المنتظر وكتب إلى فقهاء السودان يدعوهم لنصرته. وانبث أتباعه -ويعرفون بالدراويش- بين القبائل يحضون على الجهاد. وأرسلت الحكومة المصرية جيشا لقتاله فهاجمه نحو ٥٠ ألف سوداني وهزموه. واستولى المهدي على مدينة (الأبيض) سنة ١٣٠٠ هـ. وهاجمه جيش مصري ثالث بقيادة هيكس باشا Hicks فأبيد. وهاجم بعض أتباعه الخرطوم وفيها غوردن باشا Charles George Gordon فقتلوه وحملوا رأسه على حربة (سنة ١٣٠٢ هـ) وانقاد السودان كله للمهدي. وكان فطنا فصيحا قوي الحجة، وقطن المهدي أم درمان المقابلة للخرطوم، مات بالجدري في أم درمان وقد أوصى بالخلافة من بعده لعبد الله التعايشي. (الزركلي: الأعلام،٦/٢٠).

ومحمد عبد الكريم الخطابي(ت ١٩٦٣ م)[١] في المغرب وغيرهم. [٢]والشريف إسماعيل بن حسن المكي النقشبندي الذي قاد حملة عسكرية شعبية في أغسطس عام ١٨٤٤م لتحرير عدن من الانجليز[٣]. وفي الصومال الشيخ محمد عبدالله حسن وفي موريتانيا الشيخ ماء العينين وابنه الهيبة وفي السنغال الشيخ عمر التكروري واحمد حبيب الله وفي نيجيريا عثمان فودي وفي مالي الشيخ حمى الله الشريف[٤].

٣- الدور الاجتماعي: كان مشايخ التصوف هم قادة المجتمع (القادة الشعبيون) سلوكاً وتوجيهاً وقدوة حسنة، كما كانت الأربطة والزوايا الصوفية أماكن إطعام الطعام للفقراء والمساكين[٥]، وإيواء للمحتاجين وعابري السبيل،

---

(١) محمد بن عبد الكريم الخطابي: زعيم ثورة الريف المغربي. ولد في بلدة أجدير في بيت علم وجهاد، حفظ القرآن وتعلم بفاس. قاتل الأسبان، وانتصر بعدة معارك فأنشاء جمهورية الريف وخاف الفرنسيون امتداد الثورة إلى داخل المغرب فحالفوا الأسبان. وأطبقت عليه الدولتان، فاستسلم مضطرا إلى الفرنسيين في ٢٥ مايو ١٩٢٦ /١٢ ذي القعدة ١٣٤٤ ونفي إلى جزيرة (رينيون) في بحر الهند، شرقي إفريقية حيث مكث عشرين عاما. وتوفي في القاهرة. (الزركلي: الأعلام،٦/٢١٦).

(٢) الخطيب، البطولة والفداء، ١١٠ -١٢٠ ؛ رزق، خانقاوات الصوفية ،١٢٨ -١٤٠ ؛ الزوبي، ممدوح، الطرق الصوفية، ظروف النشأة وطبيعة الدور، دار الأهالي، دمشق ٢٠٠٤، ص١٥٠ ؛ الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ١٧٧-١٨٠؛ الندوي: ربانية لا رهبانية، ٨٧؛ ابو خليل، شوقي: الاسلام وحركات التحرر العربية، دار الفكر، دمشق (د.ت)، ص٢١ -٢٩.

(٣) العبدلي، احمد فضل، (ت١٩٤٣م): هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥١هـ، ص١٤٩.

٤) الخطيب، البطولة والفداء، ١٩٨ وما بعدها.

(٥) ينظر على سبيل المثال: الشرجي، طبقات الخواص، ٨٩،٢٠٥ ؛البريهي: صلحاء اليمن، ٣٢،٢٩٩ومابعدها.

وكان لمشايخ الصوفية دور في إصلاح ذات البين بين الناس، وبين الناس والحكام بالخدمة والتوسط، والمدافعين عن الناس أمام الأمراء والحكام كما كان الشيخ أحمد بن علوان (ت ٦٦٥ هـ) [(١)] رحمه الله على سبيل المثال.[(٢)] بل أحياناً مواجهة السلطة عند انحرافها أو شعورهم بانحرافها[(٣)]. واللافت أن السلطة تعجز عن الانتقام منهم كما حدث مع الشيخ سفيان بن عبد الله الأبيني (ت القرن ٦هـ)[(٤)]. كذلك أدوا دور الحسبة في المجتمع والإنكار على أهل المنكر من أبناء الدنيا [(٥)]. وفي محاربة شرب الخمور حتى أمام السلاطين[(٦)].

٤- الدور الاقتصادي والتجاري: كانت بعض الأربطة والتكايا مراكز لتعليم المهن مثل صنع المكانس والقناديل وصنع المشروبات وعصير الفواكه

---

(١) أحمد بن علوان، أبو العباس، صفي الدين: الإمام الفقيه الصوفي. المشهور بالكرامات، من قرية يفرس من ضواحي مدينة تعز. قرأ النحو واللغة ونظم الشعر وعمل كاتبا في بعض الدواوين السلطانية كما كان أبوه من قبله. وألف كتبا، ورسائل، منها: التوحيد الأعظم والفتوح المصونة والأسرار المخزونة، والبحر المشكل الغريب، وله ديوان شعر. (ابن علوان، احمد (ت٦٦٥هـ): التوحيد الأعظم، تحقيق/ عبد العزيز المنصوب، (د.ن) صنعاء٢٠١٣م، ص١٣ وما بعدها (المقدمة)؛ الزركلي: الأعلام، ١/ ١٧٠).

(٢) ينظر على سبيل المثال: الشرجي: طبقات الخواص، ٢٧٠ – ٢٧٤، ٢٨٠؛ بامخرمة: ثغر عدن، ٦١،

(٣) الشرجي: طبقات الخواص، ١٠٠، ١٠١، ١٩٩.

(٤) بامخرمة: ثغر عدن، ١٢٥؛ الشرجي: طبقات الخواص، ١٤٦- ١٤٨. سفيان بن عبد الله الابيني: فقيه عالم فاضل، اشتغل في أول حياته بالعلم ثم تفرغ للعبادة والزهد حتى ظهرت عليه علامات القبول والولاية التي تناقلها عنه المؤرخون. اشترك في الجهاد ضد الصليبيين في دمياط توفي في لحج شمال عدن.(الشرجي: طبقات الخواص، ١٤٦- ١٤٨).

(٥)بامخرمة: ثغر عدن: ١٤٥، الشرجي: طبقات الخواص، ١٧٦؛ البريهي، صلحاء اليمن،٢٧٦،٩٦.

(٦) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ١/ ٣٦٨؛ الشرجي: طبقات الخواص، ٩٥، ٩٦، ١٨٠ – ١٨٢.

كذلك تعليم الفنون الجميلة كفن الخط والحفر على الخشب والموسيقى وصنع الخزف الصيني. وبلغ مجموع المهن التي تعلم في بعض التكايا ١٨مهنة.[١]

٥- الأسلوب التربوي: كانوا يحرصون على معاملة طلابهم ومريديهم كما يعاملون أولادهم ويطعمونهم كما يطعمون أولادهم مثلما حدث مع أحد المشايخ عندما أرادت زوجته أن تطعم ابنها المريض فروجاً. فقال لها: أن تعمل لكل واحد من المريدين لديه فروجاً وإلا فلا تفعل ذلك لولدها [٢]. كما كان بعضهم يمتاز بالصبر العظيم على الطلبة مع سهولة الأخلاق واللين معهم[٣]. إلا أن بعضهم كان يستخدم أسلوب الضرب لطلابه عند تأخرهم عن الصلاة وخاصة صلاة الصبح، وهذا من قبيل تشددهم في التمسك بالشريعة [٤].

علماء التزكية ودورهم العلمي والدعوي في عهد الدولة الرسولية أنموذجا[٥]:

يستطيع الاستقراء التاريخي لتراجم عشرات من علماء التزكية والتربية والسلوك— ما يربو عن ستين ترجمة- أن يقدم صورة كلية عامة عن أهمية هؤلاء العلماء ودورهم، وكثير من الحقائق التاريخية العامة:

---

(١) اوقويوجو، جيهان: مولانا جلال الدين الرومي، ترجمة اورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٩م، ص٦٠.

(٢) الخزرجي: العقود، ١/٢٥٦، ٢٥٧.

(٣) الشرجي: طبقات الخواص، ١٨٨.

(٤)الخزرجي: العقود، ١/ ٢٥٧.

(٥) من بحث قدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب جامعة تعز٢٠٠٩. نشر كتاب تعز عاصمة الثقافة، مايو٢٠٠٩م.

١- كان علماء التزكية (التصوف) علماء مبرزين وأحياناً يترأسون كثيراً من العلوم الأخرى سواء الشرعية أو غير الشرعية، مثل علم الفقه، وهو الشرط الأساسي للتصوف أن يتفقه المريد، وعلم القراءات والأصول والكلام والفرائض والحديث والحساب والفلك وغيرها[١]. والمعتاد أنهم يبدؤون بالفقه ثم يتخصصون أكثر في التصوف والتزكية[٢].بعد أن يتلقوا علومهم من كبار علماء عصرهم[٣]. ولهذا كانت القاعدة الأساسية هي في الجمع بين الفقه والتصوف.

٢- بهذا المستوى العلمي الرفيع كانوا من العلماء العاملين المعلمين الذين ينشرون العلم ويمارسون تدريس مختلف العلوم الشرعية الإسلامية [٤]. ويبنون الأربطة المتعددة والمساجد في المناطق اليمنية المختلفة، كمراكز

---

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الخزرجي: العقود اللؤلؤية ؛ الشرجي: طبقات الخواص، ص١٧٢-١٧٦، ٢٩٠، ٣٢٩، ٣٩٨، ٥٤- ٥٦ ؛ البريهي: طبقات صلحاء ،ص ٢٣، ٢٤، ٦٧، ٦٨، ١٦٩ ؛ بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ٢٤٦، ٤٧، ٢٥٤، ٦١، ٦٢، ١٤٣ — ١٤٥، ١٨٩.

(٢) الشرجي: طبقات الخواص، ٤٣، ٤٤، ٨٨، ٩٥، ١٢٧؛ ١٢٨؛ الخزرجي: العقود اللؤلؤية،١/٢٣٧؛ البريهي: صلحاء اليمن: ٢٢٦، ٢٢٧.

(٣) انظر على سبيل المثال: الخزرجي : العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٤) ينظر على سبيل المثال : الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق / محمد بن علي الأكوع، مكتبة الارشاد، جـ١ صنعاء(د.ت)، ص٤٧٨ ؛ الشرجي، طبقات الخواص، ٩٥، ٥٧ ؛ البريهي: صلحاء اليمن: ٦٧، ٦٨، ٩٦، ٩٩. ؛ بامخرمة: ثغر عدن، ٦١،٦٢ . ودورهم هذا في اليمن يتوافق مع دورهم التاريخي في الأقطار الإسلامية المختلفة آنذاك. أنظر على سبيل المثال : ابن حجر:الدرر،١/٣٥٢،٣١٥ ؛السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (د.ن) بيروت (د.ت) ،المجلد ٤ص٢٣٨ -٢٤٥ ؛ الندوي : ربانية لا رهبانية،٧٥ وما بعدها.

علمية وتربوية[1]. وقد تميزوا بحسن الخلق ولين الجانب وسماحة النفس وبذل الجاه والمال والتقلل من الدنيا والزهد بها وعدم الأكل إلا بعد تيقن الحلال[2].

٣- تمتع علماء التزكية بعلاقات ودية وطيبة فيما بينهم فكانوا يتبادلون الزيارات الودية والمراسلات فيما بينهم. تحقيقاً لتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم (أفشوا السلام بينكم) [3]. كما كان بعضهم مرتبط بعلماء تزكية خارج اليمن على مستوى العالم الإسلامي.

٤- من المعتاد أن عالم التزكية قبل أن يخرج إلى الحياة العامة للتدريس والدعوة إلى الله. كان يمر في فترة تستطيع تسميتها فترة دورة التدريب الروحي، للرقي بالروح وهي تشمل التفرغ للعبادة والخلوة والانقطاع والتجرد والعزلة والسياحة[4]. وهذه فترة مهمة لطالب التزكية حيث يتمكن من خلال هذه المجاهدات والرياضات في الصيام والقيام من كسر هوى النفس والتحكم بها وملك زمامها. ويلاحظ أن عالم التزكية بعد هذه الفترة يمتلك قوة تأثير روحي

(١) الخزرجي، العقود ،١/٣٦٨ ؛ بامخرمة : ثغر عدن ،٦١،٦٢ ؛ البريهي: صلحاء اليمن، ٩٦-٩٩، ٢٤٥.

(٢) الشرجي: طبقات الخواص، ٩١،١٨٨،٢٠٥،٢٦٧،٢٦٨؛ البريهي :صلحاء اليمن، ٢٩٩-٣٠١،٦٧،٦٨،٩٦،١٦٩.

(٣) انظر على سبيل المثال: بامخرمة: ثغر عدن، ١٢٥؛ الشرجي: طبقات الخواص، ١٤٦ – ١٤٨، الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ١/ ٣٢٩.

(٤) انظر على سبيل المثال: الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ١/ ١٣٨٩ ؛ لشرجي: طبقات الخواص، ٢١٣.

كبير على الناس مما يساعده في الدعوة إلى الله وفي التفاف الناس حوله[1].

وهذه الحقائق التاريخية تنفي زعم البعض أن التصوف هو انسحاب من المجتمع واعتزال عن قضاياه. بينما الاستقراء التاريخي يشير أن علم التزكية (التصوف) كان هو المنهج الإصلاحي للمجتمع ومعالجة قضاياه. فلا يصح لداعية الخروج إلى الحياة والمجتمع إلا وقد تجرد من حب الدنيا وأمراض النفس فلا يشترى بالمال أو يغرى بالنساء أو بالمناصب، ولكن يكون عمله لله احتساباً[2].والجدير بالذكر أن المؤرخ الانجليزي ارنولد توينبي (ت١٩٧٣م)[3] رصد وجود فترة للانعزال والخلوة عند العظماء والمصلحين للشعوب فيما يقرب من عشرين حضارة إنسانية قام بدراستها.

٥- كان من المعتاد أحياناً أن يكون للشيخ الواحد عدة أربطة في مدن اليمن المختلفة تدرس فيها علوم الشريعة[4]. كذلك كانوا يبنون ويعمرون المساجد والمدارس المختلفة[5].

---

(١) عن أهمية هذه المجاهدات ينظر على سبيل المثال: حوى، سعيد: تربيتنا الروحية، (د.ن)، القاهرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١١٩ وما بعدها.

(٢) السهروردي، أبو حفص عمر بن محمد (ت٦٣٢هـ) : عوارض المعارف، مكتبة القاهرة، القاهرة: ٢٠٠٤، ص٣٨٥ ؛ ينظر أيضا الدراسة التاريخية التي قدمها ماجد عرسان الكيلاني والتي تؤكد هذه الحقيقة : هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، مرجع سابق.

(٣) ارنولد توينبي: مؤرخ انجليزي ولد عام١٨٨٩ له العديد من المؤلفات منها تاريخ الحضارة الهلينية ومحاكمة الحضارة وغيرها، لكن أهمها كتابه: دراسة للتاريخ. وله نظرية في تفسير التاريخ اسماها التحدي والاستجابة (الشيخ، رأفت: تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات، القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٩٣).

(٤) ينظر على سبيل المثال: بامخرمة، ٦١، ٦٢ ؛ الخزرجي: العقود، ١/ ٣٦٨.

(٥)البريهي: صلحاء اليمن، ٩٦- ٩٩، ٢٤٥.

٦- تميز علماء التزكية بإطعام الطعام وبسط موائد الأكل للمحتاجين والفقراء والطلاب [١]، كما كان من المعتاد أن الشيخ المربي يقوم بكفاية طلابه ومريديه من المسكن والمأكل[٢]. ويذكر أنه اجتمع عند أحدهم في ليلة من ليالي الغلاء ثلاثة ألاف نسمة [٣].

٧- كان الملوك والأمراء يطلبون ود علماء التزكية (التصوف) فيقومون بزيارتهم ومواصلتهم، والتعظيم من قدرهم، ويقبلون شفاعتهم، بل ويحاولون إعفاءهم من الضرائب أحياناً إذا كان أحدهم يملك ما سيتحقق الضريبة عليه. فيرفضون ذلك [٤]. على أنه أيضاً اشتهر منهم من كان يتجنب الملوك والأمراء ويتجنب أخذ الأموال منهم بل ويردها [٥]. وربما كان تقرب الملوك والأمراء منهم لمعرفتهم أنهم يحوزون على رضا شعبي كبير، وبالتالي فإنهم يتقربون إلى الناس بذلك.

٨- كان منهم من يتولى القضاء، مع كامل الزهد والعدل والورع [٦]. ومنهم من تولى الوزارة [٧]. ومنهم من تولى كتابة الإنشاء والوقف والوصايا [٨]. وسجل عنهم المؤرخين أنهم كانوا محمودي السيرة، وهم في أعلى المناصب الرسمية.

---

(١) ينظر على سبيل المثال: الشرجي، طبقات الخواص، ٨٩،٢٠٥ ؛ البريهي: صلحاء اليمن، ٣٢،٢٩٩ومابعدها.

(٢) الشرجي: طبقات الخواص، ٢٨٩ – ٢٩٠.

(٣) الشرجي : طبقات الخواص، ٥٠.

(٤) الجندي: السلوك: ١/ ٤٧٨، الشرجي: طبقات الخواص، ٥٧، ٨٨، ٩١، ٢٠٥.

(٥) ينظر على سبيل المثال: البريهي: صلحاء اليمن، ٤٣، ٢٤٥، ٢٦٤- ٢٧٠.

(٦) الخزرجي: العقود، ١/ ٢٥٢ – ٢٥٣، ٢٠١، ٢٠٢، الشرجي: طبقات الخواص، ٩٥- ١٠١؛ البريهي: صلحاء اليمن، ٩٠ – ٩٢، ٩٦.

(٧) البريهي: صلحاء اليمن، ٢٢، ٢٣.

(٨) البريهي: صلحاء اليمن، ٢٤.

٩- تمتع علماء التزكية بحب جمهور الناس واحترامهم وتقديرهم، وكان لهم تأثير على القلوب [(١)]، حتى أن قطاع الطرق كانوا يجلونهم أن يسرقوهم أو يسلبوهم شيء بفضل وجاهتهم الروحية. ولأجل ذلك كان إذا حج أحدهم يحج معه الخلق الكثير طلباً لأمان الطريق وتبركاً بهم [(٢)].

١٠- لم يقتصر علم التزكية (التصوف) على مذهب معين، مثل الشافعية السنة، بل كان يعم اليمن كلها شافعية وزيدية، عملاً وتأليفاً وتدريساً [(٣)].

١١- ظهر من أدعى التصوف ثم مارس أعمالا مخلة بالشرع الحنيف، إلا أن هذا كان من شواذ السياق التاريخي العام، كما كان علماء التزكية أنفسهم من يرد عليهم ويبين خطاء مسلكهم [(٤)].

١٢- كان طلاب العلم لا يأخذون علومهم بالتلقي إلا ممن علموا استقامته وحسن سيرته، وتحققوا من دينه وأمانته. وما لم يتأكدوا من ذلك كانوا يرفضون الدراسة أو التلقي منه بشيء من العلم [(٥)].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: البريهي: صلحاء اليمن، ٩٠ — ٩٢، ١٩٦ — ١٧١.

(٢) ينظر على سبيل المثال: الجندي: السلوك: ١/ ٤٧٨ — ٤٨٠ ؛ الخزرجي: العقود، ٢٥٧/١ — ١٦٠ ؛ الشرجي: طبقات الخواص، ٥٧- ٦٤، ١٨٨، ٣٨٦.

(٣) ينظر على سبيل المثال: البريهي: صلحاء اليمن، ٢٢- ٢٤ ؛ المهدي: تكملة الأحكام، ١١ -٣٠. كان لأهل المذهب الزيدي وأئمته باع طويل مع التصوف سلوكاً وتأليفاً، حيث اهتموا بالجانب القلبي والتربية الاحسانية كذلك كان لهم علاقات طيبة مع التصوف السني ما لم تفسده السياسة في بعض الأحيان كما كان حال الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة (ت٧٤٩هـ) وغيره من الأئمة. حيث تواجد بصنعاء زوايا وأربطة صوفية تهتم بالتربية الاحسانية. ينظر: الشوكاني: البدر الطالع، ج١ص٣٨٨،٤٠٣،١٨٧،ج٢ص٣٩١،٢٧٧،٢٦،ج٣ص٩٨ ؛ المنصوب، عبد العزيز سلطان: العارف بالله عبد الهادي السودي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤من ص٦٠، ٦١؛ الحبشي: الصوفية والفقهاء، ٦٣ -٧٠.

(٤) الأهدل: كشف الغطاء، ص١٧٠.

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ،١/١٧٣.

محاربة التصوف:

شاهد الاستعمار ما للتصوف كعلم للتزكية والتربية والسلوك من تأثير قوي وفاعل في الشعوب الإسلامية، وكيف كان قادة الجهاد ضد الاستعمار وجيوشه هم علماء الاسلام من أهل التصوف من هداية الله في إندونيسيا إلى عمر مكرم في مصر إلى عز الدين القسام وغيرهم من أبطال الإسلام. لذلك نفذ الاستعمار خطة خطيرة جدا لضرب الإسلام من خلال ضرب التصوف لتجريد المسلمين من عوامل قوتهم وتمسكهم بالإسلام المقاوم للهيمنة الاستعمارية. وكان أبرز مظاهر هذه الخطة كالتالي:

١- فصل المدرسة عن المسجد للحد من دور الإسلام في تربية الأجيال. واستهداف المسجد بمجموعات استخباراتية تتمظهر بمظهر التدين لاحتواء الشباب الذي يرتاد المساجد وتنظيمهم في تنظيمات دينية تخضع لتوجيه الاستخبارات.

٢- حذف علم التزكية (التصوف) من مقررات المدرسة فتحول دراسة الدين إلى مجرد حفظ نصوص.

٣- توظيف خريجي المدرسة وعدم توظيف خريجي المساجد والأربطة فأصبح الناس يرسلون أبناءهم للمدرسة وتركوا المسجد والرباط.

٤- تشويه سمعة التصوف والصوفية من خلال حملة ضخمة من الكتاب والصحفيين وحتى المشايخ المأجورين. يقول روير Ruyer (ت١٩٨٦م):[1] "في

(١) مالك بن نبي: القضايا الكبرى،١٩٦. ريموند روير (١٩٠٢-١٩٨٦م): فيلسوف فرنسي، اهتم بفلسفة علم الأحياء وفلسفة تقنية المعلومات.(ويكيبيديا: ريموند روير).

كل مرة يراد فيها خلع نظام من القيم يكفي وصفه أو التكلم عنه بكلمات غير مناسبة". ولأجل ذلك تم تسليط آلة إعلامية ضخمة وجماعات اسلامية مرتبطة بالمخابرات البريطانية لتشويه سمعة التصوف بكافة الوسائل الإعلامية المختلفة.

٥- محاولات اختراق الصوفية والدس فيهم لتقديم نماذج مشوهة وللسيطرة عليهم وترويضهم. وضرب الوحدة الروحية والمعنوية للأمة.

٦- تشجيع وزرع الأفكار والعقائد المشتتة للأمة والمبعدة لها عن الإسلام مثل القومية والماركسية والعلمانية.

٧- تصنيع جماعات إسلامية تقدم إسلاماً مزيفاً، إما إسلاماً ليبرالياً يقبل الفكر الغربي أو إسلاماً تكفيرياً، للسيطرة على عوام المسلمين وتوجيهها بالشكل المناسب لهم، ولمصالحهم. وتحقيقا لتمزيق وحدة المسلمين.

التاريخ الروحي والإيماني للمسلمين:

حقيقة تاريخ المسلمين وسر حيويته هو في التاريخ الروحي والإيماني، تاريخ الرجال الذين حملوا وراثة النبي -صلى الله عليه وسلم-. تاريخ العلماء المصلحين، العلماء الربانيين الذين كانوا يؤدون دور وراثة النبي صلى الله عليه وسلم في إصلاح المجتمع والدعوة إلى المحبة (محبة الله ومحبة خلقه) والتسامح والتربية على منهج التزكية النبوي. فكان لهم التأثير البالغ على المجتمعات والشعوب الإسلامية. ويمثل دراسة هذا الجانب في الحضارة الإسلامية حقيقة جوهر وطبيعة وروح الحضارة الإسلامية أو ما يسميه البعض التكوين الوجداني للشخصية الحضارية[1]. من هؤلاء الرجال

(١) هذا المنهج في دراسة الحضارة الإسلامية دعا إليه عفت الشرقاوي. (الشرقاوي، عفت: في فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت١٩٨٥م، ص ٢٠).

على سبيل المثال الحسن البصري ودوره الإصلاحي الهائل، والإمام علي زين العابدين (ت٩٤هـ)[١] والإمام جعفر الصادق، ورابعة العدوية (ت١٣٥ هـ) [٢]

ونفيسة بنت الحسن (ت ٢٠٨ هـ) [٣]، وإبراهيم بن أدهم وإبراهيم الخواص وبشر الحافي والجنيد بن محمد والحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ)[٤]والقشيري[٥]

---

(١) زين العابدين: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن: رابع الأئمة الاثنا عشر عند الأمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. مولده ووفاته بالمدينة. كان مع والده الإمام الشهيد الحسين في كربلاء مرضا فلم يقاتل، أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا، فكانوا نحو مئة بيت. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٨٨/٤،).

(٢) رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: العابدة الناسكة، من أهل البصرة، ومولدها بها.: من كلامها: "اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم" وتوفيت بالقدس. (الزركلي: الأعلام،١٠/٣).

(٣) السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب: صاحبة المشهد المعروف بمصر. تقية صالحة، عالمة بالتفسير والحديث. ولدت بمكة، ونشأت في المدينة، وتزوجت إسحاق المؤتمن ابن جعفر الصادق. وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها. حجت ثلاثين حجة. وكانت تحفظ القرآن. وسمع عليها الإمام الشافعي. وكان العلماء يزورونها ويأخذون عنها، وهي أمية، ولكنها سمعت كثيرا من الحديث. (الزركلي: الأعلام،٤٤/٨).

(٤) المحاسبي، الحارث بن أسد أبو عبد الله: الامام الفقيه، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. يعد من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مؤثرا له مؤلفات في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من مؤلفاته آداب النفوس، والمسائل في أعمال القلوب والجوارح، الرعاية لحقوق الله عز وجل. (الأصفهاني، أبو نعيم احمد: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ، ج١٠ص٧٣؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق/ بإشراف شعيب الارناؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م، ج١٢ص١١٠).

(٥) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري: الشافعي الصوفي المفسر، كان إماما قدوة في الزهد والتربية والسلوك والعلم، وشيخ خراسان في عصره، له العديد من المؤلفات أهمها الرسالة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء،٢٩٨/١٨).

(ت٤٥٦هـ) والسهروردي أبو عمر(ت٦٣٢هـ)[١] والإمام الغزالي والإمام الجيلاني (ت٥٦١هـ)[٢] والإمـام الشـاذلي (ت٦٥٦هـ)[٣] والمرسـي أبـو العبـاس[٤] (ت٦٨٦هـ)[٥] وعبـد الله بـن اسـعد اليـافعي(ت٧٦٨هـ) [٦] وإبـراهيم المتبـولي

---

(١) شهاب الدين عمر السهروردي البكري البغدادي: صاحب أحد أهم كتب التصوف عوارف المعارف، اخذ العلم والتصوف من عمه ابو النجيب وصحب فترة الإمام عبد القادر الجيلاني، قال عنه الذهبي: "الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام". (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٧٣/٢٢).

(٢) الجيلاني، عبد القادر بن موسى الحسني: الإمام الزاهد المجدد، ولد في جيلان، وارتحل إلى بغداد شابا وطلب العلم وسلك التصوف حتى برز واشتهر وانتفع به جمهور المسلمين (للمزيد عنه أنظر: التادافي، محمد بن يحيي: قلائد الجواهر، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة٢٠٠٤ ص٤ -٨٠؛ الندوي: رجال الفكر ،٣١٩/١ وما بعدها).

(٣) عبد الحليم محمود: قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، ٧٥. أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المغربي: الإمام الصوفي الزاهد إليه تنتسب الطريقة الشاذلية في التربية والسلوك، ولد بالمغرب وتفقه وتصوف بتونس ثم سكن الإسكندرية داعيا إلى الله ومربيا، خرج مجاهدا للصليبيين في معركة المنصورة رغم انه كان ضريرا، توفي بصحراء عيذاب وهو متوجها للحج. (الذهبي، شمس الدين محمد: العبر في خبر من غبر، تحقيق/ صلاح الدين المنجد، (د.ن)، الكويت١٩٨٤، ج٥ص٢٣٢؛ محمود، عبد الحليم: قضية التصوف ،١٥-١٢٠).

(٤) المرسي ابو العباس: الفقيه الامام المربي، ولد بالأندلس تلقى العلم والتصوف من الإمام ابو الحسن الشاذلي، احذ مشيخة الطريقة الشاذلية بعد وفاة شيخه، سكن الإسكندرية وظل فيها معلما ومربيا لعدد كبير من العلماء والصالحين، من أبرزهم الإمام ابن عطاء الله السكندري. (إبراهيم، مجدي محمد: ابو العباس مرسي، مذهبه وآراءه الصوفية، دار الكتب العلمية، القاهرة ٢٠١٤م؛ عبد الحليم محمود: العارف أبو العباس مرسي، دار الكاتب العربي، القاهرة١٩٦٩م).

(٥) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي، ولد بمدينة مرسيه في الأندلس عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، يتصل نسبه بالصحابي سعد بن عبادة. حفظ القرآن الكريم في سنة واحدة وتعلم بالأندلس أصول الفقه والقراءة والكتابة، ومارس التجارة مع والده إلى أن قابل الشيخ أبو الحسن الشاذلي في عام ٦٤٠هـ فأخذ منه التصوف والتربية والسلوك إضافة إلى الفقه والتفسير والحديث والمنطق والفلسفة وانتقل معه إلى مصر عام ١٢٤٤م. اشتغل بالتربية والدعوة وورث مقام شيخه حتى وفاته بالإسكندرية.(محمود: قضية التصوف، ١٧٥ وما بعدها).

(٦) أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني ثم المكي الشافعي، شيخ الحجاز ولد بعدن فاشتغل بالعلم وحببت إليه الخلوة والانقطاع والسياحة في الجبال وصحب الشيخ على الطواشي وهو الذي سلكه طريق التصوف ثم لازم العلم ثم جاور بمكة وتزوج بها. كان إماما يسترشد بعلومه ويقتدى وعلما يستضاء بأنواره ويهتدى له الكثير من المؤلفات في أنواع العلوم إلا أن غالبها صغير الحجم. وكان يصرف أوقاته في وجوه البر وأغلبها في العلم كثير الإيثار والصدقة مع الاحتياج متواضعا مع الفقر مترفعا عن أبناء الدنيا معرضا عما في أيديهم وكان نحيفا ربعة من الرجال مربيا للطلبة والمريدين (الشرجي: طبقات الخواص،١٧٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب،٢٠٩/٦).

(ت٨٧٧هـ)[١]. ومولانا جلال الدين الرومي[٢] وغيرهم الكثير مما تزخر به كتب التراجم.

نموذج المدرسة الإسلامية وأزمة التعليم المعاصر

يعاني التعليم المعاصر من أزمة الاهتمام بالعقل، وقصور برامجه ونشاطه على تنمية وتنشيط القدرات العقلية فقط. والإغفال الكامل للقلب والروح وارتباطهم بالله عز وجل وبالنبي صلى الله عليه وسلم. مما يدفع إلى تخرج أجيال تعاني من خلل تربوي خطير. فنرى صور هذا الخلل في الانحطاط الأخلاقي وتدهور القيم في المجتمع لفقدان المدرسة والجامعة لدورهما التربوي الهام في بناء إنسان متكامل عقلياً وروحياً. رغم أن قانون الجامعات ينص صراحة على أهمية البناء التربوي للطالب وأنه جزء من العمل الجامعي والوظيفة الجامعية.

---

(١) الإمام المربي إبراهيم بن علي بن عمر المتبولي الأحمدي من بلده متبول من الغربية قدم إلى القاهرة وتربى على يد الشيخ إبراهيم الغنام وأخذ عن الشيخ يوسف البرلسي الأحمدي وانتفع بصحبته. امتلك مزرعة كان ينفق منها على طلابه وزواره، أنشأ زاوية كبيرة للجمعة والجماعات وأنشأ جامعاً كبيراً بطنطا وكثر طلابه، وكان كبار الدولة ومن دونهم يزورونه للتبرك به، عرف بالكثير من الكرامات. وتزاحم الناس عليه في الشفاعات وكان يزودهم برسائلها او يتوجه هو بنفسه في المهم منها. توفي أثناء توجه لزيارة القدس والخليل بمكان بين غزة والرملة. (السخاوي: الضوء اللامع، ٥٢/١).

(٢) الرومي: محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي؛ المعروف بمولانا جلال الدين الرومي. العالم والفقيه المربي. عرف بالرومي لأنه قضى معظم حياته لدى سلاجقة الروم في تركيا الحالية. انتقل مع أبيه واستقر في قونية في عام ٦٣٢ هـ / ١٢٢٦م حيث لقي الرعاية من الأمير السلجوقي "علاء الدين قبقباذ"، واختير للتدريس في أربع مدارس بـ"قونية". يعد من ابرز مفكري الإسلام. ابرز مؤلفاته المثنوي.(الندوي: رجال الفكر ،٣٩١-٤٠٠).

أما التعليم في تاريخنا الإسلامي وفي الحضارة الإسلامية الزاهية، فكان يسير على المنهج النبوي في التربية والتعليم من حيث البناء العقلي والروحي معاً للطالب والتلميذ [1].

فالعلم الشرعي ليس مجرد معلومات بل هو سلوك وتربية وممارسة، وهذا هو الجانب الصوفي في العملية التعليمية، فالطرق الصوفية هي مدارس تربوية روحية. وكان هذا المنهج النبوي سائداً. [2]

والواقع اليوم يشير أننا ندرس الدين الإسلامي على الطريقة الغربية. وهذا من آثار الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي حيث تحولت دراسة الإسلام والشريعة من المسجد بما فيه من جوانب سلوكية وروحية تطبيقية ومن لقاء بين الأستاذ والطالب خمس مرات في اليوم هي عدد الصلوات الخمس والمشاركة في الحياة الاجتماعية في أفراحها وأتراحها بين الأستاذ وتلميذه مما جعل المجتمع المسلم في لحمة واحدة، إلى المدرسة التي حددت ساعات لقاء معين بنظام حفظ للمعلومات دون تطبيقها سلوكياً وانفصام كامل بين الأستاذ وطلابه ومنعت المدرسة من أن تصبح مسجدا للعلم والعبادة معاً للعلم والتطبيق معاً للعلم والسلوك معاً.

فتحول تعليم الدين إلى مجرد نظام للمعلومات وليس نظام تربية وتعليم وفقدت علوم الشريعة أهم علم من علومها وهو علم التزكية "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

---

(١) ينظر على سبيل المثال: الخزرجي: العقود، ٢/ ٢٠٢.

(٢) ينظر على سبيل المثال: ماجد عرسان الكيلاني: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ١٧٧ وما بعدها.

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" آل عمران ١٦٤ وهو العلم الذي يهتم بالجانب العملي والقلبي والروحي والسلوكي للدين.

ولا نهضة إلا بجعل المدارس مساجد تقام فيها الصلوات والدروس والعلم معاً ما لم فإن هذا الفصل المتعمد بين العلم والسلوك يجعل من العلم مجرد نصوص يضيع حافظه كما جاء في الكتاب "كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا".

من الفن الإسلامي الجميل: مدح النبي منهج قرآني وعمل صحابي وضرورة تربوية ووسيلة دعوية مهمة:

من أهم وسائل الدعوة التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم هي قصائد المديح له، حيث كانت تنتشر في العرب كانتشار النار في الهشيم، مما كان يبعث في نفوسهم الشوق لرؤية هذا النبي الكريم، فيذهبون إلى المدينة ويشهرون إسلامهم. وبالفعل كان الشعر والقصائد أهم وسائل الإعلام في ذلك الزمان.

يحتاج الإنسان من الناحية النفسية إلى قدوة يقتدي بها، تتمتع هذه القدوة بخصائص وصفات ممجدة وممدوحة حتى يقتدي بها من يسمع هذا المديح الممجد.

والقدوة هامة في حياة كل إنسان، وكل إنسان يتخذ قدوة شاء أم أبى، عن وعي أو عن غير وعي. وللأسف يتخذ اليوم شبابنا وبناتنا قدوة لهم بوعي منهم أو بغير وعي الفنانين والفنانات وأهل الخلاعة والعري والمجون، وأهل السلوك والألفاظ والمظاهر السيئة، ولهذا السبب أصبحنا نرى بعض الشباب يحلق رأسه بشكل غريب تقليداً لأهل التقاليع ونجد بعض البنات يلبس في

الحفلات العاري أيضاً تقليداً للفنانات العاريات اللائي شوهدن على شاشة التلفاز وفي صفحات المجلات والجرائد.

إن مدح الإعلام بمختلف أدواته لهؤلاء الممثلين، وإطلاق اسم النجوم والفن عليهم، يجعل منهم بلا شك قدوة خطيرة للشباب والبنات.

لأجل ذلك المولى عز وجل لم يتركنا هكذا بدون قدوة نقتدي بها، بل جعل لنا ولكل الأجيال حتى قيام الساعة، قدوة نقتدي بها، مدحها في كتابه وأثاب من يمدحها ويصلي عليها، ويحب من يتبعها ويقتدي بها، وهو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ومدح النبي منهج قرآني، مدح أخلاقه وسلوكه ومواقفه بالعديد من الآيات الكريمة: " مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)" القلم..."لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)". التوبة

وهذا المنهج القرآني ضرورة نفسية وتربوية للمؤمنين بل إن المولى أثاب لكل من يقتدى به قائلاً: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)" آل عمران.

هكذا كان مدح النبي سنة نبوية في حياة النبي، لكل شعراء الإسلام المعاصرين له من حسان بن ثابت حتى كعب بن زهير. ثم كان سنة الصحابة والتابعين وصالح المسلمين حتى وقتنا المعاصر. والمدح مهم لتمجيد أخلاق وسلوك وشخص الممتدح القدوة حتى يقتدى به أو يشجع للاقتداء به، ويشعر المقتدي أنه يقتدي بشخص سامي رفيع يستحق الاقتداء.

إن الدعوة إلى إبطال مدح النبي، يعني هدم جانب مهم من جوانب القدوة الضرورية نفسياً وتربوياً للنشء، ليملأ هذا الفراغ فنانين فضائيات البترودولار حتى يصبحوا هم القدوة للشباب والشابات وهم النجوم الذين يتطلع إليهم النشء الغر المراهق.

ما أخطر قول البعض زوراً وبهتاناً: "ديننا ليس قصيدة في مدح محمد". بل ديننا قصيدة في مدح محمد لأنه القدوة الربانية ولأنه المنهج القرآني في مدحه ولأنه السنة النبوية فهو القائد الحقيقي للمجتمع، ونموذج السلوك الإنساني الكامل الذي أمرنا الله بإتباعه. أما قوله صلى الله عليه وسلم:" لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام" فهو واضح في قوله كما. عندما نقول لا تتكلم كما يتكلم فلان فهذا لا يعني عدم الكلام. كما اطرت النصارى عيسى أي لا نقول: ابن الله وثالث ثلاثة وإله من إله تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا.

قضية وحدة الوجود في تاريخ الفكر الإسلامي(١):

ظهرت نظرية وحدة الوجود عند الشيخ محيي بن عربي (القرن٧هـ)(٢) وأصحابه بعد تجربة روحية، وملخصها "أنه ليس في الوجود سواه عز وجل"، أو

(١) للمزيد عن هذا الموضوع ينظر: الصافي: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، ٢٢٥ -٢٥٠.

(٢) ابن العربي، محيي الدين: ولد بمرسية في الأندلس عام ٥٠٦هـ، اخذ العلم والتصوف عن جملة من علماء عصره، ترحل في العالم الإسلامي حتى استقر به المقام في دمشق متوفيا فيها له الكثير من المؤلفات أشهرها الفتوحات المكية. (المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤف (ت١٠٣١هـ): مناقب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، تحقيق/محمد إبراهيم الحسني، (د.ن)، دمشق٢٠٠٩، ص٧٣ -٨٠ وحاشية رقم ١؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام د ،٢٨١/٦).

"العالم واحد بالجوهر كثير بالصورة" .حيث هذا الوجود أو الكون ما هو إلا مظهر تجلي أسماء الله وصفاته، على أن الأسماء والصفات هي عين الذات، والوجود ينقسم إلى واجب الوجود وهو الله عز وجل وممكن الوجود وهو الخلق، وعلية فحكم ممكن الوجود حكم العدم أمام واجب الوجود، بينما عند جمهور علماء المسلمين أن الوجود هو مظهر تجلي الأسماء والصفات ولكن لا يثبتون أو ينفون أن الأسماء والصفات هي عين الذات. لأن النفي يعني أن القديم (سبحانه) كان متكثراً، وهذا محال بحق الله عز وجل. وسبب ابن عربي اختلاف الفقهاء فيه بين منزه له ومكفر، ومذهب القاضي الشوكاني فيه وكثير من العلماء مثل الإمام الحافظ السيوطي (ت٩١١ هـ)[١] بالبراءة من المقولات التي نسبت إليه وعدم تكفيره لأنه ربما لم يقصد معنى كفري أو انه لم يقل هذه العبارات وزورت عليه أو ربما إنه تاب منها[٢]. أما جمهور الصوفية فقد أنكروا عدم التمييز بين الله والخلق -إذا كانت وحدة الوجود تعني ذلك-، وفي ذلك يقول الإمام الجنيد:" إنما التوحيد إفراد القدم عن الحدث". ويقول الإمام الشاذلي:" هل تكون الصنعة هي الصانع؟". وفي كل

(١) الجلال السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي، جلال الدين: الإمام الحافظ له نحو ٦٠٠ مصنف، نشأ في القاهرة يتيما، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. من كتبه: الإتقان في علوم القرآن، وتاريخ الخلفاء وتفسير الجلالين، وغيرها (السخاوي: الضوء اللامع، ج٢ص٢٣١؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١ص٣١١؛ الزركلي: الأعلام،٣/٣٠١).

(٢) موقف علماء المسلمين من هذه القضية اختلفوا إلى ثلاثة مواقف الأول تكفير ابن عربي مثل البقاعي، والموقف الثاني تنزيه ابن عربي عن الكفر مثل السيوطي والشعراني والثالث عدم التكفير والتبرؤ من الأقوال المنسوبة إليه وهذا موقف القاضي الشوكاني الذي قال:" إن الله لم يتعبدني بتكفير من كان ظاهره الإسلام". (الصافي: دراسات في المنهج والفكر ،٢٣٦-٢٥٣).

الأحوال لم يقل ابن عربي وأصحابه بإسقاط التكاليف بل دعا إلى الالتزام التام بالشريعة وأحكامها. كما تختلف نظرية ابن عربي عن نظرية الأوروبيين، الذين يعتبرون الله هو الكل في الكل، أو الكل هو الله (نستغفر الله). بينما عند المسلمون انه لا يوجد في هذا العالم إلا الله عز وجل وفعله، وخلقه من فعله[1].

قضية التوسل في تاريخ الفكر الإسلامي:

التوسل من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر والتي ترتب عليها تكفير وأحيانا تبديع وأحيانا تشريك، أي اتهام بالشرك.

ولابد أن نوضح انه في القضايا الخلافية يستحسن أن نسأل ثلاثة أسئلة حتى نفهم القضية الخلافية بشكل صحيح كمنهجية لفهم القضايا الخلافية. السؤال الأول الخلاف بين من ومن؟ أو من هم طرفي الخلاف؟ والسؤال الثاني متى نشأ هذا الخلاف؟ أي تاريخ نشأة الخلاف. والسؤال الثالث ما هي الأدلة الشرعية عند كل فريق؟ إجابة السؤال الأول: الخلاف في هذه القضية كان بين الشيخ ابن تيمية رحمه الله -الذي ظهر في القرن ٨ هـ في عصر المماليك- وبين جمهور علماء المسلمين في المذاهب الأربعة، بل في المذاهب الستة. وهو أحد أسباب حبس ابن تيمية بطلب من علماء المسلمين في زمنه.

ومن الناحية التاريخية كإجابة للسؤال الثاني: كان أول من أنكر التوسل إلى الله بالنبي أو موتى الصالحين أو بشد الرحال لزيارة النبي الشيخ ابن تيمية

---

[1]) الصافي، محمد حسين: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، مركز الابداع الثقافي، صنعاء ٢٠١٦م، ص٢٢٥-٢٦٢.

ومن تبعه من تلاميذه أمثال الشيخ ابن القيم [1] (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م). ولم يجد هذا الفكر استمرارا في تاريخ الفكر الإسلامي حتى ظهر من جديد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م) [2]. وتتلخص وجهة نظر الطرف الأول الرافض للتوسل أن من مات انقطع عمله، فلا ينفع ولا يضر. وسؤال غير الله شرك. وتتلخص وجهة النظر الأخرى التي تقول بالتوسل في أن التوسل إلى الله بمن يحب منهج قراني كما في آية التوسل: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" (النساء٦٤). وكما في قصة تابوت بني إسرائيل الذي فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، ومنهج الصحابة كما كانوا يفعلون مع آثار النبي بعد موته مثل شعره صلى الله عليه وسلم. وان

(١) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من فقهاء الحنابلة. ولد وتوفي في دمشق. تتلمذ للشيخ ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشرها، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وأطلق بعد موت ابن تيمية كان حسن الخلق محبوبا عند الناس، له الكثير من المؤلفات منها: إعلام الموقعين والطرق الحكمية في السياسة الشرعية وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. وغيرها. (الزركلي: الأعلام،٦/٥٦).

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: ولد ونشأ في العيينة بنجد ورحل مرتين إلى الحجاز، والمدينة والشام والبصرة. وعاد إلى نجد. ثم انتقل إلى العيينة، ناهجا منهج الشيخ ابن تيمية، جهر بدعوته إلى إحياء فكر ابن تيمية سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، ثم قصد الدرعية بنجد سنة ١١٥٧ هـ، وحصل على دعم أميرها محمد بن سعود وأولاده، فاستولوا بحد السيف على شرق الجزيرة كله، وجزء من اليمن. ومكة والمدينة والحجاز. وأسست باسم دعوته الدولة السعودية. له العديد من المؤلفات منها: كتاب التوحيد وغيره. يعتبره أنصاره مجدد التوحيد، بينما يعتبره مخالفوه مكفر للمسلمين وخارجي. (الزركلي: الأعلام، ٦/٢٥٧).

التوسل بالميت مثل التوسل بالحي لأن الحي والميت لا ينفع ولا يضر من دون الله. ومن جاز التوسل به إلى الله حيا كان التوسل به إلى الله ميتا لأن المتوسل إليه واحد حي قيوم لا يموت.[1] كذلك من أدلة التوسل والاستغاثة حديث الشفاعة حيث يتوسل الخلق كلهم ويستغيثون بالنبي يوم القيامة للفصل بين الناس. فإذا كان يجوز التوسل بالنبي والاستغاثة به يوم القيامة وهو يوم الدين ويوم الحق فيجوز التوسل به في الدنيا. ولأجل ذلك فإن كل آيات القران تصدق على النبي الى الآن. مثل قوله تعالى:" إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" المائدة (٥٥). فهو صلى الله عليه وسلم ولينا. وقوله تعالى:" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" التوبة (١٠٥). فهو صلى الله عليه وسلم يرى عملنا ويشاهده. وهو في نفس الوقت شفيعنا الى الله في قوله عز وجل:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" النساء (٦٤) فالله عز وجل يأمرنا بالتوسل اليه بالنبي صلى الله عليه وسلم. أيد ذلك حديث عثمان بن حنيف فعنه "أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي فَقَالَ إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لِآخِرَتِكَ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ قَالَ لَا بَلْ ادْعُ اللَّهَ لِي فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَأَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ

(١) للمزيد ينظر: عبدالفتاح قديش: المنهجية العامة، ٨٦ – ٩٠

بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي وَتُشَفِّعُنِي فِيهِ وَتُشَفِّعُهُ فِيَّ ... قَالَ فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرَأَ"[1]

علم الكلام والدفاع عن الإسلام:

وسمي أيضاً بعلم الأصول وهو علم يتخصص في إثبات الدين والإيمان والنبوة والدفاع عن الإسلام وحفظ العقيدة بالأدلة والحجج العقلية وأساليب المنطق كما اشتغل بقضايا صفات الله عز وجل والقضاء والقدر والإمامة(٢). وفي البداية كره علماء الإسلام الخوض في مسائل الكلام، فمثلا يقول الإمام جعفر الصادق(٣):"تكلموا فيما دون العرش ولا تتكلموا فيما فوق العرش فان قوما تكلموا في الله فتاهوا".

وأثرت الأوضاع السياسية في ظهور علم الأصول (علم الكلام) فبرز فكر للخوارج يرفض حكم بني أمية وظلمهم فقالوا:" مرتكب الكبيرة كافر" أي أن بني أمية كفار لأنهم من مرتكبي الكبائر ضد المسلمين، ونتيجة كرد فعل لهذا الفكر برز الفكر الآخر: (المرجئة) فقالوا:" لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع من الكفر طاعة".(٤)

---

[1] رواه احمد، رقم ١٦٦٠٥؛ والترمذي رقم٣٥٠٢؛ ابن ماجة رقم١٣٧٥؛ الحاكم رقم١١٨٠ ؛ الطبراني في المعجم الكبير رقم٨٣١١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ٤٥٨؛ الغزالي، محمد بن حمد: المنقذ من الضلال، تحقيق/ جميل صليبا وكامل عيادة، (د. ن)، بيروت ١٩٨٨م، ص٩١، ٩٢ ؛ احمد محمود صبحي: في علم الكلام، (د. ن)، الإسكندرية ١٩٧٨،ص ٢ وما بعدها.

(٣) صبحي: في علم الكلام،٧؛ بين الباحث جورج طرابيشي زيف اقوال تنسب الى ائمة المذاهب في ذم علم الكلام.(انظر: جورج طرابيشي: مصائر الفلسفة،١٠٦،١٠٥).

(٤) صبحي: في علم الكلام،٢٠.

وعندما سئل عن هذه القضية الإمام الحسن البصري (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨م)[١] برز تلميذه واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ / ٧٤٨ م) [٢] إذ كان الحسن مشغولاً بحديث جانبي فقرر أن مرتكب الكبيرة ليس كافراً ولا مؤمناً بل هو في منزلة بين منزلتين، ثم اعتزل الحسن البصري في جانب من المسجد يشرح رؤيته فقال الحسن البصري: اعتزلنا واصل. فأطلق عليهم بعد ذلك اسم المعتزلة.

كذلك كان لبني أمية دور في إيجاد عقيدة الجبر (أي أن الإنسان مجبور على أفعاله) وذلك حتى يرضخ الناس لحكمهم الجائر، ويقولون: إنما أعمالنا على قدر من الله. وهكذا ظهر صراع فكري بين قوم يرتكبون المعاصي ويقولون إنها مشيئة الله، وآخرين ينزهون الله عن ذلك. فظهر الجدل حول القضاء والقدر[٣]. فالذين قالوا بحرية الإنسان أرادوا أن ينزهوا الله عز وجل عن الظلم حيث أشاروا كيف يقدر الله الأفعال للعباد مجبورين عليها ثم يعذبهم، فقالوا بالعدل، أي أن

---

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. من العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان (الزركلي بالمدينة، وشب في كنف الإمام علي بن أبي طالب، عمل مع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، ثم سكن البصرة. وكانت له هيبته في القلوب فيدخل على الولاة يأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة لائم. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. توفي بالبصرة. (الزركلي: الأعلام،٢/٢٢٦).

(٢) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة: رأس المعتزلة ومن أئمة المتكلمين. سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. ومنهم طائفة تنسب إليه، تسمى " الواصلية " وهو الذي نشر مذهب الاعتزال ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة. له مؤلفات منها: "أصناف المرجئة " و " المنزلة بين المنزلتين " و " معاني القرآن " و " طبقات أهل العلم والجهل " و " السبيل إلى معرفة الحق " و " التوبة ". (الزركلي: الأعلام،٨/١٠٩).

(٣) صبحي: في علم الكلام،٢١،٢٠.

الله عادل لا يجبر إنسان على فعل ثم يعذبه عليه، والذين قالوا بالقدر أو أن الإنسان مسير أرادوا أن ينزهوا الله عز وجل بالمشيئة فأشاروا هل يمكن أن يحدث شيء في هذا العالم غصب عن مشيئة الله عز وجل؟ إذ أن من حكم في ملكه ما ظلم، ردا على من قال إن الإنسان مخير خالق لفعله.(١)

وهكذا ظهرت فرقة المعتزلة، المنسوبة إلى واصل بن عطاء.

وأصول المعتزلة خمسة:

١- التوحيد: أن الله عز وجل منزه عن التشبيه والمماثلة وأن الصفات ليست شيئاً غير الذات وإلا تعدد القدماء وهذا محال والقرآن مخلوق.

٢- العدل: وهو أن الإنسان حر في تصرفه وهو خالق فعله والله لا يخلق أفعال العباد.

٣- الوعد والوعيد: أن الله يجازي المحسن إحساناً، والمسيء سوءا، ولا يغفر لمرتكب الكبيرة إلا أن يتوب.

٤- المنزلة بين المنزلين: مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر فليس مؤمناً ولا كافر، مخلد في النار.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وجوب ذلك على المؤمنين نشراً لدعوة الإسلام وهداية للضالين كل بما يستطيع ولذلك وجب الخروج على الحاكم الظالم المنحرف.

كان لهذه المدرسة الفكرية تأثير على كثير من الدول الإسلامية ودور تاريخي في الدولة العباسية في عهد المأمون والمعتصم والواثق وعهد دولة بني بوية

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ): كتاب الأربعين في أصول الدين، قرأه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمود بيجو، (د.ن د. م د.ت)، ص ١٨.

وكل الدول الشيعية ودولة الأئمة الزيدية في اليمن مع بعض الاختلافات اليسيرة فيما بينهم.

وقد لعب المعتزلة دوراً كبيراً في الدفاع عن الإسلام أمام فكر غير المسلمين وخاصة أمام أطروحات البوذية والهندوسية ضد الإسلام، وأطروحات يوحنا الدمشقي (ت٧٤٩م) [١] الذي كان يشير للمسيحيين: إذا قال لك المسلم ما تقول في المسيح فقل له إنه كلمة الله، ثم ليسأل النصراني المسلم: بم سمي المسيح في القران؟ وليسكت ولا يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم قائلا: كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه، فإن أجاب بذلك فاسأله: هل كلمة الله وروحه مخلوقة أم غير مخلوقة؟ فإن قال مخلوقة فيرد عليه بأن الله كان إذن ولم تكن له كلمة ولا روح، فإن قلت ذلك فسيفحم المسلم لأن من يرى هذا الرأي زنديق بنظر المسلم.[٢]

فكان رد المعتزلة على هذا أن كلام الله مخلوق، ثم تشددوا في ذلك حتى عدوا من أنكر ذلك خرج عن الإسلام، لأن من قال إن القران قديم فقد أشركه مع الله في صفة القدم، وهذا كفر، والتوحيد هو تنزيه الله عز وجل تنزيها مطلقا. وناصرهم الخليفة المأمون (ت٢١٨هـ)، باعتباره أمير المؤمنين المسئول الديني

---

(١) يوحنا الدمشقي أو القديس يوحنا الدمشقي: ولد عام ٦٧٦ في دمشق خلال حكم الدولة الأموية، من عائلة مسيحية، كان والده يعمل وزيرًا في بلاط الخلافة الأموية حاز على صداقة الخلفاء الأمويين أمثال هشام بن عبد الملك. عرف بمؤلفاته اللاهوتية الفلسفية للدفاع عن المسيحية الكنسية. (للمزيد ينظر: نصر الله، جوزيف: منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي، المكتبة البولسية اللبنانية، بيروت ١٩٩١ م).

(٢) صبحي: علم الكلام،١٦،١٧.

والدنيوي، فظهرت ما يسمى فتنة خلق القرآن، وكان يتعرض بالضرب والاهانة كل من يرفض الإقرار بخلق القرآن من العلماء، ورفض بعضهم الإقرار بهذا، منهم الإمام أحمد بن حنبل [١]، فبرزت مدرسة الحنابلة في الأصول، فإذا كان المعتزلة حكموا العقل في النص فإن مدرسة الحنابلة حكمت النص في العقل ووصل بعض غلاتها إلى التجسيم والتشبيه، وتعطيل للعقل [٢].

وفي هؤلاء الحنابلة يقول [٣] ابن الجوزي [٤] (ت٥٩٧هـ) وهو إمام الحنابلة في عصره منتقداً لهم:" فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات وعينين ... ويدين ... ثم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل. ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث ولم يقنعوا بأن يقولوا صفة فعل حتى

---

(١) السبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل، مؤسسة الامام الصادق، قم ١٤١٣هـ، ج١، ص٢٥٣.

(٢) خليفة، عبدالرحمن: المشبهة والمجسم، دار الرازي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٩، ص٢٩؛ ينظر على سبيل المثال: ابن العربي، أبو بكر (ت٥٤٣هـ): العواصم من القواصم، تحقيق/ محب الدين الخطيب، دار الجيل، بيروت (د.ت)، ج٢ص٨٣٢.

(٣) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق/ حسن السقاف، دار الامام النووي، عمان، ١٩٩٢، ص ٩٩-١٠٢.

(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، من فقهاء الحنابلة، له كثير من المؤلفات. ولد وتوفي ببغداد، تعرض للحبس ثم أفرج عنه. (ابن خلكان: وفيات الأعيان،٣/١٤٣؛ الزركلي: الأعلام،٣/٣١٦).

قالوا صفة ذات، ثم لما أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة، مثل يد على نعمة وقدرة ومجيء وإتيان على معنى بر ولطف وساق على شدة، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين. والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن. ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون نحن أهل السنة وكلامهم صريح في التشبيه. وقد تبعهم خلق من العوام." ويستطرد قائلا:" فقد نصحت التابع والمتبوع، فقلت لهم يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يقل. فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه ثم قلتم في الأحاديث تحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة فإنه لما قيل في عيسى روح الله اعتقدت النصارى أن لله صفة هي روح ولجت في مريم. ومن قال استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات. وينبغي ألا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإنا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت ما أنكر عليكم أحد. إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه ولقد كسيتم هذا المذهب شينا قبيحا حتى صار لا يقال حنبلي إلا مجسم ثم زينتم مذهبكم أيضا بالعصبية ليزيد بن معاوية. ولقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته". [1]

---

(١) ينظر أيضاً: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ): الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، بيروت (د.ت)، ص٢٥.

بينما يقول أهل السنة وأصحاب الحديث أن الله عز وجل[1]:" ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه على العرش كما قال عز وجل "الرحمن على العرش استوى" ولا نقدم بين يدي الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وأنه نور كما قال تعالى الله نور السماوات والأرض...".

والحقيقة أن الإمام أحمد بن حنبل لم يكن متكلماً أصوليا، بل كان من أصحاب الحديث، ولكن بعض ممن ينتسبون إلى مذهبه تكلموا في الأصول كما أشار بذلك ابن الجوزي [2]. والبعض منهم ذم علم الكلام وأهله [3]، لكن بشكل عام تميزت مدرسة الحنابلة بالجمع بين الفقه والكلام. إذ أن المدارس الأخرى كانت إما فقهية أو مدارس كلام[4].

كان مذهب أحمد بن حنبل بشكل عام إنكار التأويل والتشبيه تحرزاً للدين، على أن فكر الحنابلة في الأصول تميز بالقول إن القرآن قديم كحروف وكلمات وألفاظ [5]، وأن الله في جهة العلو [6]، فحددوه في جهة واحدة، وأنه

---

(١) الاشعري، ابو الحسن علي (ت٣٢٤هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق/ هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، فيسبادن المانيا، ١٩٨٠، ص٢١١.

(٢) دفع شبه التشبيه، ٩٩ وما بعدها.

(٣) الهروي، محمد الأنصاري: ذم الكلام وأهله، تحقيق/ عبد الرحمن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٩٩٨م، ص٢٠ وما بعدها.

(٤) جورج طرابيشي: مصائر الفلسفة، ٨٧.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ٢٤ ؛ الوزير، محمد بن إبراهيم (ت٨٤٠هـ): الروض الباسم في الذب عن سنة ابي القاسم، تحقيق/ علي محمد العمران، دار عالم الفوائد، (د.ت)، ص٣٠٨.

(٦) ينظر: ابن حنبل، عبدالله بن أحمد (ت٢٩٠هـ): السنة، ب د، تحقيق/ محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام ١٤٠٦هـ، ص١٠٣؛ ابن قدامة، عبدالله بن أحمد المقدسي (ت٦٢٠هـ): إثبات صفة العلو، تحقيق/ بدر عبدالله البدر، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٦هـ؛ أبو يعلى، محمد الفراء (ت٥٦٠هـ): طبقات الحنابلة، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت (د.ت)، ج١ص٣٤٢؛ ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ): منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق/ محمد رشاد، جامعة محمد بن سعود، الرياض (د.ت)، ج١، ص٦٤.

جالس على العرش [١]. ومنهم من غالى في إثبات الصفات إلى حد التجسيم كما ذكر سابقا. [٢]

والجدير بالملاحظة التاريخية أن السلف في عصر ابن حنبل لم يكونوا جميعاً على مذهب واحد في الأصول، بل خالف الإمام أحمد جمهور من السلف وخاصة في أن لفظ القرآن مخلوق وليس قديم (القرآن قديم واللفظ مخلوق) [٣].

وفي ظل هذا الخلاف بين ما يسمى بالعقليين وهم المعتزلة وبين ما يسمى بالنصيين وهم الحنابلة ظهر الاشاعرة نسبة إلى الإمام أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤ هـ)[٤] الذي مثل فكرهم محاولة الجمع بين النص والعقل[٥]. وأيدوا

---

(١) الخلال، أحمد بن محمد بن هارون الحنبلي (ت٣١١هـ): السنة، تحقيق/ عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، (د. ت) ج١، ص٢١٥؛ ابن قيم، محمد بن ابي بكر الجوزية (ت٧٥١هـ): بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)، ج٢، ص٣٩، ٤٠. رد العلماء ان الله عز وجل في جهة هو ان الله اكبر من ذلك. أي اكبر من جهة العلو ومن كل الجهات.

(٢) اليافعي، عبد الفتاح قديش: التجسيم والمجسمة، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠١٠م، ٣١٦ -١٣٢٠.

(٣) السقاف، حسن: تهنئة الصديق المحبوب ونيل السرور المطلوب، دار الامام النووي، عمان الأردن ١٩٩٣م، ص٥٦، ٥٧. أمثال الإمام البخاري ومسلم وابن كلاب وأبا ثور وداوود بن علي والحارث بن أسد المحاسبي ومحمد نصر المروزي. (السقاف: تهنئة الصديق، ٥٦، ٥٧).

(٤) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق، ينتسب إلى الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. كان على مذهب المعتزلة ثم خالفهم. وتوفي ببغداد. له العديد من المؤلفات منها مقالات الإسلاميين والإبانة عن أصول الديانة. (الزركلي: الأعلام، ٢٦٣/٤).

(٥) كوربان، هنري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت ٢٠٠٤م، ص٢٠٧،٢٠٦. يقول الإمام الغزالي:" لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول". الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية ط١، بيروت٢٠٠٤م، ص٩.

بمناهج علم الكلام، أي بالأدلة العقلية والنصوص الشرعية، مقالة أهل السنة والجماعة فأصبح مذهبهم مذهباً لأهل السنة والجماعة لعلماء المذاهب الأربعة بما فيهم جمهور من جماعة الحنابلة، وغطى انتشاره مساحة العالم الإسلامي من إندونيسيا وحتى غرب أفريقيا بعد أن تطور هذا المذهب على يد الغزالي وفخر الدين الرازي. [١]

ومن الناحية التاريخية كان الحنابلة على وفاق مع الأشاعرة، وكانوا يعتضدون بهم في مواجهة الفرق الأخرى، لأنهم كانوا المتكلمين من أهل إثبات الصفات، حتى حدثت الفتنة بين الفريقين في زمن الإمام أبي نصر القشيري (ت٥٢١هـ)[٢] والتي أدت إلى تمايز كبير فيما بينهم، وزاد من هذا التنافر ظهور بعض المجسمة بين الحنابلة[٣].

ومذهب الأشاعرة في صفات الله عز وجل أن صفاته أزلية (معان أزلية) قائمة بذاته لا يقال هي هو ولا هي غيره، ولا لا هو ولا لا غيره، لأنها معاني

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ١٩ ؛ ابن خلدون: المقدمة، ٤٦٤؛ ابن عساكر، علي بن حسن (ت٥٧١هـ): تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص٣٩، ٤٠؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ): معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت١٩٨٦م، ص٦٢.

(٢) القشيري: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: الامام المفسر العلامة من كبار العلماء، من بني قشير. والده أبو القاسم صاحب كتاب الرسالة القشيرية المشهور في علم التصوف. علت له شهرة كأبيه. زار بغداد في طريقة إلى الحج، ووعظ بها، فوقعت فتنة بين الحنابلة والشافعية، استدعاه نظام الملك إلى أصبهان لتجنب الفتنة ببغداد فذهب إليه ولقي منه إكراما. عاد إلى نيسابور، فلازم الوعظ والتدريس. وتوفي بها. (الذهبي: سير اعلام النبلاء،١٩/٤٢٤)

(٣) ابن عساكر: تبين كذب المفتري، ١٦٤؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٢٧٨/٣.

قائمة به لا أحوال. والدليل على ذلك أنه متكلم بكلام قديم [١]. ورفضوا مفهوم المعتزلة أنه كونه عالماً هو عين ذاته، إذ يلزم منه حمل الشيء على نفسه، وهو باطل. وإذا بطل كون الصفة عين الذات ثبت أنها معنى زائد عن الذات.[٢]

والأشاعرة يثبتون لله ما أثبت لنفسه من الصفات (صفات فعل)، ولكنهم إذا وجدوا من يقول بالتجسيم والتكييف من المجسمة والمشبهة الذين يصفونه بصفات المحدثات مثل الحد والجهة، فحينئذ يسلكون طريق التأويل وإثبات التنزيه عن المحدثات (٣). كما أول الأشاعرة المتأخرون صفات الله عز وجل بنحو يليق بجلاله، تقريباً للأذهان، مثل تأويل اليد بالقدرة والوجه بالذات أو الوجود، والعين بالحفظ والرعاية ...وهكذا، تنزيهاً له عن الجوارح تعالى الله عن ذلك.(٤)

وبشكل عام في قضية الصفات ذكروا أن:" التحقيق أن من قال: الصفات غير الذات نظراً إلى أن الصفة قائمة بالذات وتقدم الذات من الضروريات، ومن قال: الصفات عين الذات نظراً إلى أن الذات غير منفكة عن الصفات، ومن قال: لا عين ولا غير لأنها لو كانت عيناً لكانت ذواتاً ولو كانت غيراً لزم التركيب، وهو من المحالات، والله أعلم بحقيقة الحالات، والعجز عن درك الإدراك إدراك، والبحث عن سر ذات الله إشراك". [٥]

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص٢٠ وما بعدها.

(٢) الفضلي، عبد الهادي : خلاصة علم الكلام، دار المؤرخ العربي ط٢، بيروت١٩٩٣،ص١٩٠.

(٣) ابن عساكر: تبين كذب المفتري، ص٣٨٨.

(٤) الغماري، عبد الله بن صديق: فتح المعين بنقد كتاب الأربعين، مكتبة الامام النووي، عمان ١٩٩٠،ص٣.

(٥) العرياني، عثمان الكليسي (ت١١٦٨هـ): خير القلائد شرح جواهر العقائد، تحقيق/ احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ص ٤٧.

ولا خلاف بين المتكلمين كلهم في كونه -تعالى- عالماً قادراً مريداً متكلماً، وهكذا في سائر الصفات، ولكنهم تخالفوا في كون الصفات غير ذاته أو عين ذاته أو لا هو ولا غيره.

ثم ظهر الشيخ ابن تيمية في القرن ٨هـ/ ١٤م، كان ابن تيمية له مواقف قوية مع التتار وكان من فقهاء الحنابلة، لكنه ذو فكر مخالف عن الحنابلة، حيث خالف أحمد بن حنبل في عدة قضايا جوهرية عقائدية وفقهية، منها أن ابن حنبل نفى الحد والجسمية عن الله عز وجل[1]، بينما يؤخذ على فكر ابن تيمية قوله إن الله محدود بحد، وبالتجسيم، إضافة إلى قوله إن الله في جهة العلو، وإثبات الحركة والنزول وقيام الحوادث بذات الله تعالى[2]. في حين أن جمهور المسلمين ينزهون الله عز وجل تنزيها مطلقا عن الجهات والمحدثات من الحركة والنزول وغيرها وعن الجوارح والجسمية فهو عز وجل ليس كمثله شيء. كذلك خالف ابن تيمية جمهور علماء المسلمين في العديد من المسائل منها: تحريمه شد الرحال إلى زيارة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم[3]، والتوسل به، وخالف

---

(١) السقاف: تهنئة الصديق، ٣٨؛ السقاف، حسن بن علي: التنديد بمن عدد التوحيد، دار الامام النووي، عمان، (د.ت)، ٨-١١.

(٢) انظر على سبيل المثال: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (ت٧٢٨هـ): بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، مجمع الملك فهد، (د.ت)، ١/٨، ٩، ٣٣، ٩٣، ١١٦، ١١٧، ١٠٠، ١٣٧؛ الحصيني، ابوبكر الدمشقي (ت٨٢٩هـ): دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك الى السيد الجليل الامام احمد، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة، ص١٢٣؛ ينظر أيضاً : اليافعي: التجسيم والمجسمة، ٣٤٥.

(٣) العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي (ت٨٥٢هـ) : فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ، ج٣ص٦٦؛ الدرر الكامنة ،١/٨٠، وما بعدها؛ حسن السقاف: تهنئة الصديق، ٤٦ وما بعدها.

الحنابلة في كثير من المسائل حتى ذهب بعض الحنابلة إلى تكفيره، كما فعل الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلي [1] (ت٧٧٥هـ) وكما فعل جمهور من العلماء من المذاهب الأربعة [2]. ولعل من أهم المسائل كذلك تقسيمه للتوحيد: توحيد ربوبية وتوحيد إلوهية وتوحيد الصفات، وهو تقسيم أخذه من الشيخ ابن بطة الحنبلي[3] (ت٣٨٧هـ)، إلا أنه جعله عقيدة أساسية للإسلام [4]. بينما الأصل انه لا يوجد سوى مؤمن أو كافر، والمنافق هو كافر في الأصل يظهر الإسلام. كذلك عده البعض من النواصب الذين يناصبون آل البيت الكراهية لكلامه في الإمام علي وآل البيت.[5] أما العلماء المعاصرون فإضافة إلى ما سبق أخذوا عليه قوله بقدم العالم بالنوع، واستقرار الله لو شاء- عز وجل- على ظهر بعوضة، وغيرها من المآخذ.[6] ولكن يسجل لابن تيمية موقفه الذي حاول فيه

---

(١) الحصيني: دفع شبه من شبه وتمرد ،١٢٣. ابن رجب : الإمام الحافظ العلامة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي، ولد سنة ٧٣٦ هـ في بغداد قدم إلى دمشق سنة ٧٤٤ هـ، وأخذ عن النووي، واشتغل بالحديث والفقه وحصل العلم على أكابر أهل عصره فعلا شأنه و وبلغ درجة الإمامة حتى قصده طلاب العلم، وصار من أعلام المذهب الحنبلي.(العسقلاني: الدرر الكامنة، ١٠٩/٣؛ الزركلي: الأعلام،٢٩٥/٣).

(٢) السقاف: تهنئة الصديق، ٤٦، وما بعدها.

(٣) الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق أبو عبد الله، عبيد الله بن محمد العكبري الحنبلي، ابن بطة، ولد سنة أربع وثلاث مئة، له العديد من المؤلفات منها: الإبانة الكبرى (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦ص ٥٢٩).

(٤) للتفصيل في هذا الموضوع ينظر: السقاف: التنديد بمن عدد التوحيد، ٨-٧٧.

(٥) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ٨٠/١ وما بعدها.

(٦) انظر: السقاف: تهنئة الصديق،٨-١١

تقريب وجهات النظر بين الأشعرية والحنبلية والتأليف بين القلوب وهو سلوك كبار علماء الاسلام.(1)

وفي جانب التصوف فإنه للأسف كثيراً ما يساء فهم الشيخ في هذا الجانب، فابن تيمية أخذ التصوف على الطريقة الجيلانية كما ظهر بأحدث وثيقة تاريخية بخط يده، وهو كذلك شرح أحد أهم كتب التصوف وهو كتاب فتوح الغيب للإمام عبد القادر الجيلاني، وكان ابن تيمية شرح موضوع التصوف في الجزء الخاص بذلك من مجموع فتاويه فبرأ التصوف الحقيقي مما نسب إليه.

أما تاريخ هذه المدرسة الفكرية، فإن علماء المسلمين أصدروا فتوى بحبس الشيخ ابن تيمية منعاً للفتنة التي أحدثتها فتاويه خاصة في التجسيم وتحريم زيارة النبي صلى الله عيه وسلم، فحبس ثم أطلق ثم حبس مرة أخرى وتوفي في السجن (2). ولم يظهر هناك أي وجود تاريخي لهذه المدرسة حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب وظهور الدولة السعودية بتاريخها المعروف، معتنقة هذا الفكر وساعية إلى نشره بين المسلمين بكل إمكاناتها المادية.

وبشكل عام فإن الموقف السليم من علم الكلام انه دواء لأهل الشكوك، ومن في نفسه شبهه، فيأخذ منه على قدر الدواء، ولا يتوسع فيه.(3) وجدير بالذكر الإشارة إلى ما ذكره الغزالي والقاضي الشوكاني حول أهمية التسلح بهذا

---

(1) اليافعي، عبدالفتاح قديش: في الطريق إلى الألفة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ٢٠٠٩م، ص٢٦٩.

(2) ابن حجر: الدرر الكامنة، ١/٨٠، وما بعدها ؛ النويري: نهاية الأرب،٣٣/٢٠٢،٢١٠ .

(3) زين بن إبراهيم بن سميط: بهجة الطالبين في مهمات أصول الدين، دار العلم والدعوة، تريم ٢٠٠٩م،ص٧.

للدعاة والعلماء لمواجهة المتشككين أو للرد على المشتغلين بالعلوم العقلية لنصرة الشرع الحنيف[1]. وهو ما تحتاج إليه الأمة اليوم لمواجهة الغزو الفكري المعاصر.

لكن الملاحظ لتاريخ الفكر الإسلامي يجد حيوية هذا الفكر مثلا في ظهور الامام الغزالي كمجدد فكري وروحي وظهور مولانا جلال الدين الرومي بفلسفة الحب والعاطفة كرد جدلي لطغيان عقلانية علم الكلام خاصة زمن الإمام الرازي.

الامام الغزالي حجة الإسلام نموذج التجديد الفكري والروحي:

بعد اتساع الدولة الإسلامية العباسية اتساعا كبيرا، وبعد حركة الترجمة النشطة عانى المسلمون من خطر الفلسفة الالحادية اليونانية وتأثيرها على المسلمين، ومن خطر الانحطاط الروحي وحب الدنيا ومظاهر الترف وعبادة الشهوات التي كانت انتشرت انتشارا كبيرا، فقيض الله لها من جدد امر دينها الامام محمد بن محمد الغزالي الذي لقبه المسلمون بحجة الإسلام، لأنه نصر الشريعة على الفلسفة وبين خطلها وتهافتها في قضايا الغيب والالهيات، ونصر الإسلام في إعادة علم التزكية والتصوف كعلم تربية واحسان لإعادة الناس الى حقيقة الدين وروح الإسلام.

(١) انظر: الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص٣؛ الشوكاني، محمد بن علي: أدب الطلب، صنعاء ١٩٧٩م،ص١١٣، ١٢٤، ١٢٥.

مولانا جلال الدين الرومي وفلسفة الحب:

من حيوية تاريخ الفكر الإسلامي ظهور مولانا جلال الدين الرومي في زمن سيادة النزعة العقلية وغلبة الاشتغال بعلم الكلام، فأتى بالدعوة إلى التدين بالحب وليس بالجدل العقيم، موضحا أن العلاقة الأساسية بين الخالق والمخلوق هي علاقة حب. وان الله خلق الإنسان وسخر له ما في السماوات والأرض لأنه يحبه، وبالحب والعاطفة والتسليم يرتفع الإنسان إلى أعلى عليين، بينما الدهاء والمكر بضاعة الشيطان.

ومن جميل فلسفة الرومي انه وضح قضية فلسفة الشر إذ أن المصاعب والابتلاءات التي يجدها المؤمن هي من حب الله له حتى يلجأ إليه ويعود إليه ولا يغتر بغيره[1].

وللأسف في الوقت الذي لقي هذا العالم المسلم التقدير والاحترام من معظم جامعات العالم، لا يزال شبه مجهول في الأكاديميات العربية.

الإمام أبوبكر العدني بن علي المشهور:

إن تجديد الفكر الإسلامي هو في تجديد الفهم والاستنباط للنصوص الشرعية، ومن حيوية تاريخ الفكر الإسلامي ظهور فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة في أواخر القرن العشرين على يد الإمام أبي بكر بن علي المشهور. فهو العلم الذي يحتاج إليه الزمان والإنسان. للتعامل مع متغيرات

---

(١) للمزيد أنظر: الندوي : رجال الفكر،١/٣٩١-٤٠٠.

الأحداث من خلال الهدي القرآني والنبوي الذي أخبر بما سوف يحدث[1].
والهدف من هذا العلم السلامة من فتن آخر الزمان، وقراءة التاريخ المستقبلي من خلال النص وليس العقل وحده.

في الفكر السياسي وتعدد الخيارات:

بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- بدأ الاختلاف بين المسلمين في قضية الخلافة، ثم ما لبث أن ظهرت مدارس إسلامية كبري في تاريخ الفكر السياسي، منها:

١) مدرسة الإمام الحسن: وهي مدرسة تأسست بعد موقف الإمام الحسن من الفتنة، تدعو إلى ترك المنازعة على الحكم حفاظاً على دماء المسلمين، والعمل في العلم والدعوة والتربية مع الشعوب، وكان لأئمة هذه المدرسة تأثيراً كبير على الشعوب وقبول عام ظهر واضحا في الموقف الذي حدث أثناء حج هشام بن عبد الملك حيث لم يستطع استلام الحجر الأسود لشدة الزحام فتنحى منتظرا. ثم أتى الإمام زين العابدين ففسح له الناس لاستلام الحجر. مما اغاظ هشام فقال من هذا؟ تحقيرا له. فرد عليه الفرزدق قائلا وكان بجواره:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

---

[1] المشهور، ابوبكر العدني بن علي: إحياء لغة الإسلام العالمية، أربطة التربية الإسلامية، (د.م) ٢٠٠٥م، ص٦٣-٦٩.

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضي حياء ويغضي من مهابته * فما يكلم إلا حين يبتسم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا.

ثم تفرع من هذه المدرسة اتفاق جمهور علماء أهل السنة والجماعة على عدم جواز الخروج على الحاكم المسلم وإن كان فاسقا، امتثالا لقوله –صلى الله عليه وسلم–:" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد". وقوله:" اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأطيعوا من ولاه الله أمركم ولا تنازعوا الأمر أهله وإن كان عبدا أسود وعليكم بما تعرفون من سنة نبيكم والخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ"(١). وغيره من الأحاديث الداعية إلى السمع والطاعة.

٢) مدرسة الإمام الحسين والإمام زيد بن علي: وهي مدرسة الخروج على الإمام الظالم، وإن كان من آل البيت، أي طلب الحكم لأجل إقامة الشرع، ومثل هذه المدرسة تاريخياً المذهب الزيدي. مع ملاحظة أن الحسين بن علي– رضي الله عنه– لم تكن في عنقه بيعة لأحد ولم يخرج محارباً بل مصلحاً ومقيماً حجة الله.(٢) ورافضا لنقض الحكم الراشدي إلى مللك عضوض كما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم. كما يجب ملاحظة أن الخروج على الحاكم الظالم

---

(١) رواه الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ٦٢١.

(٢) أنظر: العلامة ابوبكر العدني ابن علي المشهور: سلامة الدارين في دراسة مواقف السبطين العلمين ريحانتي رسول الله الإمام الحسن والإمام الحسين الاربطة الإسلامية، (د.ن د.ت)،٨٤.

يجب أن يكون تحت راية إمام وليس على طريقة الثورات الغوغائية المدمرة والتي تقف خلفها الفوضى الخلاقة الأمريكية.

٣) مدرسة الشيعة الإمامية التي تقول بحصر الإمامة في الأئمة الاثني عشر. ومثل هذه المدرسة تاريخيا المذهب الاثنا عشري.

وفي كل الأحوال كان تعريف وظيفة الخلافة أو الإمامة. هي حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع عند جمهور علماء المسلمين.[١]

ويظهر التاريخ السياسي للمسلمين ان معظم الحروب فيما بينهم وسفك الدماء كان بسبب السياسة والحرص على كرسي الحكم، ولهذا كان في التاريخ السياسي للمسلمين الجانب الناصع والجانب الأسود، اما التاريخ الفكري والعلمي فكان ناصعا، وهو المفخرة الحقيقية للتاريخ الإسلامي.

في الفلسفة:

ولد الفكر الإسلامي عملاقا بنزول القران الكريم وبأحاديث الحكمة للنبي محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم. ولذلك لا نستطيع القول إن الفكر الإسلامي مر بمراحل الطفولة والشباب والشيخوخة كما هو في الفكر اليوناني على سبيل المثال. والحقيقة أن التعريف الأكاديمي الأوروبي المعاصر للفلسفة لا ينطبق على تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي، حيث تعرف لديهم الفلسفة أنها:

---

(١) الماوردي، أبو الحسن علي (ت٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة (د.ت)، ص١٠ ؛ عز الدين بن الحسن (ت٩٠٠هـ): العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة، مركز الامام عز الدين بن الحسن، نسخة الكترونية، ص٧.

"جهد التفكير الفردي الدنيوي المستقل عن مسلمات الإيمان واللاهوت"(١). فمنذ البدء فهم المسلم قضية الوجود والخلق والخالق والخير والشر ويوم الحساب والمصير ومعنى الحياة.

عرف المسلمون الفلسفة اليونانية مع حركة الترجمة التي شجعها الخلفاء العباسيون، فترجمت من السريانية واليونانية والفارسية كتب أرسطو وغيره في المنطق والطبيعيات والرياضيات وحتى الإلهيات[٢]. وظهر فلاسفة مسلمون لهم شخصيتهم الفلسفية المتأثرة باليونان والمستقلة أيضا بذاتها نتيجة انتمائهم الإسلامي. لكن ما لبث هذا التيار أن تحول إلى غزو فكري أثر في بعض المسلمين تأثيرا سيئا في الاستهتار بالشريعة ونفي أسس الدين من البعث والنشور والحساب، حتى قيض الله للإسلام الإمام أبي حامد الغزالي الذي لقب بحجة الإسلام لأنه نصر الشريعة على الفلسفة الإلحادية من خلال كتابه العميق تهافت الفلاسفة. والذي كفر فيه الفلاسفة في ثلاثة مواضيع، مثل قولهم بقدم العالم. وقولهم يعلم نفسه ولا يعلم غيره، وقول بعضهم بعدم حشر نفس الأجساد(٣). على انه يسجل للإمام الغزالي عدم رفضه للنظر العقلي، بل دعا إليه، ولكنه رفض التكلم في قضايا الغيب بدون علم أو منطق الذي كان يحتكم إليه الفلاسفة في نظرهم للمشاهدات. ثم حاول بعد ذلك ابن رشد التوفيق بين الفلسفة كنظر عقلي والشريعة ككتاب منزل فكتب تهافت التهافت ولكنه كان

---

(١) كوربان، هنري: تاريخ الفلسفة الإسلامية،١١.

[٢] بدوي، عبدالرحمن: الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م، ص١٠،٩.

(٣) الندوي : رجال الفكر ١/٢٨٠ وما بعدها.

تكرار لكلام الفلسفة اليونانية نفسها ولم يدفع الضربة التي وجهها أبي حامد للفلسفة الوثنية.

ثم ظهر صدر الدين الشيرازي (ت١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) الذي حاول أن يجمع بين الفلسفة والعرفان والتي سميت بالحكمة المتعالية.

حركة التدافع تحكم التاريخ الإسلامي:

حكمت سنة التدافع والتضاد التاريخ السياسي والحضاري للمسلمين، حيث تداولت المذاهب الإسلامية في الحكم والدول، ففي تاريخ اليمن على سبيل المثال تداولت الدول السنية والزيدية وحتى الإسماعيلية حكم اليمن ومناطقه المختلفة. وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ الإسلام والمسلمين بشكل عام.

والحقيقة أن اختلاف البشر من سنن الحياة والكون والطبيعة، وعظمة الإسلام هو في قبوله للسنن الإلهية واحتوائه لها. سواء هذا في الحياة السياسية أو في غيرها من الميادين.

كانت الأوضاع التاريخية المتتابعة عاملاً مهماً في ظهور العلوم الإسلامية المختلفة، فكانت الفتنة والاختلاف والتغيرات دافعا للحفاظ على أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتمييز الصحيح من الموضوع، وكانت حاجة المجتمع المسلم المتغيرة دافعاً لظهور علم الفقه والمذاهب الفقهية في ظل الاختلاف حول النصوص ظنية الدلالة أو النصوص ظنية الثبوت. وكان طغيان المادية وحب الدنيا واختفاء مظاهر السنة دافعاً لظهور علم التصوف وطرق التربية الروحية، كما كان تحدي الفكر المسيحي والفكر الهندي واختلاف المسلمين في قضايا

الإمامة والقضاء والقدر والصفات دافعاً لظهور علم الكلام ومدارسه الفكرية المختلفة.

هكذا إذن كانت حيوية الفكر الإسلامي تحكمه حركة التضاد والتدافع، فدفعا للفتنة ونتائجها ظهر الخوارج الذين كفروا الإمام علي ومعاوية معاً، وقالوا بكفر مرتكب الكبيرة، ودفعا للخوارج ظهر المرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ودفعا للمرجئة ظهر المعتزلة الذين قالوا مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، ودفعا للمعتزلة ظهر الحنابلة ودفعا للحنابلة ظهر الأشاعرة ودفعا للأشاعرة ظهر فكر ابن تيمية الذي لم يشهد من وجود تاريخي سوى في العصر الحديث على يد محمد بن عبدالوهاب، مما سبب في بروز الفكر الاثنا عشري لكن المتجدد في نظرية ولاية الفقيه للإمام الخميني بعد سقوط خلافة أهل السنة. واستمرت جميع هذه المدارس في الوجود وحركة التدافع الذي ساعدتها على التنافس والمجاهدة ضد الخصوم وإبراز أفضل ما لديها، بل إن هذه الفرق تطورت نتيجة التضاد والتنافس فيما بينها، وفي الفقه ردا على مدرسة الرأي لأبي حنيفة ظهرت مدرسة النص لمالك، ثم مدرسة التوفيق بينهما للشافعي، وفي الدعوة والسلوك رفضا للخروج على السنة والترف ظهر التصوف بمدارسه المختلفة. وفي السياسة دفعا لدولة بني أمية المناصبة العداء لآل البيت ظهر التشيع بمذاهبه المختلفة. كذلك بظهور الرازي بما يمثله من عقلانية وعلم الكلام ظهر مولانا جلال الدين الرومي بما يمثله من روحانية وعشق إلهي رفضاً للعقلانية الجامدة، وبظهور ابن عربي بما يمثله من فكر مثالي مغرق في المثالية

الروحية ظهر ابن تيمية بما يمثله من فكر تجسيمي نسب إليه وتبرأ هو منه واسماه إثبات الصفات.

ومن يقول أن العالم الإسلامي أصيب بالجمود والركود وان الفكر الإسلامي والفقه توقف في القرن ١٣م لا نسلم له بذلك لظهور ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) وابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) وصدر الدين الشيرازي (ت١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) والسرهندي (ت١٠٣٤هـ) والإمام الحداد (ت١١٣٢هـ) والإمام الدهلوي (ت١١٧٦هـ) واستمرت السلسلة حتى ظهور الإمام النورسي (ت١٩٦٠م) في القرن العشرين في خضم موجة الإلحاد وقدم احد أروع التفاسير الإشارية للقران الكريم، ومحمد إقبال (ت ١٩٣٨م) و الإمام عبد الحليم محمود (ت ١٩٧٨م) والإمام الشعراوي (ت١٩٩٨م) كفهم متجدد للقران الكريم، ثم الإمام الخميني (ت١٣٢٠هـ/١٩٨٩م) مجددا في العرفان والفلسفة وفلسفة الحكم عند الشيعة، وباعث لحركة تجديد كبرى في العالم الإسلامي الشيعي سواء تتفق أو تختلف معه. وبشرح الإمام الخميني لكتاب فصوص الحكم لابن عربي يكون امتدادا إسلاميا واحدا للعرفان والتصوف الإسلامي الواحد الذي يبهت أمامه الانقسام السني الشيعي. ثم ظهور الإمام أبوبكر المشهور العدني كاشفا عن علم جديد متطلب في المرحلة المعاصرة واحتياجاتها وهو فقه التحولات وعلامات الساعة. والحقيقة أن النظرة التجزيئية التي تقسم بين السنة والشيعة لا تتفق مع النظرة الحقيقية الكلية لحركة الفكر الإسلامي المتجاوز لهذا التقسيم الضيق. كما أن القياس الحقيقي لأي فكر هو بما يلبي احتياجات الواقع ويخدم الناس. فتفسير النورسي أنقذ إيمان الناس من

الإلحاد. وولاية الفقيه للخميني أقامت دولة تتحدى الغرب في كل المجالات، وفقه التحولات للمشهور اظهر للناس العلامات واللوحات الإرشادية لآخر الزمان.

طبيعة حركة التاريخ الإسلامي هذه ليس على منهج هيجل في الجدل، إذ لا نفي فيها، بل جميع المدارس والفرق لا زالت حتى اليوم تتواجد ولو بأحجام مختلفة استمراراً لطبيعة التنوع والتعدد في الخلق البشري.[1] متدافعة فيما بينها، ومدافعة عن الإسلام امام ما سواه.

قضية آل البيت في التاريخ الإسلامي بين الإفراط والتفريط:

كان نشوب الفتن سبباً في ظهور انقسام حاد بين المسلمين فيما سمي شيعة وسنة، وظهر الإفراط والتفريط في قضية آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إفراط في محبتهم لدى البعض لدرجة الغلو فيهم والسب أو الطعن في بعض صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو تفريط في حقهم ومودتهم والموالاة لهم، بل أحياناً الطعن في أنسابهم كم يفعل بعض الجهلة والنواصب[2]. أو البغض فيهم كما كان زمن الدولة الأموية حيث كان يُلعن

(١) يعترف المفكر الأمريكي ويل ديورانت ان نظام التدافع يحكم أيضا تاريخ أوروبا بل والعالم. لكن بالتأكيد ليس بسمات التاريخ الإسلامي. (ديورانت، ويل: أبطال من تاريخ العالم، ترجمة سامي الكعكي و سمير كرم، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠١،ص٢٠).

(٢) تميز العرب بعلم الأنساب بشكل دقيق واهتموا به اهتماما كبيرا. وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطعن في الأنساب فقال: ثلاثة من أمر الجاهلية لا يتركهن الناس الطعن في الأنساب و النياحة وقولهم مطرنا بنجم كذا و كذا .(الطبراني، سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ): المعجم الكبير، تحقيق/ حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ١٩٨٣م، ج١٧ص١٩).

الإمام علي من على المنابر. أو كما يحدث عند بعض الجهلة في الوقت المعاصر بدفع من المخابرات الخارجية لتنفيذ سياسة فرق تسد. والموقف السليم من هذه القضية هو حسب ما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لا إفراط ولا تفريط، أمر الله بمحبة قربى النبي بقوله عز وجل:" ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ" الشورى ٢٣. فمودة آل البيت أمر بها الله عز وجل كما قال أهل التفسير[1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن آل البيت:" إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ"[(٢)]. وقال صلى الله عليه وسلم[(٣)]: كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان

---

[1] الطبري، أبو جعفر محمد ابن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق/ احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط١، بيروت ٢٠٠٠م ، ج٢١ص٥٢٥-٥٢٨.

(٢) رواه احمد، رقم ١١٢١١؛ ورواه آخرون بألفاظ مختلفة، الحاكم في المستدرك،رقم٤٥٧٦؛ والطبراني في المعجم الكبير، رقم ٤٩٢١؛ والترمذي في السنن، رقم ٣٧٨٦؛ والنسائي في السنن، رقم ٨١٤٨؛ تعددت الفرق الإسلامية في فهم هذا الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم، الجعفرية الاثنا عشرية فهموه في إمامة الاثنا عشر إماما، والزيدية فهموه في وجوب أن يكون الحكم في البطنين، من ذرية الحسن والحسين، وأهل السنة والجماعة فهموه بالاقتداء العلمي والسلوكي لآل البيت الكرام. واتفق الجميع على صحة الحديث وأهميته.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك وصححه رقم ١١٤٥٨؛ والطبراني رقم ٢٥٦٩.

من سبي ونسبي." وكثيرة هي الأحاديث الدالة على الحض في محبة آل النبي وذريته[1]. وان لهم دورا مهما في حمل الرسالة وتاريخ الإسلام.

ولأجل ذلك كان آل البيت هم قادة المجتمع طيلة فترات التاريخ الإسلامي بما يحضون به من احترام وتقدير الشعوب والمجتمعات الإسلامية فكان منهم العلماء والأولياء الصالحين والقادة المجاهدين. أمثال عز الدين القسام وعمر مكرم والسنوسي وعبدالقادر الجزائري ومحمد عبد الكريم الخطابي وغيرهم الكثير الطيب. ومنهم من نشر الإسلام في شرق آسيا والهند وأفريقيا وغيرها من أصقاع بلاد العالم. كما أوضحت ذلك كتب التاريخ والتراجم والطبقات والانساب.

التعايش السلمي في المجتمعات الإسلامية:

كانت المجتمعات الاسلامية بشكل عام منذ دخول الإسلام تعيش حالات متعددة من التعايش السلمي[2]، ما لم تفسده السياسة. فكان التعايش المذهبي والديني، والتعايش الاجتماعي، والتعايش الاقتصادي والتجاري. وكان مثلا من مظاهر التعايش والتسامح الديني والمذهبي ان بعض كتب أهل السنة تدرس ضمن الكتب المقررة عند الزيدية في اليمن[3].

---

(١) الحداء، أمين بن صالح هران: الأحاديث التي صححت في فضل الآل، (د.ن)، صنعاء ٢٠١١، ص٣٠-٤٥.

(٢) ينظر: بناوي، جعفر: التعايش في المجتمع الإسلامي، دراسة في العلاقات الإنسانية في المجتمع الواحد، دار الخليج العربي، (د.م)، ١٩٩٩م.

(٣) القانص، غالب حميد: الفكر التربوي عند الزيدية في اليمن خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين)، مجلة ثوابت، صنعاء، العدد ٦٧، ٢٠١٢م، ص١٦٨.

ومن مظاهر التعايش الاجتماعي الأعراق والتقاليد القبلية التي كانت تحكم المجتمعات العربية بشكل عام واليمن بشكل خاص. والتي كانت لا تسمح بتهديد السلم والأمان المجتمعي. وكانت تدل على حكمة كبيرة في معالجة مشاكل المجتمع المختلفة. بما فيها قضايا القتل والتحارب. فكان يغلب حلها بالصلح والديات والمراضاة، وكانت تعد مثلا المساس بالطريق الآمنة من العيب الأسود الذي يستوجب العقوبة[١].

اما التعايش التجاري والاقتصادي، فكان أبرز مظاهر وجوده في موانئ المسلمين. حيث تتواجد كل الطوائف والفئات والجاليات بدياناتها المتعددة. وتمارس التجارة والمبادلات الحرة بين الجميع بمختلف أديانهم وأعراقهم[٢]. يعزز ذلك أسس الفكر الإسلامي المبني على الكتاب والسنة النبوية والداعي الى التعايش مع الأديان الأخرى[٣]. وكان لليهود دور كبير في هذه التجارة ولهم حرمة في عدم الاعتداء عليهم وحريتهم في ممارسة العمل والعبادة حسب معتقداتهم كأهل ذمة، أي لهم ذمة المسلمين وحكامهم. هذا بعكس أوروبا التي كانت تمارس عليهم الاضطهاد والقتل والطرد بين كل فترة وفترة[٤].

---

[١] ينظر على سبيل المثال: أبو غانم، فضل: البنية القبلية في اليمن، (د.ن د. م) ١٩٨٥م.

[٢] ينظر على سبيل المثال: ابن المجاور، جمال الدين ابي الفتح يوسف الشيباني (ت٦٩٠هـ): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المعروف بتاريخ المستبصر، تصحيح اوسكر لوففرين، دار التنوير، بيروت ١٩٨٦م، ص١٣٤، ١٤٤،١٤٦؛ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد: تحفة النظار في عجائب الابصار المعروف بالرحلة، دار التراث، بيروت ١٩٦٨م، ص٢٤٠-٢٤٥.

[٣] جمعة، علي: التعايش مع الآخر في ضوء السيرة النبوية، الأسس والمقاصد، (د.ن د. م)،٢٠١٨، ص١٣-٢٠.

[٤] ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله (ت٣٣٠هـ): المسالك والممالك، تحقيق/ دي غويه، دار صادر اوفست، ليدن ١٨٨٩م، ص٢٠٧؛ جوايتن، س. د: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق/ عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٠، ص٢٢٧.

التحولات التاريخية الكبرى في التاريخ الإسلامي والتحدي المستمر:

مرت الأمة الإسلامية بعدة تحولات كبرى شكلت تهديداً خطيراً على الإسلام والمسلمين، بدأت بالردة ثم الفتنة ثم نقض الحكم من راشدي إلى ملك عضوض وراثي ثم طغيان المادية وعبادة الشهوات والبطون ثم التمزق السياسي وفقدان الوحدة، ثم حركات الزندقة والباطنية والفلسفة الإلحادية التي شاعت أطروحاتها تحت عناوين تقديم العقل على الشرع ورفض فكرة النبوة والأنبياء، فظهر ابن المقفع والراوندي، وابن زكريا الرازي وابن طالوت وبشار بن برد وغيرهم(١)، ثم الغزو الصليبي، ثم غزو التتار ثم الاستعمار الحديث وسقوط الخلافة الإسلامية وظهور ما يسمى بالدولة الوطنية. كانت هذه من أهم المحطات الكبرى في تاريخنا الإسلامي، وقد واكب الفكر الإسلامي كل هذا التطورات مواجها لها ومستوعبها ومؤثراً ومتأثراً بها.

والحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر بكل هذه التحولات فحذر من الردة والفتنة قائلاً -صلى الله عليه وسلم-: "إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي إليها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم"(٢). ومن الفتنة قائلاً: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم

(١) الأنصاري: قصة الطوائف، ١٣٥، وما بعدها.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك رقم ٨٣٦٠ ؛ أبو داود، رقم ٤٢٦٤

رقاب بعض"[١] وقال- صلى الله عليه وسلم-، مشيراً بيده نحو المشرق (نجد): (هَا إِنَّ الْفِتَنَ مِنْ هَاهُنَا إِنَّ الْفِتَنَ مِنْ هَاهُنَا إِنَّ الْفِتَنَ مِنْ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)[٢]. وحدد ذلك أنها موطن نجد موضع ربيعة ومضر فقال[٣]:" الإيمان ههنا وأشار بيده الى اليمن والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر".

وقال صلى الله عليه وسلم[٤]: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ". وقال عليه الصلاة والسلام[٥]:"يقبض العلم ويقترب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا الهرج إيما هو يا رسول الله قال القتل القتل".

وحذر كذلك من أدعياء الإسلام الخارجين عنه، عنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم-: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلاَفٌ وَفُرْقَةٌ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ لاَ يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شيء مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا سِيمَاهُمْ قَالَ: «التَّحْلِيقُ»[٦]

---

(١) رواه البخاري، رقم ١٢١ ورواه آخرون.

(٢) رواه الإمام أحمد، رقم (٥١٠٩)،

(٣) رواه الطبراني، المعجم ،٥٦٩.

(٤) رواه البخاري، رقم٩٧٩.

(٥) رواه أحمد، رقم ٧٧٨٨.

(٦) رواه أبو داوود في السنن، رقم ٤٧٦٧.

وحذر صلى الله عليه وعلى آله وسلم من تكفير المسلمين وقتلهم بسبب هذا التكفير فقال: "أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث رجل قرأ كتاب الله حتى اذا رئيت عليه بهجة وكان عليه رداء الاسلام أعاره الله اياه اخترط سيفه وضرب به جاره ورماه بالشرك قيل يا رسول الله الرامي أحق بها ام المرمي ؟ قال : الرامي ورجل أتاه الله سلطانا فقال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله وكذب ليس لخليفة ان يكون جنة دون الخالق ورجل استخفته الاحاديث كلما قطع أحدوثة حدث بأطول منها ان يدرك الدجال يتبعه".[1]

وحذر من نقض الحكم من راشدي إلى ملك عضوض فقال[2]: " لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ ".

وحذر أشد التحذير من طغيان المادية وفتنتها، وحب الدنيا وعبادة الشهوات، فقال[3]: "إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا". ويقول في حديث أخر[4]: ".... ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم".

---

[1]) الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، تحقيق/ حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ١٩٨٣م، ج٢٠ص١٨، حديث رقم ١٦٩.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، رقم ٧٤٨٦ ؛ ورواه احمد رقم٢٢١٦٠.

(٣) رواه البخاري، رقم (٤٠٤٢).

(٤) الطبراني: المعجم الكبير، رقم ٣٩.

وحذر من الزندقة والفلسفات الإلحادية فقال[1]: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ ".

وحذر من التمزق السياسي والتشرذم وانقسام الدولة فقال- صلى الله عليه وسلم-[2]:" إنها ستكون بعدي هنات وهنات وهنات ورفع يديه فمن رأيتموه يريد تفريق أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم جميع فاقتلوه كائنا من كان من الناس". وقال[3]:" إذا كنتم على جماعة فجاء من يفرق جماعتكم ويشق عصاكم فاقتلوه كائناً من كان".

واخبر -صلى الله عليه وسلم- عن الصليبيين و التتار والاستعمار الحديث فقال[4]: " يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ".وهو بهذا- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- شخص المرض أنه حب الدنيا وكراهية الموت[5].

كذلك مما يعانيه المسلمون اليوم التيارات الفكرية المعاصرة سواء ذات الطابع الديني مثل القاديانية الاحمدية او البابية البهائية المدسوستان من

(١) رواه احمد ،رقم ١٤٣؛ والطبراني في المعجم الكبير رقم ١٤٩٩٥.

(٢) رواه النسائي،رقم٤٠٢١؛ وأبو داود والطبراني في المعجم الكبير.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم٣٦٥.

(٤) رواه احمد، رقم٢٢٣٩٧.

(٥) في تعريف الدنيا يقول مولانا جلال الدين الرومي: ليست الدنيا أن تملك المال والولد؛ إنما الدنيا المذمومة أن تركن إلى الدنيا وتنسى الله". جيهان اوقويوجو: مولانا جلال الدين الرومي، ص٥٣.

الاستعمار، أو غير ذات طابع ديني مثل الماركسية والليبرالية والعلمانية[1] والوجودية وغيرها من تيارات فكرية ممزقة للأمة.

ثم ما يسمى بالعولمة أو هيمنة الغرب على الشرق وفرض النظام الرأسمالي الربوي. قال –صلى الله عليه وسلم–[2]:"يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا فيأكل ناس أو الناس كلهم فمن لم يأكل منهم ناله من غباره". وقال[3]:" بين يدي الساعة يظهر الربا والزنا والخمر". وأخبر عن نهايته فقال[4]:" الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل".

ولأن المدرسة النبوية هي مدرسة الرجال وبناء الإنسان، الذين قال عنهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[5]:" يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين". فقد وقف أمام هذه التحولات رجال التربية النبوية، فأمام الردة وقف أبوبكر الصديق مجاهداً وأمام الفتنة وقف الإمام علي وحافظ على الدولة الإسلامية بقبوله الخلافة والنهوض بها ومن بعده الإمام الحسن بالتنازل عن الخلافة حفاظاً على الدولة ومنعاً لسفك الدماء واستمرار الفتنة. ثم أمام نقض الحكم من راشدي إلى ملك عضوض وقف الإمام الحسين مستشهداً في كربلاء، ثم الإمام زيد، ثم أمام

---

(١) المقصود بالعلمانية هنا العلمانية الإلحادية التي تحارب الدين مثل ما عمل أتاتورك. وليس المقصود العلمانية التي تعني حرية الدين والاعتقاد.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى،رقم١٠٢٥٢.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الاوسط، رقم٧٦٩٥

(٤) رواه الحاكم في المستدرك،رقم٢٢٦٢.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم٢٠٧٠٠.

تسرب المادية وطغيانها وحب الدنيا وقف أئمة كبار جيل بعد جيل من الإمام الحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز وجعفر الصادق ثم بشر الحافي والجنيد بن محمد والحارث بن أسد المحاسبي حتى الإمام أبو حامد الغزالي ثم الإمام عبدالقادر الجيلاني وأبو مدين شعيب المغربي (ت٥٩٤ هـ) [(١)]، إلى آخر السلسلة، فتأسست مدارس التربية الروحية التي سميت بالطرق الصوفية، وهي طرق التربية والتزكية والسلوك و نتيجة لظهور المدرسة الغزالية والجيلانية في التربية الروحية والتزكية والسلوك ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي والرجال الذين واجهوا الغزو الصليبي والاستعمار الحديث، فظهر نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح [(٢)]، وبالاستعمار الحديث ظهر عزالدين القسام وعمر المختار والأمير عبدالقادر الجزائري.

وأمام الزندقة والفلسفات الإلحادية وقف متكلمو الإسلام من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والحنابلة وغيرهم، مدافعين عن الإسلام والدين.

وهكذا حكمت التاريخ الإسلامي حركة التدافع والمداولة والجهاد أمام التحولات المستمرة والمخاطر الكبرى، لكن ما نزل من أمراض على الأمة لم ترتفع فالملك العضوض وحب الدنيا وتكالب شعوب الكفر على المسلمين

---

(١) ابو مدين شعيب بن الحسن التلمساني المغربي: الإمام الزاهد العابد المربي، ولد وسكن ببجاية، حصلت له شهرة كبيرة والكثير من الأتباع من أشهر مريديه الشيخ محي الدين ابن عربي. تروى عنه الكثير من الكرامات. توفي بتلمسان، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. مما جمع من كلامه كتاب مفاتيح الغيب، لإزالة الريب، وستر العيب. (التادافي: قلائد الجواهر، ص٢٣١؛ المناوي: الكواكب الدرية،٢/٤٥ وما بعدها ؛ الزركلي الأعلام،٣/٦٦).

(٢) ينظر: الكيلاني: هكذا ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي.

وفقدان الوحدة السياسية، كلها لازالت أمراضاً تعاني منها الأمة ولازالت تدافعها. وهنا تأتي أهمية الوعي التاريخي في فهم الأزمات المعاصرة وحلولها المفترضة.

على أنه من أولى مهام المجددين نرى محاولاتهم الإصلاح والتقريب والتجديد وجمع كلمة المسلمين خاصة بين المدارس والتيارات المختلفة. من هؤلاء الأعلام المجددون الإمام السرهندي والإمام الدهلوي والمرتضى الزبيدي على سبيل المثال.

المدارس الإسلامية التاريخية والجماعات الإسلامية المعاصرة:

ظهرت في التاريخ الإسلامي مدارس إسلامية متعدد كونت تاريخ الحضارة الإسلامية وكل مدرسة لها خصائصها وسماتها ومميزاتها وتجربتها الخاصة بها. تتواجد الآن جماعات إسلامية معاصرة كبرى، يزيد عدد أتباع كل منها عن خمسين مليون إنسان تقريبا، ومنها:

مدرسة حضرموت التاريخية، ترك السياسة ونشر الإسلام:

انتشر الإسلام بطريقة تسقط نظريتين غربيتين متأصلتين في الفكر الغربي الحديث وهما نظرية صراع الحضارات لهندجتون ونظرية التحدي والاستجابة لتوينبي. اذ انتشر الإسلام في الهند وشرق آسيا وشرق أفريقيا وغرب أفريقيا ووسط آسيا وشمالها بدون صراع ولا تحدي ولا استجابة. كان العلماء الربانيون من حضرموت وغيرها يرسلون الدعاة للدعوة إلى الله وممارسة التجارة للإنفاق

على أنفسهم وعلى الدعوة. فتمكنوا من خلال السلوك والمعاملة من نشر الإسلام بهدوء وحب وبدون صراع(١).

في آواخر القرن السادس تقريبا جمع الفقيه المقدم (ت٦٥٣هـ) حفيد الإمام احمد بن عيسى المهاجر (ت ٣٤٥هـ) في حضرموت شيوخ القبائل وكسر سيفه أمامهم وأشار انه لن يحمل سيفا على مسلم. متفرغا للدعوة والعلم. وبهذا تأسست مدرسة حضرموت التاريخية التي نشرت الإسلام من خلال هذا المنهج في الهند وشرق آسيا وشرق أفريقيا، حيث كان الحضارمة يخرجون دعاة إلى الله متسببين بالتجارة(٢).

أثرت دعوته في الأوساط الحضرمية إلى نزع السلاح، والتصوف، فتبعوه في ذلك قومه آل باعلوي وغيرهم كثير. فأرسى دعائم السلام في كثير من المدن والقرى الحضرمية، وصرف جانباً من أبناء الأمة عن الاشتراك في الفتن والحروب الأهلية إلى حياة العلم والثقافة والتصوف، والإصلاح والكسب الحلال، حتى أصبح ذلك منتشراً بينهم وعم معظم قطاعات الشعب.

ومن منهج التصوف الذي أرساه الفقيه المقدم هو العمل الاقتصادي بمختلف أنواعه وأبرز ذلك كان الزراعة والاهتمام بها حتى شُهر عنه ذلك (٣).

---

(١) جالودي، عليان عبد الفتاح (تحرير): التحولات الفكرية في العالم الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان الأردن٢٠١٤م، ص٤٢٣

(٢) الشاطري، محمد أحمد: أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر ط٣، المدينة المنورة ١٩٩٤م، ج١، ص١٨٥.

(٣) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ١/٣٠٥، ٣٠٦.

وكان من ثمار هذا المنهج نهضة دعوية تربوية علمية في أنحاء حضرموت، قام بها حملة العلم الديني من العلويين وإخوانهم من آل أبي فضل وآل الخطيب وآل أبي هرمز وآل أبي حاتم وغيرهم، الذين نهضوا نحو الإصلاح والإيمان ونشر العلم والتعليم. والذين اعترف لهم معاصريهم بالفضل والعلم، فقال نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) عندما زار حضرموت أواخر القرن السادس الهجري:

رعى الله أخواني الذين عهدتهم *** ببطن تريم كالنجوم العواتم

علياً حليف النجدة بن محمد *** وأبناء أخيه الغرة آل حاتم

ومن في تريم من فقيه مهذب *** وسيد أهل العلم يحيى بن سالم [١].

وقول العلامة المكي الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن أسعد اليافعي [٢]. (ت٧٩٧هـ)

مررت بوادي حضرموت مسلماً *** فألفيته بالبشر مبتسماً رحبا

وألفيت فيه جهابذة العلى *** أكابر لا يلقون شرقاً ولا غربا

- جماعة الدعوة والتبليغ: أسسها الشيخ الصوفي محمد الياس الكاندهلوي (ت ١٩٤٤م) في الهند، تتميز هذه الجماعة بالتركيز على الدعوة والتزكية والتربية والزهد. انتشر نشاطها في كل أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي. لها دور كبير في دعوة الناس إلى الإيمان والروحانية أمام تيارات المادية والإلحاد التي بدأت تنتشر في المنطقة الإسلامية[٣].

---

(١) الحامد، صالح: تاريخ حضرموت، مكتبة الرشاد، صنعاء، ٢٠٠٣م، ص٤٨٢.

(٢) بالفقيه، عبد الله حسن: لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي، تحقيق / محمد يسلم عبد النور، مركز النور للدراسات والابحاث، صنعاء ٢٠٠٥م ص٤٠.

(٣) الكندهلوي، محمد زكريا: رسائل في الدعوة إلى الإسلام، دار وحي القلم، دمشق٢٠١٠م. ص ٧ - ١٠

– جماعة النورسية: نسبة إلى مؤسسها الإمام بديع الزمان النورسي الذي كان على قدم كبير من التصوف والزهد. وعندما غزت تركيا موجات العلمانية الإلحادية وحورب العلماء وقتلوا. وحبس النورسي شرع في كتابة رسائل النور التي هي تفسير للقران الكريم. وفرغ نفسه للدفاع عن الإسلام والإيمان والقران الكريم. ثم انتشرت هذه الجماعة كذلك في معظم أنحاء العالم[(١)].

– التيجانية والشاذلية: وهما طريقتان صوفيتان اهتمتا بالتربية والتزكية والسلوك: أسس التيجانية في الجزائر الشيخ احمد التيجاني (ت١٨١٥م) التي سرعان ما انتشرت في العالم الإسلامي كله. كذلك الشاذلية التي أسسها الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي المغربي (ت٦٥٦هـ)، وهاتان الطريقتان تعدان من أكبر الجماعات الإسلامية على مستوى العالم[(٢)].

– الإخوان المسلمون: أسسها الشيخ حسن البنا (ت١٩٤٩) الذي كان صوفيا على الطريقة الحصافية الشاذلية، وكان في البداية يريدها حركة إحياء إسلامي شاملة، لكن غلب عليها بعد ذلك الاهتمام بالجانب السياسي.

– الحركة السلفية: وهي التي أسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد وقامت على أساسها الدولة السعودية. تعود جذورها الفكرية إلى الشيخ ابن تيمية. غلب عليها التشدد وتكفير كل الجماعات الإسلامية المخالفة لها.

---

(١) أنظر على سبيل المثال وليس الحصر: التصوف ورسائل النور للنورسي، مجموعة أبحاث، دار سوزلر، القاهرة ٢٠٠٦م.

(٢) ينظر على سبيل المثال: زروق، احمد بن الفاسي(ت٨٩٩هـ): أصول الطريقة الشاذلية، تحقيق/ محمد عبد القادر نصار، دار الكرز، القاهرة ٢٠٠٨م.

جماعات صنعها الاستعمار لتمزيق المسلمين:

لا يحكم المؤرخ في تأريخه إلا الوثائق التاريخية والمصادر، فهي الفيصل الحقيقي للحكم على أي موضوع فكري او تاريخي. ولأجل ذلك لا يستطيع مجاملة أقرب الناس اليه، بل من واجبه عرض الحقيقة التاريخية كما هي لنشر الوعي التاريخي السليم والعدل في معركة الوعي التي هي ساحة الحرب الحقيقية. في فترة الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي ظهرت جماعات دينية تحت رعايته وتمويله وتشجيعه. من أبرزها: البهائية(١) والقاديانية الاحمدية(٢) وما يسمى القرآنيون(٣).

الفكر الإسلامي والرأسمالية المعاصرة:

تمكن الفكر الإسلامي الحيوي والمتجدد من استيعاب متطلبات الهيمنة الرأسمالية للحضارة الغربية المعاصرة. فظهر ما سمي بالصيرفة الإسلامية، وفقه المرابحة والاستصناع والمزارعة والصكوك والتوريق وغيرها(٤). وتقديم حلول مالية بدلا من نظام البنوك الربوي.

---

(١) عبد الحميد، محسن: حقيقة البابية والبهائية، مكتبة المعارف، بغداد١٩٦٩، ص٩-٤٠.

(٢) الندوي، أبو الحسن علي: القادياني والقاديانية ثورة على النبوة المحمدية، المكتبة السلفية، القاهرة ١٩٥٥، ص١١-٢٠.

(٣) زينو، علي محمد: القرآنيون، نشأتهم، عقائدهم، أبرز اعلامهم، ادلة القرآنيين وتفنيدها، دار القبس، دمشق ٢٠١١.

(٤) الموسوي، حيدر يونس: المصارف الإسلامية، مؤسسة اليازوري للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١٨، ص ١٢-١٥٠؛ شيخون، محمد: المصارف الإسلامية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٢، ص ١٥-٨٠.

وهناك فارق أساس بين نظرة الفكر الإسلامي للمال أنه مجرد وسيلة وليس غاية بحد ذاته، وان المال مال الله والإنسان مستخلف فيه ومحاسب عليه. وبين الفكر الرأسمالي الذي يعد الحصول على المال غاية بحد ذاتها، ولا يهم بعد ذلك ما يفعل صاحب المال بماله. وهكذا اثبت الفكر الإسلامي قدرته على مواكبة متطلبات الحياة المعاصرة. وهناك فارق آخر بين الرأسمالية والإسلام وهو ان الإسلام لا يسمح بوجود احتكارات لصالح اقلية غنية بعكس النظام الرأسمالي. يساعد على ذلك وجود نظام للوراثة يفتت تمركز الثروة في اقلية.

الحضارة الغربية تتحدى المسلمين:

يقف البعض أمام سؤال مزيف وهو لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟ لكن السؤال الحقيقي هو ما هو التقدم؟ هل هو امتلاك التكنلوجيا مع القبول بانحطاط الانسان؟ الحضارة الغربية التي يعتبرها البعض قدوة يجب الاقتداء بها تعاني من: دمار البيئة الطبيعية وتفكك المجتمع والعائلة وأزمات نفسية وعقلية مدمرة للفرد وأمراض وبائية وجنسية خطيرة آخرها جدري القرود.

والحقيقة هي أن النظرة التاريخية تبين لنا أن الموضوع هو فترات نشاط وركود في التاريخ الإسلامي، وتحقيقا لسنة التداول التي أخبر عنها القران الكريم: "وتلك الأيام نداولها بين الناس".

على أن أي قراءة لواقع العالم الإسلامي والعربي لا يمكن أن تكون صحيحة بدون النظر إلى العالم التحت ارضي، أو العالم السري، وهو عالم المخابرات والجمعيات السرية المتسترة، وتأثيراتها وجيوش العملاء السريين. هذه القوى السرية الخطيرة التي تمارس كل أنواع سياسة فرق تسد، وتمارس تمزيق

المجتمعات العربية والإسلامية، وتمنع نهضة حقيقة، وتخلق نزاعات تدمر المجتمعات وتنهكها. كل ذلك لبقاء إسرائيل القوة الكبرى في المنطقة. إن أي قراءة حقيقية لواقع المسلمين تستبعد هذه الأبعاد الحقيقية والمؤثرة لن تكون صائبة، بل ومجانبة للحقيقة.

وبحسب نظرية توينبي ان الحضارة الغربية تتحدى المسلمين وحضارتهم، فإن الحضارة الإسلامية تستجيب لهذا التحدي، وتعيش حالة من مخاض **مقاومة** الهيمنة الفكرية والمادية للغرب. ولا يزال التاريخ يتفاعل بين صعود وهبوط حضارات سنرى نتائجه قريبا وليس ببعيد. لكن ما هي أسباب تقدم الغرب المزعوم؟

تاريخ الفكر الإسلامي من خلال نظرية النبض الكلي :

تقول نظرية النبض الكلي ان حركة التاريخ وقيام الحضارات ما هو الا شكل من اشكال الطاقة متعددة الظهور والاشكال[1]. والحضارة الإسلامية ليست مجرد صعود او هبوط دول، ولكن حقيقتها انها رسالة وفكر، آخر رسالة من السماء، ولذلك الحضارة الإسلامية مستمرة باستمرار هذا الفكر الذي مرجعيته الكتاب والسنة والتراث الفكري للمسلمين بما حوى من اجتهادات وتاريخ علمي ناصع. وبهذا يظهر لنا مدى اختلافها عن الحضارات الأخرى مثل الحضارة اليونانية او الرومانية. ويتضح لنا لماذا تتداول أمم متعددة التناوب في

[1] الصافي: دراسات في المنهج، ٧٥-٧٧.

حمل هذه الحضارة، من العرب الى الفرس الى الترك الى البربر، وهكذا. ويتضح لنا قدرة هذه الحضارة على البقاء والاستمرار رغم كل التحديات التي تواجهها.

المنهج المعرفي الإسلامي:

المعرفة هي أسمى مقصد للإنسان في أدائه التعبدي لله عز وجل. ولكن تكتنف هذه المعرفة إشكالية حقيقية تحدد مستوى ودقة وصدقية هذه المعرفة وهي إشكالية مناهج المعرفة نفسها. وبتعدد المناهج تتعدد المعرفة وأطروحاتها وخاصة في قضية التعرف إلى الله عز وجل والاتصال به، أو معرفة الله والتواصل معه. والمناهج الثلاثة السالفة تثير تساؤل خطير وهو: هل نعرف الله بالنص أم نعرف الله بالعقل أم نعرف الله بالقلب والوجدان (1). هذه الإشكالية لا توجد في الإسلام، إذ أن المنهج القرآني للمعرفة بشكل عام يقوم على

المثال على ذلك في المعرفة الحسية قوله تعالى " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ "السجدة (٢٧).

وقد وضح هذا المنهج المعرفي الاستقرائي من تعلم قابيل لكيفية دفن أخيه هابيل من خلال مشاهدته وملاحظته للغراب الذي دفن غراباً. "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ "المائدة (٣١).

---

(١) النموذج التاريخي لهذا الصراع المناهجي كما حدث بين برنارد اوف كليرفو الذي قال الإيمان إحساس وشعور وبين بيتر ابيلارد الذي قال الله عز وجل وهب العقل للإيمان به ومعرفة الدين. (اليوسف: العصور الوسطى الأوروبية، ٢١٤).

وأدى اتخاذ المسلمون المنهج الحسي إلى ظهور العلوم التطبيقية عند العرب والمسلمين، في الوقت الذي لم تعرف هذا المجال الحضارة الأوروبية القديمة. (١)

لكن المنهج الإسلامي لم يقف عند الحواس وحدها كطريق للوعي والمعرفة، بل تجاوز الملاحظة والتجريب والاستقراء والقياس لوعي وإدراك ظواهر وحقائق الكون والمادة وما وراء المادة.

ففي المعرفة العقلية والفكرية قوله تعالى:"قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا" سبأ (٤٦). وقوله تعالى:"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "النحل (١٢). وقوله تعالى:" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) آل عمران.

وعن أم الدرداء قيل لها: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء (ت٣٢هـ) (٢)؟ قالت: التفكر. (٣)

---

(١) حربي عباس عطيتو وحسان حلاق: العلوم عند العرب، أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٥م.

(٢) أبو الدرداء، عويمر بن مالك بن قيس الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل كان تاجرا في المدينة، ثم تفرغ للعبادة. ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك. تولى قضاء دمشق زمن عمر. وهو أحد الذين جمعوا القرآن، حفظا، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف. (الاصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ، ج١ص١٠٨).

(٣)ابن أبي شيبة، أبو بكر (ت٢٨٥هـ): المصنف في الأحاديث والأخبار، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض١٤٠٩هـ، ج٧ص١١١؛ البيهقي، ابوبكر بن احمد (ت٤٥٨هـ): شعب الإيمان، تحقيق/ عبد العلي حامد، مكتبة الرشد للنشر، الرياض١٤٢٣هـ، ج١ص٢٦٢.

وفي الأثر عن الحسن البصري (ت١١٠هـ)[١]، عن عامر بن عبد قيس (ت٩٠هـ)[٢] قال: "سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: إن ضياء الإيمان، أو نور الإيمان، التفكر". وعن الحسن البصري أيضا:" تَفَكُّر سَاعَة خير من قيام ليلة". [٣]وسئل إبراهيم بن أدهم (ت١٦١هـ)[٤] عن العبادة، فقال:" رأس العبادة التفكر والصمت إلا من ذكر الله عز وجل..". [٥]

أما منهج المعرفة القلبية من القرآن فقولة تعالى:"لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ "الأعراف(١٧٩).وقوله تعالى:" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

---

(١) الحسن البصري، الحسن بن يسار، أبو سعيد: التابعي الناسك العابد الفقيه كان من العلماء الربانيين الداعين إلى الله بلا خوف من سلطان. (الاصبهاني: حلية الأولياء،٢/١٣١ وما بعدها؛ الزركلي: الأعلام،٢/٢٢٦).

(٢) عامر بن عبد قيس التميمي العبدي الزاهد، روى عن عمر وسلمان الفارسي، وتوفي في حدود السبعين للهجرة. (الذهبي: سير أعلام النبلاء،٤/١٥؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠، ج١٦ص٣٥).

(٣) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق/ محمود حسن، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤، ج١/ص٥٨١.

(٤) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق: الزاهد العابد كان أبوه من أغنياء بلخ، تفقه ورحل إلى بغداد، وزار العراق والشام والحجاز. وأخذ عن كثير من العلماء. وكان يعيش من العمل اليدوي ويشترك مع المجاهدين في قتال الروم. (الاصبهاني: حلية الأولياء،٧/٣٦٧).

(٥) البيهقي: شعب الإيمان،١١/٢٠. للمزيد عن أهمية العقل في الإسلام ينظر: زقزوق، حمد حمدي: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣، ص٢٥ وما بعدها.

يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "الحج (٤٦).

وقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم [١] " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله". وقوله صلى الله عليه وسلم :[٢]" إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِن الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ". وقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[٣]" إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَن وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِن اللَّهِ فَلْيَحْمَد اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ}.

وعَنِ الْحَارِثِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: " كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟ " قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي، وأظمأ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يتضاغطون فِيهَا، فَقَالَ: " يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ "، ثَلاثًا. [٤]

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم ٧٣٦٩؛ الترمذي رقم٣٠٥٢؛ الشهاب القضاعي في مسنده رقم٦٢٢.

(٢) رواه البخاري رقم ٣٢١٠ و٣٤١٣ ورواه مسلم رقم ٤٤١١ وغيرهم.

(٣) رواه الترمذي رقم ٢٩١٤ والنسائي في السنن الكبرى رقم١١٠٥١ والطبراني في المعجم الكبير رقم٨٤٥٤ وابن حبان في صحيحه رقم ١٠٠٢.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم٣٢٨٩؛ ورواه عبد الرزاق في مصنفه رقم٢٠١١٤؛ وابن أبي شيبة في مصنفه برقم٧٤؛ والبيهقي في شعب الإيمان برقم١٠٥٩٠.

والتاريخ الإسلامي مليء بشواهد المعرفة من خلال القلب أو من خارج أطار الحواس، ولعل أشهرها حادثة عمر رضي الله عنه عندما نادى من فوق المنبر: يا سارية الجبل. إذ رأى وهو في المدينة سارية والجيش الذي معه وهو يبعد عنه ألاف الأميال [1].

وكان الإمام على بن أبي طالب -كرم الله وجهه- شرح شيئا من هذه المعرفة بقوله عن السائر في طريق الله عز وجل [2] " قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظة، وبرق له لامع كثير البرق، فأنار له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة، ودار الإقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة، بما استعمل قلبه، وأرضى ربه".

وعلى ذلك أكد جمهور علماء الإسلام بمختلف مذاهبهم وتوجهاتهم على وجود المعرفة القلبية أو ما يسميه البعض بالمكاشفة [3] أو علوم الولاية. وإن كان اختص بهذه المعرفة أهل التصوف بشكل أكثر من غيرهم، لأن التصوف علم

---

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تاريخ الأمم والرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ، ج٢ص ٥٥٣،٥٥٤؛ الجزري، ابن الأثير أبو المحاسن على بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، (د.ن) بيروت (د.ت)، ج١ص٤٦٧؛ وللمزيد عن المعرفة القلبية ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: أحياء علوم الدين، ضبط نصه وخرج أحاديثه/ محمد محمد تامر، مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٤، ج ٣ ص٣ وما بعدها.

(٢) نهج البلاغة، ضبطه ووضع فهارسه العلمية: صبحي الصالح، (د.ن)، بيروت١٩٦٧، ص٣٣٧.

(٣) ينظر على سبيل المثال: ابن تيمية، أحمد عبد الحليم (ت٧٢٨هـ): مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن النجدي الحنبلي، (د.ن)، بيروت (د.ت)، ج ١ ص ١٨٦، ج٢ص٢٤٢، ج٤ص٢٤٠.

يهتم بالحالة القلبية والروحية للمسلم [(١)]. وكان بعض الفقهاء ينكرون مثل هذه المعرفة الكشفية أمثال القاضي صالح بن مهدي المقبلي [(٢)] (ت١١٠٨هـ/١٦٩٦م)، ولكن بعد حادثة خاصة وقعت له مع ابنته تبين له صدق هذه المعرفة. إذ مرضت ابنته زينب في بيته بمكة وكان ملاصقا للحرم فكانت تخبره وهي من وراء جدار بما فعل في الحرم وكان يغلق عليها مرارا وتذكر أنها تشاهد كذا وكذا فيخرج إلى الحرم فيجد ما قالت حقا. [(٣)]

كذلك كان حال معظم الفلاسفة المسلمين يثبتون المعرفة القلبية أو الاشراقية، ولكن للمعرفة الإيمانية وليس للمعرفة الفلسفية، كما هو الحال عند الكندي على سبيل المثال. [(٤)]

وأدوات معرفة الله هي العقل والقلب معا. وسواء كانت المعرفة بالله عقلياً أو ذوقياً فإن موضوعها الذات الإلهية من حيث صفاتها وأسمائها وأفعالها. وكل نوع أو فئة من البشر يناسبهم شكل من أشكال هذه المعرفة. فالمعرفة الحسية

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين،٣/٢٥ -٢٧(طبعة القاهرة).

(٢) صالح بن مهدي بن علي المقبلي: فقيه مجتهد. ولد في قرية مقبل من بلاد كوكبان، باليمن، نشأ في ثلا وتعلم فيها وفي كوكبان. وكان على مذهب الإمام زيد، فخرج عن التقليد. رحل إلى مكة سنة ١٠٨٠هـ فاشتهر، وكتب فيها مؤلفاته، وتوفي بها. من مؤلفاته العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ. (الشوكاني: البدر الطالع،١/٢٨٨).

(٣) الشوكاني: البدر الطالع ،١/٢٦٧. أشار الأستاذ الدكتور محمد الكمالي إلى شمول المعرفة الحسية والعقلية والقلبية في المنظور المعرفي عند المقبلي. ينظر: الكمالي، محمد محمد: المنظور المعرفي عند العلامة المقبلي، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، المجلد٣٢، العدد٢ يوليو-ديسمبر٢٠٠٩، صنعاء،١٣٦،١٣٤.

(٤) الكمالي، محمد محمد: أصالة المذهب المعرفي عند الكندي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، المجلد٣٢، العدد١ يناير- يونيو٢٠٠٩، ص٣٥.

هي معرفة العوام، والمعرفة العقلية معرفة الخواص بينما المعرفة القلبية الروحية هي معرفة خواص الخواص.[1]

يقول الإمام الغزالي عن هذه المعرفة القلبية[2]:" وهو علم الصديقين والمقربين، أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامات، وبأفعاله، وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي، ومعنى الشيطان، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بملكوت السموات والأرض، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب". وبين الغزالي أن للإدراك درجات، الأولى هي قوة الحس، والثانية قوة العقل، والثالثة قوة أخرى وراء العقل، ثم النبوة وهي طور آخر يحصل فيه نور لا يصل إليه العقل[3].

---

(١) الملطاوي: الصوفية في إلهامهم، ج١ص١١.

(٢) إحياء علوم الدين، ج١ص٣١.

(٣) الشمالي: تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية ،٥١١.

كذلك يقول الغزالي[1]:" فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي فإذا أقر بهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة".

وعن المعرفة القلبية يشير جلال الدين الرومي، أن هناك حواس باطنية وراء هذه الحواس الظاهرة، كنسبة التراب والخزف إلى الذهب الخالص من التبر المسبوك. ويقول[2]" أن الحواس الظاهرة تستمد غذائها وقوتها من الأبدان و الأشباح ، أما الحواس الباطنية ، فإنها تستمد غذائها وقوتها من النفوس والأرواح ، وأن قوت الأولى الظلام الذي فطرت عليه الأجسام ، وقوت الآخرة الحواس الباطنة ، النور الذي فطرت عليه الأرواح والقلوب... إن الذين اعتمدوا على حواسهم الظاهرة واقتصروا عليها ، وأنكروا ما عداها ، ضيعوا حواسهم الباطنة ، وفقدوا قواهم ومواهبهم التي منحهم الله إياها ، وأصبحوا محجوبين عميانا ، لا يمشون إلا بعكازة أو بقائد يقودهم ، وأصبح كثير من الحقائق والدقائق مستورة عنهم".

والقاعدة الإسلامية العامة هي أنه يستطيع كل مسلم أن يصل إلى مستوى عال من هذه المعرفة ولكن بشروطها بحسب الحديث القدسي الصحيح[3] " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا

(1) إحياء علوم الدين، ٣/٢٦.

(٢) الندوي: رجال الفكر، ٤٠٥.

(٣) رواه البخاري رقم ٦٠٢١.

افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " . هكذا يصير المؤمن يسمع ويرى ويبطش من خلال القدرة الإلهية، بعد أن يتبع المنهج الإسلامي في المعرفة. ويعزز هذا الحديث قوله عز وجل:" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) العنكبوت. فالمجاهدة للنفس هو المنهج الذي يقود إلى الاهتداء إلى سبل المولى عز وجل، وبالتالي إلى المعرفة به. كذلك لخص هذا المنهج قوله تعالى:" قل إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا..". وأكد على وجود هذا العلم بقوله عز وجل:" قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) النمل.

ويقول الأمام شمس الدين السخاوي [(١)] (ت ٩٠٢هـ) عن الجمع بين المنهج العقلي والمنهج القلبي [(٢)] " فمن الطالبين من راح إدراكه بالبحث والنظر وهؤلاء زمرة الباحثين، ورئيسهم أرسطو... ومنهم من سلك طريق تصفية النفس من

---

(١) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين: مؤرخ وفقيه وعالم بالحديث والتفسير، ولد في القاهرة، وتوفي بالمدينة ساح في البلدان سياحة طويلة، وألف الكثير من المؤلفات من أشهرها الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع. (الزركلي، الأعلام،٦/١٩٤).

(٢) عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام، ١٣٦، ١٣٧.

الرياضة، وأكثرهم يصل إلى أمور ذوقية يكشفها له العيان ويجل أن توصف بلسان... ومنهم من ابتدأ أمره بالبحث والنظر وانتهى إلى التجريد والتصفية، فجمع الفضيلتين وينسب مثال هذا الحال إلى سقراط وأفلاطون والسهروردي والبيهقي".

وضح ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)[١]منهج المعرفة القلبية عند الصوفية قائلاً[٢]:" ثم أن المجاهدة والخلوة والذكر يتبعهما غالباً كشف حجاب الحس، والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها و الروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع من الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشؤه وأعان على ذلك الذكر فأنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وتزايد إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ويكشف حجاب الحس ... فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية ، والعلوم اللدنية والفتح الإلهي وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى أفق الملائكة ... ثم أن الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم إلا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة".[٣]

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ابوزيد: الفقيه والأصولي والمؤرخ ولد بتونس من أسرة حضرمية اشتهر بالعلم فشغل وظائف حكومية وعلمية في تونس ومصر، وزار العديد من البلدان والحكام، اعترف بفضله العلماء الغربيون المحدثون. من أشهر مؤلفاته كتاب ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر، والمقدمة (ابن العماد: شذرات الذهب، ٧٥/٧؛ الزركلي: الأعلام،٣٣٠/٣).

(٢) المقدمة ، دار القلم، ط٤، القاهرة ١٩٨١م، ص ٤٦٧، ٤٧٥؛ ينظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ضبط نصه: محمد محمد تامر، مؤسسة المختار، القاهرة٢٠٠٤م، ٢٥/٣. يعرف البعض كشف حجاب الحس أنه خروج الروح من الجسد يقظة مع عدم الانفصال النهائي عنه.

(٣) عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام ،١٣٤.

ويقول ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) [1]:"أذهلهم عن إدراك ما هم فيه وهيمهم عن شهود ما هم له وضن بحالهم عن علمهم ما هم به فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم عن قصد صادق يهيجه غيب وحب صادق يخفى عليه علمه ووجد غريب لا ينكشف له موقده وهذا من أدق مقامات أهل الولاية."

ولهذا فإن هذا المنهج المعرفي عند المسلمين مقيد أولاً باستقامة الخُلق وثانياً الإلمام بعلوم الشريعة والتفقه بالدين والتقيد به وقالوا إن هذه المعارف والعلوم المتحصلة من هذا المنهج هو نتيجة العمل بالكتاب والسنة، فمن عمل بما علم تكلم كما تكلموا وصار جميع ما قالوه بعض ما عنده. لأنه كلما ترقى العبد في باب الأدب مع الله تعالى دق كلامه على الإفهام [2]. ولهذا كان هذا المنهج عند المسلمين جامعاً للمناهج الثلاثة الحسية والفكرية والوجدانية. وقد بين هذا المنهج القلبي في المعرفة عدد من كبار علماء الإسلام، منهم القاضي محمد بن على

---

(١) مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣، ج٣ص١٨٢. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الدمشقي، أبو عبد الله، الفقيه العالم ولد وتوفي في دمشق. تتلمذ للشيخ ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وينتصر له في جميع ما يصدر عنه. سجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا. وأطلق بعد موت ابن تيمية. له مؤلفات كثيرة منها: إعلام الموقعين والطرق الحكمية في السياسة الشرعية مفتاح دار السعادة وزاد المعاد. (ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد (ت٨٥٢هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق/ محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد١٩٧٢م، ج٣ص٤٠٠؛ الزركلي: الأعلام، ٥٦/٦).

(٢) الألوسي: روح المعاني ،٥ /٦٣.

الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)[١]، الذي يقول[٢]" ثم الاشتغال بذكر الله وبالعبادة المقربة إليه... ثم يفتح الله باباً كان عنها محجوب كغيره... فيبصر ويسمع ويفهم بحواس لا يحجبها عن حقائق الحق حاجب".

أما من اتبع طريق المجاهدة والرياضة والصوم عن غير طريق الشريعة والسنة المحمدية، فربما تنقدح له علوم ومعارف لكنها ربما تكون استغواءات شيطانية وتلاعبات نفسانية، لهذا حذر علماء الإسلام من الرياضات الروحية المجردة التي تتم بغير هدى الشرع وإتباع سنة الحبيب المصطفى، وقالوا إن ما يتراءى للمتريض بغير الشرع إنما يكون استغواء شيطاني، فهذه فنون من العلوم غير ممنوعة عن الرهبان والبراهمة[٣]. كما يقول الإمام الشاذلي (ت٦٥٦هـ)[٤]:" إذا عارض كشفك

---

(١) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد لمن وصل إلى درجة الاجتهاد. له العديد من المؤلفات المشهورة. (الزركلي: الأعلام،٢/٢٩٨).

(٢) تحقيق وترتيب/ أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد صنعاء ٢٠٠٢م ج٢ص١٠٤٣-١٠٥٥؛ القنوجي، صديق بن حسن: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم تحقيق / عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧، ج٢ ص٣٧٠، ٣٧١.

(٣) الرندي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد النفري (٧٩٢هـ): غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، مكتبة الايمان، القاهرة ٢٠٠٥، ص ٣٨١،٣٨٠.

(٤) محمود: قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، ٧٥. أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المغربي: الإمام الصوفي الزاهد إليه تنتسب الطريقة الشاذلية في التربية والسلوك، ولد بالمغرب وتفقه وتصوف بتونس ثم سكن الإسكندرية داعيا إلى الله ومربيا، خرج مجاهدا للصليبيين في معركة المنصورة رغم انه كان ضريرا، توفي بصحراء عيذاب وهو متوجها للحج. (الذهبي، شمس الدين محمد (ت٧٤٨هـ): العبر في خبر من غبر، تحقيق/ صلاح الدين المنجد، (د.ن) الكويت١٩٨٤، ج٥ص٢٣٢؛ عبد الحليم محمود: قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، ١٥-١٢٠).

الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام، ولا المشاهدة". وعلى ذلك لا ينبغي العمل بالكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة، وهذا هو منهج أهل التصوف [(١)].

كما أن اتخاذ طريق الرياضة والتصفية القلبية دون تفقه وتعلم للشرع، أي تصوف بدون تفقه هو زندقة كما قال الإمام مالك:" من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق". [(٢)] ولهذا قالوا إن أمثل طرق الوصول إلى الحكمة والمعرفة بالله هي طريق العقل وطريق التصفية القلبية معاً [(٣)].

ويقول أبو سليمان الداراني (ت ٢١٥ هـ) [(١)]:" ليس ينبغي لِمَنْ ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمعه في الأثر عمل به، وحمد الله حين وافق ما في نفسه ".

---

(١) التادفي، محمد بن يحيى: قلائد الجواهر، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة٢٠٠٤م ،١٦٥.

(٢) زروق، احمد بن احمد البرنسي (ت٨٩٩هـ): قواعد التصوف، ضبطه: محمود بيروتي، دار البيروتي، دمشق٢٠٠٤م، ص١؛ عبد الفتاح اليافعي: المنهجية العامة في العقيدة والفقه والسلوك، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص ١٠١، نقلا عن حاشية العدوي على شرح الزرقاني،١٩٥/٣ ومرقاة المفاتيح لملا على القاري، ٤٧٨/١؛ ينظر أيضا: الملطاوي: الصوفية في إلهامهم، ج١ص١٩٨.

(٣) محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام، ١٤١،١٤٠.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣ص٥١١. أبو سليمان الداراني، عبد الرحمن العنسي المذحجي، الزاهد المشهور، من أهل داريا بغوطة دمشق رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده. كان من كبار المتصوفين. (الزركلي الاعلام،٢٩٤/٣).

وحذر الإمام الغزالي من أقوال الشطح فقال[1]:" وأما الشطح: فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية أحدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا، وقلنا كذا، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله أنا الحق، وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام".

كذلك كان تحذير ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) [2] الذي يقر بعلم التصوف و بالمعرفة القلبية ويحذر من مزالقها :" ثُمَّ إنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ التَّوَجُّهِ إلَى اللَّهِ إذَا أَقْبَلُوا عَلَى ذِكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ : شَهِدُوا بِقُلُوبِهِمْ هَذِهِ الرُّبُوبِيَّةَ الْجَامِعَةَ وَهَذِهِ الْإِحَاطَةَ الْعَامَّةَ فَإِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ... فَقَدْ يَشْهَدُ الْعَبْدُ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ بَيْنَ الْمَصْنُوعَاتِ وَهُوَ الْحَقُّ الْمَوْجُودُ فِيهَا الَّذِي هُوَ شَامِلٌ لَهَا فَيَظُنُّ أَنَّهُ الْخَالِقُ لِمُطَابَقَتِهِ لَهُ فِي نَوْعٍ مِنْ الْعُمُومِ وَإِنَّمَا هُوَ صُنْعُهُ "[1].

---

(١) إحياء علوم الدين ،١/٣٩.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية من فقهاء الحنابلة، ظهر في القرن الثامن الهجري، صدرت منه فتاوى خالف فيها جمهور علماء المسلمين، منها انكاره شد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فصدر ضده حكم بالحبس، ثم خرج منه ولم يلبث ان عاد إليه وتوفي رحمه الله في السجن. دافع عن التصوف السليم وهاجم ما اسماهم صوفية الأرزاق والرسوم، وشرح أحد أهم كتب التصوف: فتوح الغيب للإمام عبد القادر الجيلاني. (ابن حجر: الدرر الكامنة ،١/٤٦. مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١١ص٥٠ وما بعدها).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١ / ١٨٦.

ويقول كذلك[1]:" وَأَهْلُ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْمُخَاطَبَاتِ يُصِيبُونَ تَارَةً؛ وَيُخْطِئُونَ أُخْرَى؛ كَأَهْلِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ فِي مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ؛ وَلِهَذَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ جَمِيعُهُمْ أَنْ يَعْتَصِمُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يَزِنُوا مَوَاجِيدَهُمْ وَمُشَاهَدَتَهُمْ وَآرَاءَهُمْ وَمَعْقُولَاتِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ".

وعلى ذلك فضابط المعرفة القلبية الكشفية هو أتباع الكتاب والسنة.[2] على ان هذا السلوك الروحي الذي تحدث عنه ابن خلدون والشوكاني وقبلهم الإمام الغزالي وغيرهم من المسلمين ينقسم إلى مراتب عدة ومقامات متباينة كل على حسب استعداده في الترقي وقدرته على ذلك[3]، سواء في العروج الروحي أو في مكاشفة أنوار القلب[4]. وبسب ذلك تعددت مقولات ومفاهيم وحدة الوجود عندما قال بها بعض من أهل التصوف أو من نسبت إليه مثل هذه المقولات بناء على مشاهداته القلبية. إذ " تتنوع تنزلات الغيوب، بتنوع استعدادات القلوب "[1].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ،٤/٢٤٠.

(٢) السهروردي: عوارف المعارف، ١٦٧، ٢٠٢؛ النفري: غيث المواهب، ٣٨١،٣٨٠.

(٣) القنوجي: أبجد العلوم، ١/٤٠٠.

(٤) يقول النورسي: "اعلم ان المعلومات الآفاقية لا تخلو عن الأوهام والوساوس. وأما إذا استندت إلى الأنفس واتصلت بالوجدانيات والمشعورة بالذات، تصفت عن الاحتمالات المزعجة. فانظر من المركز إلى المحيط، ولا تعكس فتنتكس". المثنوي العربي النوري، سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠٠٣، ص٢٢٦

(١) ابن عربي، محيي الدين: تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك، وضع حواشيه: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ص١٦.

فبعض المشاهدات القلبية تستغرق لحظات سريعة. لكن يحصل فيها من الأنوار والأسرار والمعرفة والسرور ما يكفي صاحبها من اليقين والحب لله عمره كله. (١)

ويذكر البعض أن الحب الإلهي أول الطريق، بمعنى أن طريق المجاهدة والرياضة تبدأ بخاطفة الحب إلى الله عز وجل، وتذوق هذا الحب (٢). ولهذا نجد الكثير من شعر وفكر أهل التصوف يتمحور حول الحب الإلهي، وإن رمز له أكثرهم برموز شعرية مثل ليلى وسلمى وغيرها (٣).

كما أن أهل الإسلام يغلب أحياناً على جماعة منهم ترجيح منهج دون آخر، حتى أخذ المسلمون حظهم إلى حد بعيد من الانقسامات المنهجية في المعرفة. ففريق منهم حكم العقل في النص وقدم العقل عند التعارض وهؤلاء هم المعتزلة. وفريق حكم النص على العقل، معطلا للعقل، فسقط بعضهم في التجسيم والتشبيه وهؤلاء هم غلاة الحنابلة. (١)

---

(١)وهو ما حدث على سبيل المثال للكاتب الإسلامي خالد محمد خالد. (خالد، خالد محمد: قصتي مع التصوف، دار المقطم، القاهرة ٢٠٠٤، ص١٠٨،١٠٧).

(٢) الراشد، محمد: وحدة الوجود من الغزالي إلى ابن عربي، صفحات للدراسات والنشر، دمشق ٢٠٠٦م ص١٧٢.

(٣) الندوي: رجال الفكر والدعوة ،٤٢٥/١.

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ): دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق/حسن السقاف، دار الامام النووي، عمان١٩٩٢، ص١٠٠،٩٩.

وفريق وازن بين النص والعقل فألتزم بقدسية النص ولم يعطل العقل، إلا انه قدم المعرفة القلبية والارتباط الوجداني بالله والرسول صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم أهل التصوف والاشاعرة. (١)

وهذه الاختلافات هي في حدود الطبيعي، لأن الناس مختلفون في تكوينهم العقلي والفكري والروحي وليسوا سواء، فمنهم من يغلب عليه قوة العقل، ومنهم من يفضل الالتزام بالحسي، وبالتالي في التقيد بالنص. ومنهم من تغلب عليه قوة العاطفة والقلب والتوجه الروحي الوجداني، ومن عظمة وقوة الإسلام ووسعه أن لدية القدرة على احتواء كل فئات البشر بمختلف قدراتهم. مع الدعوة إلى الوسطية وعدم التطرف وادعاء الحق المطلق.

وموقف العلماء المسلمين هو عدم تكفير أي مسلم حيث تختلف رؤى كل مسلم حسب مستواه المعرفي ، فمعرفة الجاهل غير معرفة المتبحر ، ومعرفة الفقيه تختلف عن معرفة أهل الكشف ، يقول الإمام عبد الوهاب الشعراني (ت٩٧٣هـ)(١) :" سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : من ادعى مقام

(١) محمود، عبد الحليم: المنقذ من الضلال، قضية التصوف، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٣م؛ القاضي، أحمد عرفات: الفكر التربوي عند المتكلمين المسلمين، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٩٦، ص٦٥ وما بعدها.

(١) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار احياء التراث العربي، القاهرة (د.ت) ج١ص٤١. أبو المواهب عبد الوهاب بن احمد الشعراني: ولد بمصر عام٨٩٨هـ، حصل العلم حتى صار من أكابر العلماء، فكان فقيها محدثا صوفيا، له عشرات المؤلفات لمختلف العلوم الشرعية. (الشعراني، عبد الوهاب (ت٩٧٣هـ): الأخلاق المتبولية، تحقيق / منيع عبد الحليم محمود، مكتبة الايمان، القاهرة ٢٠٠٣م، ج ١ص٦ وما بعدها).

المعرفة وهو يجرح عقائد أحد من أهل الفرقة الإسلامية من كل وجه فهو كاذب ، فإن من شروط العارف بالله دخول الحضرة الإلهية ، وإذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة إليها ومتصلة بها كاتصال الأصابع بالكف ، فأقر بجميع عقائد المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ، ولو من بعض الوجوه".

فالمعرفة الكاملة بالله والتي يمكن أن تتاح لإنسان لا يمكن بلوغها والوصول إليها بالحس لأن الحس يعني بالموضوعات المادية والله عز وجل ليس مادة. ولا بالوهم لأن الوهم يختص بالصورة والله عز وجل خالق الصور والتصور، ولا بالعقل لأن العقل يهتم بعلل الأشياء وأسبابها والله ليس معلولا. وأقصى ما يمكن أن يصل إليه العقل هو أن يثبت أن الله عز وجل هو العلة الأولى، وأنه ليس كمثله شيء. فبقيت إذاً المعرفة الذوقية أو القلبية أو الوجدانية وهي أعلى دراجات المعرفة الصحيحة، ولا يمكن الإفصاح عنها بأية وسليه من وسائل التعبير الإنساني، وهي قمة اليقين، وإذا ما بلغها الإنسان تضاءلت أمامها أنماط المعرفة الأخرى جميعاً[١]. وبينت أفقاً وشهوداً واسعاً لا يمكن للحس والعقل لوحدهما أن يبلغاه.

على أن منهج المعرفة القلبية عند المسلمين مقيد ومسترشد بالمعرفة الحسية والعقلية، لأنه مقيد ومسترشد بالشريعة الإسلامية، الكتاب والسنة. فهي ليست معرفة لا ضابط لها ولا معيار، يغيب عنها العقل وينتفي منها الحس، بل هي منهج التوازن الكلي بين الحس والعقل والقلب.

---

(١) محمود، عبد القادر: دراسات في الفلسفة الدينية والصوفية والعلمية، دار الفكر العربي، بيروت١٩٧٨، ص٣٧٤، ٣٧٥.

فتغليب منهج على آخر يضر بمستوى المعرفة وصدقيتها فعلى سبيل المثال أصحاب المنهج العقلي اختلفوا وتعارضوا وتناقضوا، ولم تستطع كل الجهود المبذولة للتوصل إلى مقياس عقلي يزن بين الحق والباطل بالنسبة للأمور الغيبية، وأمور ما وراء الحجب. وكل ما يمكن أن يصل إليه العقل احتمالات وترجيحات لا تنتهي إلى اليقين الاستدلالي الذي لا شك فيه [(١)]. وهذه الاختلافات بين أصحاب المنهج العقلي ليس فقط في قضايا الغيب، بل اختلفوا كذلك في العلوم الظاهرة الطبيعية المشاهدة أمام ناظريهم. فظهرت النظريات المختلفة، وكل نظرية تختلف عن الأخرى، وكثيراً ما يصعب الجمع بينهما، مثل نظرية النسبية ونظرية الكوانتم على سبيل المثال لا الحصر [(٢)].

كذلك عرف عن أهل المعرفة القلبية التحذير من التحدث بها. يقول الإمام الغزالي [(١)]:"والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه. وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال، علماً منهم بقصور إفهام الخلق عن الاحتمال – والعلماء ورثة الأنبياء – فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج

---

(١) محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام، ١٣٩،١٣٨.

(٢) غرين ، برايات: الكون الأنيق، ترجمة فتح الله الشيخ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠٠٥، ص١٣٩ وما بعدها.

(١) إحياء علوم الدين ،٨/١.

التأسـي والاقتـداء...". ويقـول الإمـام عبـد الله بـن علـوي الحـداد (ت ١١٣٢هـ)[(١)]:" ومـن شـأن المتكلم في بيـان هـذه العلـوم، مـع مـن لم يصـل إلى شيء منهـا بطريق الذوق أنه لا يزيدها بيانه لها إلا غموضا". وهنـاك إشكالية أخـرى هـي عـدم وفـاء الكلمـات بالقـدرة علـى جـلاء التوضيح والبيـان لهـذه العلوم.[(٢)]

ولأجـل إيمـان المؤرخين المسلمين بهـذه المنهجيـة المتعـددة في المعرفـة تمتلـئ مؤلفاتهم التاريخية بقصص الكرامات وخوارق العادة والغيب والتي يصعب على المؤرخ المعاصر التأكـد مـن صحتها بحسب المنهج العلمي المتبع الآن. حتى إذا أتت هذه الروايات من خلال نصوص صحيحة الرواية والسند المتبع في منهج علم الحديث عند المسلمين.

منهجية قراءة التاريخ في ضوء فقه التحولات[١]:

المنهج الإسلامي يفسر التاريخ بموجب الكتاب والسنة النبوية. أي بموجب الإخبار الرباني والنبوي، حيث يعد التاريخ جزء من الديانة ومكمل ومفسر لها.[(٢)]

---

(١) النفائس العلوية في المسائل الصوفية، دار الحاوي، (د.م)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٧٨. عبد الله بن علوي الحداد: الإمام والفقيه والمربي الصوفي، ولد في تريم بحضرموت وتوفي فيها، له الكثير من المؤلفات في الدعوة والإرشاد. يعتبر مجدد طريقة السادة ال باعلوي في التصوف. (الزركلي: الأعلام، ١٠٤/٤).

(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ج١ص١٣٢.

١) ورقة علمية قدمت في المؤتمر العلمي الأول لجامعة الوسطية بحضرموت، ٢٠٢٢/٩/١٨م.

(٢) المشهور، أبوبكر العدني بن علي: إحياء لغة الإسلام العالمية، الناشر: أربطة التربية الإسلامية، عدن ١٤٢٦هـ، ص١٤٠، ١٤١.

والكتاب وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هما معيار الحكم والنظر في التشريع وفي الحكم على التاريخ كذلك.

ونستطيع القول إن الفكر الإسلامي التاريخي يتضمن المحاور الثلاثة، محور منهج البحث من خلال علم الحديث ومنهج السند والجرح والتعديل الذي ليس له نظير في العالم، وخدمته علوم أخرى مثل علم التراجم وعلم الطبقات وعلم الانساب وغيرها من العلوم، ومحور المنهج التفسيري من منظور الكتاب والسنة، سواء بالمأثور أو المعقول، والذي بموجبه فسر وقائع التاريخ المختلفة، وضم ما لم تضمه أي مدرسة وضعية معاصرة، ومحور النظرية الفلسفية الكلية، أو الرؤية الكلية المفسرة للتاريخ من خلال الإخبار والقصص القرآني والنبوي والذي قدم بموجبه الفهم الكلي لقضية الوجود والانسان في الماضي والحاضر والمستقبل. من خلال النصوص الاستباقية والنصوص الاستقرائية[1].

منهج التوثيق والوصف والتفسير:

يقوم الفكر القرآني للتاريخ على أساس النظرة الكلية الواحدة للكون. فالتاريخ يبدأ من حدث خلق الله للسماوات والأرض، ثم قصة خلق آدم وصراع الكفر والإيمان، بين آدم وإبليس ليستمر السياق القرآني للتاريخ على أساس أنه صراع بين الخير والشر وبين الحق والباطل، ليقص علينا قصص الأنبياء والرسل ثم

[1]) المشهور، أبوبكر بن علي: النبذة الصغرى لمعرفة الركن الرابع من أركان الدين وعلاماته الكبرى والوسطى والصغرى، مركز الابداع الثقافي، عدن ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ١٩.

يعالج فترة العهد النبوي الشريف ويستمر الإخبار التاريخي ليخبرنا عن إعادة الخلق يوم القيامة وانتهاء الصراع بين الخير والشر إما في الجنة أو في النار[١].

في هذا الإخبار القرآني للتاريخ يتبع منهج التوثيق التاريخي "وجاءك في هذه الحق ". (هود ١٢٠). والوصف التاريخي[٢] "وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل". (هود١٢٠).

---

[١]) الصافي: دراسات، ٢٦٩.

[٢]) يعد ليبولد فون رانكه Leopold Von Ranke (١٧٩٥- ١٨٨٦) أول من دعا إلى المنهج الوصفي الموضوعي للتاريخ في العصر الحديث. وهو منهج "وصف ما كان كما كان" والبدء بالبحث التاريخي دون أحكام مسبقة بموضوعية كافية وبالاستناد إلى مصادر معاصره للحقبة موضوع الدراسة، مصراً على انه ينبغي للمؤرخ ألا يضيف لمادته شيئاً بقصد زيادة سحرها الجمالي، أو سعياً لإحداث تأثير بلاغي. أي كان منهجه المنهج الوصفي والدعوة إلى الموضوعية التامة دون أي تأثير أو تدخل من المؤرخ نفسه. أو الانحياز إلى أي طرف، أو الدفاع عن أي برامج دينيه أو قوميه أو سياسية، ووصف من يقوم بذلك بأنهم ليسوا مؤرخين بل مجرد كتاب نشرات. وبهذا قامت فكرة الموضوعية التاريخية عند رانكه على مثل هذا الفصل بين الذات والموضوع أو الشخصي والواقعي. محاولاً عدم التعبير عن الاهتمام بصوره ذاتية أو شخصيه لكل الأحداث التاريخية التي وصفها. كما كان رأيه أن التاريخ لا ينبغي أن يكون مُصاغاً بطريقه توجيهية تربوية مباشرة. حيث يمكن أن يحقق هذه الأهداف التربوية من خلال الوقائع المجردة والأفكار، ودون تدخل المؤرخ نفسه. والجدير بالذكر أن الوصف كان من أهم مناهج المعرفة بشكل عام منذ التاريخ القديم، وخاصة عند اليونان. (كاسيرر، آرنست: في المعرفة التاريخية، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧، ص٢٣).

ويتبع منهج تفسير الحدث التاريخي "ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين".(القصص١١٤) أي لأنه من المحسنين أتاه الله الحكم والعلم[1].

"واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون". (العنكبوت ٣٩). أي أنه استكبر في الأرض لأنه ظن أنه لن يعود إلى الله، ولا يوجد حساب لأعماله.

ويبين هذا المنهج القرآني أن الله هو الفاعل الأول والأخير في حركة التاريخ. "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً" (الإسراء ١٦). وهو منشئ حركة التاريخ وتوالي ظهور الأمم يقول الله عز وجل " ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (المؤمنون٣١)".. ويقول ايضا:" ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (المؤمنون ٤٢)".

فالله عز وجل هو الرافع والخافض وهو المعز والمذل " ألم تر كيف فعل ربك بعاد" (الفجر ٦). وعلى ذلك ما حركة التاريخ إلا تجليات الأسماء والصفات الربانية وظهور فاعليتها[1].

---

[1]) منهج الوصف ثم التفسير أو جمع الوثاق ثم البحث بعد ذلك عن العلل كان المنهج الذي دعا إليه المؤرخ الفرنسي تاين Hippolyte Adolphe Taine (١٨٢٨ -١٨٩٣م)، الذي حاول التخلص من هيمنة الفكر المثالي الهيجلي. على أساس أن تلك الوقائع أو الظواهر تتحدث عن نفسها وتفسر نفسها بنفسها والتخلص من أي معايير أو أحكام مسبقة أو قبلية أو الشعور بأي تعاطف شخصي أو نفور، أي أن على المؤرخ الحياد الكامل أو عدم الانحياز. ويشير الى ان الدافع الكامن وراء كل أبحاثه هو العثور على تعبير غير معقد يفسر الأحداث العظيمة التعقيد. (الصافي: دراسات،١٤٥، ١٤٦)

[1]) الصافي: دراسات، ٢٧٠.

كما أن نظرية العناية الإلهية[1] تأخذ شكل أوسع في المنظور القرآني، فهي تدبير كلي يشمل المؤمن والكافر وكل الخلق:" يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ". (السجدة ٥).

المنهج الاستقرائي:

كما يمتاز المنهج القرآني بالقدرة على الخروج من الجزئيات إلى الكليات أو القوانين أو السنن، اي المنهج الاستقرائي[1] ، كما جاء في الكتاب العزيز "سنة

---

[1]) يوجد فكر العناية الإلهية في كل من اليهودية والمسيحية، لكن بحسب تصوراتهم الخاطئة، ففي اليهودية العناية الربانية خاصة ببني إسرائيل وفي الفكر المسيحي كان القديس سان أوغسطين (ت٤٣٠م) أول من قال بهذه النظرية، فإذا كان عالم الطبيعة مظهر لقدرة الله فإن عالم الإنسان مظهر لعنايته حسب قوله، وانتصار المسيحية هو أبرز مظاهر العناية الإلهية. إذ أن حركة التاريخ هي حركة الصراع بين مدينة الله ومدينة الشيطان، حيث النصر وإن طالت مدة الصراع لمدينة الله. وكان هذا الفكر الذي ساد فترة العصور الوسطى يبرر لهم عدوانهم مثل الحروب الصليبية، فبحسب هذه النظرية الحروب هي إرادة ربانية، وانتصار الصليبيين وإقامة مملكة بيت المقدس مظهراً من مظاهر العناية الإلهية، لكن هذه النظرية بطبيعة الحال تسقط أمام توالي الأحداث التاريخية حيث سقوط الممالك الصليبية وانتهاء هذا الحلم. (صبحي، أحمد محمد: في فلسفة التاريخ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ١٧٢،١٧٣؛ ينظر أيضا: موس، هـ. سانت ل.ب: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٧م، ص٣٦).

[1]) المنهج الاستقرائي: يبدأ بدراسة الجزئيات ليصل منها إلى قوانين عامة أو صيغ عامة، ويعتمد على التحقق بالملاحظة المنظمة وفي العلوم التطبيقية تكون الملاحظة خاضعة للتجريب والتحكم في المتغيرات المختلفة، وذلك عكس المنهج الاستنباطي، حيف البدء بفرضية عامة ثم محاولة اثباتها (ينظر: محمد زيان عمر: البحث العلمي، مناهجه وتقنياته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة٢٠٠٢، ص٤٨،٤٩). ويرتبط المنهج الاستقرائي بمنهج الملاحظة والمشاهدة والتجربة، أو ما يسمى بالمنهج التجريبي. وأصحاب المنهج التجريبي يرفضون القول بالأفكار الفطرية (الحدسية) وينكرون قدرة العقل على اكتشاف حقائق الواقع بشكل مستقل عن الخبرة الحسية أو حتى اعتباره أداه للمعرفة. وباسم هذا المنهج حاول البعض في

الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً " (الأحزاب: ٦٢). وهو المنهج الذي تمكن من خلاله ابن خلدون على سبيل المثال من الكشف عن بعض سنن حركة التاريخ. مثل سنة أن التنازع يؤدي إلى الفشل والهزيمة "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" (الانفال ٤٦). وسنة التداول، وبهذا المنهج استقرأ فقه التحولات منهج السلامة وسنن المواقف في تفاصيل كثيرة[١].

الغرب نقض الكنيسة والدين وكل علوم الغيب. حيث أصبحت المادة هي الحقيقة الأساسية خاصة منذ القرن السابع عشر الميلادي. ويدعي أنصار هذا المنهج أنه يمتاز عن سائر أنواع المعرفة الأخرى بمميزات عدة منها أنه يولد اليقين التام ومقدرته على كشف أسرار الطبيعة. وعلى ذلك خطى الفلاسفة الملحدون، فقالوا إن الإدراك الحسي مباشر وجوهري، لأن الموجود المدرك بالحس هو وحده الذي لا نزاع فيه. فاتخذت الحسية نزعة إلحادية واضحة. على أن هناك فلاسفة غربيين كبار عارضوا هذه النظرة، أمثال رينيه ديكارت René Descartes (ت١٦٥٠) الذي حذر من المعرفة المحددة فقط بواسطة الحواس. وإمانويل كانط (ت١٨٠٤) Immanuel Kant (ت١٨٠٤م) إذ رفض ما ذهبت إليه المدرسة الانجليزية التي زعمت أن المعرفة مستمدة من الحواس. والجدير بالذكر ان هذه النظرة للمعرفة حصلت على انتقاد العديد من مفكري الإسلام مثل الإمام الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، الذي رأى أن الاقتصار على المعرفة الحسية يوقع الإنسان في الخطأ لأن معارفه ذاتها غير محسوسة، ثم أن فيه عقل وروح وغير ذلك. والبيروني (ت ٤٤٠هـ) حيث أعتبر ان المعرفة الحسية تغلب على عوام الناس دون عقلائهم وعلمائهم. فعامة الناس تميل إلى المحسوس من الأشياء وتعجز عن الإدراك الذي يفوق ذلك. كذلك الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) الذي يذكر أن من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسى الله إذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس. وهو أشهر من انتقد الاعتماد على الحواس والعقل في الوصول الى المعرفة الحقيقية. (الصافي: دراسات، ٨٧، ٨٨)

[١]) ينظر على سبيل المثال: المشهور، ابوبكر بن علي: منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي، مركز الابداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، عدن ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

العامل الغيبي:

أضف إلى ذلك أن هذا المنهج عند تحليله ودراسته للحدث التاريخي، يأخذ بكافة العوامل الصانعة لهذا الحدث ومنها العامل الغيبي أو تدخل قوى الغيب للمساهمة في صنع الحدث التاريخي، ومثال على ذلك روايته لما حدث في معركة بدر من أن الشيطان كان المحرض الأول لهذه المعركة بهدف استئصال المؤمنين ثم نزول الملائكة مسلحين مقاتلين مع المسلمين. هذه الرؤية التي تأخذ بالجانب الغيبي مفقودة تماماً لدى كافة المناهج الحديثة لدراسة التاريخ. "وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (الأنفال ٤٨).

العامل الفيزيائي والطبيعي:

كما يعلمنا الإخبار القرآني والنبوي للتاريخ بأهمية العامل الفيزيائي والطبيعي[1]. فالبيئة الفيزيائية والطبيعية المحيطة بالإنسان تتأثر وتتفاعل مع فعل الإنسان، إن كان

---

[1]) كان المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي Arnold Joseph Toynbee (ت١٩٧٣م) من أهم فلاسفة التاريخ الذين تنبهوا الى أهمية البيئة الطبيعية في قيام أو سقوط الحضارات في نظريته التي اسماها نظرية التحدي والاستجابة، وملخصها باختصار شديد أن البيئة الطبيعية أو الظروف البشرية التي تتحدى الإنسان، تحدياً مناسباً، هي التي تسبب في قيام الحضارات، وليس البيئة السهلة لأن هذا التحدي يستثير قوى الإبداع في الإنسان أما سقوط الحضارات فينتج عن فقدان هذا التحدي، إضافة إلى عوامل أخرى. ولهذا فإن تفسير قيام وسقوط الحضارات عند توينبي يأخذ في جزء كبير منه إلى البعد الطبيعي الفيزيائي، فالكوارث أو الصعوبات الطبيعية هي المحفز الفيزيائي للفعل البشري، أي المحفز الفيزيائي لصنع الحضارة. (صبحي: في فلسفة التاريخ ،٢٣٩ وما بعدها).

خيراً بخير أو شراً بشر. فالكفر والإفساد يؤدي إلى غضب الطبيعة بأمر ربها. والإيمان والإصلاح يؤدي إلى عطاء الطبيعة وخدمتها للمؤمن كما في حديث السحابة التي تسقي زرع المؤمن المتصدق [(1)]. وقوله عز وجل: " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض". (الأعراف ٩٦). وظهر العامل الطبيعي الفيزيائي في السياق التاريخي القرآني في قصة نوح عليه السلام من خلال الطوفان، وفي تسخير الريح لسليمان عليه السلام، أي في اخضاع الطبيعة لنبي الله سليمان. ثم في غزوة الأحزاب وتأثير المناخ والريح على الأحزاب وهزيمتهم. وهذه المنهجية القرآنية في قراءة وفهم التاريخ والواقع تفتقد إليها كل المدارس التاريخية الحديثة. بل ان الفكر الأوروبي الحديث يقوم على فكرة أن لا علاقة بين الفعل الإنساني واحداث الطبيعة والكون. وهو الفكر الذي بدأه فولتير بموقفه أن الله خلق العالم وفقا لقوانين ثابتة لا علاقة لها بأفعال الانسان من خير او شر[٢].

(١) ينظر على سبيل المثال: مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ): صحيح مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة عيسى البابي، القاهرة١٩٥٥م، ج٤ص٢٨٨، رقم٢٩٨٤؛ ابن حبان، أبو حاتم محمد (ت ٣٥٤هـ): المسند الصحيح على التقاسيم والانواع، المعروف بصحيح ابن حبان، تحقيق/ محمد علي سونمز وخالص أمير دمير، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، رقم ٣١٧٨.

[٢]) صبحي: فلسفة التاريخ، ١٨٩.

المنهج الجدلي:

والقرآن الكريم ألقى الضوء على المنهج الجدلي الظاهر في حركة التاريخ[1]. فيقول المولى عز وجل:" وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ." (البقرة ٢٥١). ويقول:" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (الفرقان ٣١). ولأجل ذلك من سمات ورثة الأنبياء والدعاة الربانيون أن يبتلوا بالإيذاء والعداوات والقدح فيهم. ويوضح القرآن الكريم ان حركة التاريخ هي حركة تدافع بين الخير والشر والايمان والكفر والنور والظلام، ولهذا كان لابد لكل نبي أو داعية رباني من عدو يؤذيه كسنة من سنن الله في التاريخ والخلق.

كذلك يخبرنا الله عز وجل عن طبيعة حركة التاريخ بين الخالق والحضارات الإنسانية ، يقول المولى:" وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ

---

[1]) الجدل Dialectic في معناه اليوناني يعني تصادم الآراء المتقابلة بقصد معرفة الحقيقة أو طريقة الإقناع، الذي استعمله الفيلسوف اليوناني هيرقليطس Heraclites (حوالي ٥٠٠ ق م) بمعنى الصراع والتغير المستمر في الطبيعة. واشتغل به بعض الفلاسفة الغربيين، على أن هيجل Hegel(١٧٧٠-١٨٣١) طور هذا المعنى فعد الجدل الذي هو عبارة عن القضية والنقيض لها ثم مركبهما أنه قانون الوجود والطبيعة والفكر والمجتمع، وأن الجميع في حالة صيرورة وتغير وتحول دائم بحسب هذا التركيب لمنطق الجدل. اخذ هذا المنهج كارل ماركس (ت١٨١٨م) ليضع نظريته المادية في تفسير التاريخ. لكنه ألبس المنهج لباساً مادياً لتفسير الظواهر الإنسانية والطبيعية على حد سواء. اعتقد ماركس أن المنهج الجدلي يستطيع ان يفسر مجرى التطور والتغير المستمر في المجتمع وفي الطبيعة، كحركة دائمة، وذلك عكس المناهج الأخرى ذات النظرة الاستاتيكية الجامدة (الصافي: دراسات، ١٣٥-١٣٨).

مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)".الأعراف١٠١.

فالبأساء والضراء حركة تاريخية وأسلوب رباني لإعادة الأمم لربها والإنابة إليه، والعودة إلى الله سبب للرخاء والسعادة على الأرض.

البطل في التاريخ كمنهج تفسيري:

تتبنى أحد مدارس تفسير التاريخ القول ان البطل أو الأفراد المؤثرين هو الصانع الحقيقي للتاريخ. وهذه رؤية لم تغب عن المنهج القرآني والنبوي حيث أظهر بجلاء دور ما يسمى الإنسان البطل في حركة التاريخ[1] فأثبت ما بذله أنبياء الله وأولياءه من دور، مثل قصة طالوت، وهي قصة تاريخية تحمل التوصيات الثلاثة الضرورية للنهضة بأي امة تريد لنفسها النهضة والنصر. "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة ٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (البقرة ٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ

---

[1]) تقوم هذه النظرية لتوماس كارليل على تفسير التاريخ أن البطل هو صانع الأحداث وهو محرك التاريخ، سواء هو صانع عصره وليس العصر يصنعه، أو هو نتاج ظروف وفعاليات وبيئة عصره. ولا يكون البطل هنا فقط في السياسة ولكن في كل المجالات. (صبحي: فلسفة التاريخ،٧١ وما بعدها).

مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (البقرة ٢٤٩). فأعطاهم أولا: القائد، الذي يتمتع بصفتين مهمتين وهي العلم والقدرة الجسدية العالية. وثانيا: رد لهم التابوت الذي فيه بقية مما ترك آل موسى والذي كانوا يتوسلون به إلى الله. وتوضح هذه الآية الكريمة ان من وسائل النصر المهمة التوسل الى الله بمن يحب وبآثارهم وببقية مما تركوا. وهي تحمل في معانيها الانكسار الى الله وعدم الغرور بالنفس، بل التذلل والخضوع والتوسل إليه بما يحب. والأخذ بأسباب تدخل قوى الغيب وعدم الاكتفاء بالأسباب المادية. وثالثا: اختبار الشرب من النهر للانتصار على النفس قبل الانتصار على العدو الخارجي. وهذا يذكرنا بأهمية تزكية النفس قبل الجهاد على الأعداء. فالأمة التي لا تستطيع ان تنتصر على أهوائها وشهواتها لا تستطيع النصر على الأعداء.

وقد تنبه فقه التحولات لهذه المنهجية في قراءة التاريخ فأثبت ما لآل البيت من دور شرعي وتاريخي في حمل رسالة الإسلام وقيمه من خلال ما اسماه أهل النمط الأوسط من سادة الصلح وبقية السيف. كجزء من القرار والاستقرار سواء كانوا في قمة الحكم او في رعاية العلم[1]. كذلك اثبت ما لأولياء الله والعلماء العاملين من دور في المجتمعات الإسلامية.

[1]) المشهور، ابوبكر بن علي: إحياء منهجية النمط الأوسط من سادة الصلح وبقية السيف، (د ن، د م)، ١٤٣٠/٢٠٠٩، ص٢٠٦ وما بعدها.

التفسير النفسي للتاريخ: أما في التفسير النفسي للتاريخ[1]. والرؤية التي تأخذ بتأثير الجانب النفسي على السلوك الانساني فإن القرآن الكريم والحديث النبوي سبقا كل مدارس التفسير النفسي المعاصرة، إذ قدما رؤية كلية شاملة في التفسير النفسي لتاريخ الإنسانية منذ الأب الأول آدم عليه السلام، إلى الإخبار المستقبلي بالتاريخ والأحداث.

ويوضح الإخبار القرآني والنبوي في أن دافع السلوك نفسي، والنفس تتأثر بعاملين أولهما ذاتي أو داخلي وآخر خارجي، أما الذاتي فمتأثر بطبيعة خلق الإنسان الطينية والروحية، إذ أن الإنسان مخلوق من قالب طيني ونفخة روحية ربانية، " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" (الحجر٢٩). ولهذا تتجاذبه نزعتان، نزعة طينية وهي التي تمثل الصفات السلبية من الشهوات بمختلف أنواعها من الجنس والطعام والأخلاق الحيوانية من الحقد والطباع

[1]) ظهر في العصر الحديث وأثناء تطور علم النفس ما يسمى بالتاريخ النفسي Psychohistory وهو عبارة عن دراسة الدوافع النفسية للأحداث التاريخية. من خلال الجمع بين وجهات نظر أو رؤى العلاج النفسي مع منهجية البحث في العلوم الاجتماعية لفهم دوافع السلوك السياسي والاجتماعي للأفراد والجماعات والأمم في التاريخ. ويعرف أيضا أنه التطبيق المنهجي لنتائج وأساليب علم النفس للمساعدة في تفسير وفهم سلوك الفرد والجماعة في الماضي والحاضر. ومجالات التفسير النفسي للتاريخ تتمحور حول تاريخ الأسرة والطفولة ودراسة الأفراد البارزين تاريخيا أو العظماء، ودراسة الأمم والجماعات، أي علم النفس الجماعات. ويعد المؤرخ العربي عبد الرحمن بن خلدون (ت١٤٠٦م) أول من قدم تفسيرات نفسية للأحداث التاريخية، مما عد معه-إضافة إلى تفسيراته الأخرى- أحد أعظم فلاسفة التاريخ في العالم. (الصافي: دراسات، ١٩٩).

السبعية والكسل الخ... ونزعة روحية تسمو به نحو المثل العليا والقيم والأخلاق والدين والذكر لله والسمو إلى الله. ثم إضافة إلى هاتين النزعتين تأثير داخلي آخر وهو التأثير الوراثي، أو الجبلة الوراثية، حيث تكون أحد أهم العوامل المؤثرة في السلوك. وفي ذلك يشير القرآن الكريم بقوله:" فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا". (مريم ٢٨). ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم[(١)]:" وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس".

وأما العوامل الخارجية فتتمثل في عدة تأثيرات: الأول تأثير الشيطان ووسوسته لتحريك الجوانب الجسدية أو الطينية والأخلاق الحيوانية في الإنسان "قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا". (٦٤). والتأثير الثاني تأثير الملك بإلهام الخير ، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢)]: " إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ

---

(١) رواه القضاعي، أبو عبدالله محمد(٤٥٤هـ): مسند الشهاب، تحقيق/ حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م، ج١ص٣٧٠، رقم ٤١١.

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٩١٤ والنسائي في السنن الكبرى رقم١١٠٥١ والطبراني في المعجم الكبير رقم٨٤٥٤ وابن حبان في صحيحه رقم ١٠٠٢.

ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ{ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ }".

وإضافة إلى تأثير هذين العاملين الخارجيين هناك عامل خارجي آخر هو تأثير البيئة الخارجية والصحبة. ولأهمية ذلك يقول المولى عز وجل:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" (التوبة ١١٩). وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١]:"كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ". وقال –صلى الله عليه وسلم–[٢]:" إنما مثل جليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة".

ونستطيع أن نقول أن ضابط الإيقاع بين العوامل الذاتية الداخلية والعوامل الخارجية هو العقل، الذي أخبر به القرآن:" وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ."(يس٦٨).

تأتي أهمية العامل الذاتي أنه يعد من نوازع النفس الأمارة بالسوء وبالتالي من المهم معرفة كيفية علاجها ومجاهداتها، والترقي بها إلى مقامات روحية عالية.

والأمثلة التي يقدمها القرآن الكريم على أثر العامل النفسي على السلوك الإنساني كثيرة. بدءا من تحريك الشيطان لنوازع الشر عند آدم وحواء عليهما السلام:" فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ

(١) رواه البخاري، رقم ١٣٨٥.

(٢) رواه أبو يعلي في مسنده، رقم٧٣٠٧.

لَا يَبْلَى". (طه١٢٠). فخاطب فيهما حب الخلود والملك، وهما من نوازع وغرائز النفس.

ثم في قتل قابيل لأخيه هابيل، وكيف كانت النفس هي الدافع الأساسي لهذا الفعل الإجرامي" فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ". (المائدة٣٠).

وتتعدد نماذج التفسير النفسي للتاريخ في القراءة القرآنية مثل معركة حنين: "لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ" (التوبة٢٥). فالعجب بالنفس والغرور كان سببا في هزيمة المسلمين أول المعركة.

كذلك إذا كانت حركة التاريخ عند البعض ما هي إلا نتيجة دوافع السلوك الإنساني، فإن المفهوم الإسلامي للدافع هو الباعث و الخاطر:" فمبدأ الأفعال الخواطر–سواء خاطر خير أو خاطر شر– ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاما والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواسا".(١) وعلى ذلك فإن ما يسمى بالخاطر هو أول التفكير بالشيء سلبا أو إيجابا ثم يتحول هذا التفكير إلى الفعل والسلوك. وهذا هو التفسير الديني لباعث الفعل

(١) الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، بيروت، (د ن، د ت)، ج٣ص٢٧.

بشكل عام. يقول السيد المسيح عليه السلام[1]: "إن الأشياء التي تخرج من القلب، كالكلمات والأفعال، تأتي من نفس الإنسان، وهي التي يمكن أن تكون طاهرة أو قذرة، مقدسة أو نجسة، فمن النفس تولد الأفكار الشريرة والقتل والزنا والسرقة وشهادة الزور والافتراء والحسد والكبرياء وحياة الفجور والبخل. وهذه الشرور هي التي تنجس الإنسان". إذن النفس أولا ثم الفكر ثم الفعل.

ويوضح الكتاب الكريم العديد من البواعث للسلوك، أولا باعث للسلوك لطريق الآخرة، وباعث للسلوك لتحقيق أهداف دنيوية فقط. وقد حددها المولى عز وجل فقال:" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (آل عمران ١٥).

فدوافع السلوك شهوة الجنس أو غريزة الجنس ثم حب الأولاد أو غريزة البقاء والتناسل ثم حب المال أو غريزة التملك. فهذه بواعث للسلوك عند الكثير نتج عنها التاريخ الأنوي. أما باعث الآخرة فهو نتيجة سلامة القلب وصحة الفكر والتصور وصحة العزم وعدم الارتكان والخور. فيتوجه السلوك إلى عبادة الله والعلاقة مع الإنسان والكون وبالتالي صناعة التاريخ الأبوي.

ولهذا نظرية التوازن تحكم الرؤية الإسلامية بين الكبت والإطلاق، فلا ترى أن الكبت يؤدى إلى المرض النفسي كما يقول فرويد، بل إن النفس إذا أطمعت طمعت

---

(١) هيجل، فردريك: حياة يسوع، ترجمة جرجي يعقوب، (د ن)، بيروت١٩٨٤م، ص٧٦.

وإذا أُقنعت قنعت[(1)] كما يقول أهل التزكية. يقول المولى عز وجل:" وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى" (النازعات ٤١).

وبناء على نظرة الإسلام هذه إلى النفس وأهمية تأثيرها على الإنسان والمجتمع كان عمل المصلحين والمجددين في التاريخ الإسلامي هو إصلاح النفس أولا حتى يمكن إصلاح المجتمع، لقوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ..."(الرعد ١١).[(2)] وبإصلاح النفس يصلح الفرد وبصلاح الفرد يصلح المجتمع وبصلاح المجتمع تصلح الدولة. وهذا هو أساس عمل الأنبياء والرسل والمصلحين المجددين والعلماء الربانيين.

العامل الاقتصادي والسكاني والعسكري:

كذلك يأخذ القرآن بأهمية العامل الاقتصادي[3] والعامل السكاني البشري[4] وبالعامل العسكري (قوة الجيوش) في صنع التاريخ وقيام الدول. يقول المولى عز

---

(١) السهروردي، أبو حفص عمر بن محمد (ت٦٣٢هـ): عوارف المعارف، مكتبة القاهرة، القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٥٣

(٢) ينظر على سبيل المثال: الندوي، أبو الحسن: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم، دمشق٢٠٠٢ م، ج١ص١٤١ وما بعدها.

[3]) يعد كارل ماركس (ت١٨١٨م) صاحب التفسير الاقتصادي للتاريخ، وتضمنت نظرته القول إن المجتمع يخضع لقوانين تشبه قوانين الطبيعة لا قبل للإنسان بتغييرها فهي كالقدر المحتوم والحرية هي "معرفة الضرورة" (صبحي: فلسفة التاريخ، ٢٣٩،٢٣١).

[4]) يعد العامل السكاني عامل مهم في صنع التاريخ، ويظهر ذلك جلياً في الهجرات السامية وفي غزوات قبائل الهون وفي غزوات القبائل الجرمانية والمغول والأتراك. وفي كل هذه التحركات الإنسانية الضخمة كانت تسقط ممالك وإمبراطوريات وتقوم ممالك وإمبراطوريات جديدة، وكان السبب الرئيسي فيها هو الانفجار السكاني مما يتسبب معه نقص الموارد الطبيعية وضيق العيش فتبدأ حالات الهجرة الضخمة. (الصافي: دراسات، ٧١).

وجل:" ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا". (الاسراء٦). وهذه العوامل الثلاثة قوة المال والاقتصاد والقوة البشرية والقوة العسكرية، هي في الحقيقة عوامل قيام الدول والحضارات. ولا يمكن لأي حضارة أو دولة أن تقوم بدون هذه العوامل الثلاثة. ولكن ليس كعوامل وحيدة في صنع التاريخ كما تفترض بعض مدارس تفسير التاريخ.

على أن رؤية فقه التحولات توضح أن التاريخ الإنساني تاريخان: تاريخ أبوي وتاريخ انوي، فالتاريخ الأبوي هو تاريخ أبونا ادم وأبونا إبراهيم عليهم السلام أي تاريخ الأنبياء والرسل والصالحين المجددين وقصة الصراع بين الإيمان والكفر والخير والشر. وتاريخ انوي ينطلق من قول الإنسان كما قال الشيطان أنا خير منه[1]. وهو تاريخ الصراع على الدنيا والسلطة والمال والنفوذ، وكل تاريخ الحروب والصراع العبثي مثل حروب نابليون أو الحرب العالمية، فهو تاريخ ولكن تاريخ انوي ونحن ندرسه لأخذ الفائدة والعبرة منه لا غير.

ولهذا فإن حيوية التاريخ الايماني من خلال ثنائي الكتاب والمصطفين، اي الكتاب والانسان الذي يحمله "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ "(فاطر٣٢). وهم الذين اسماهم توينبي النخبة التي تقود الحضارة. وتمثل ذلك في قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "أَمَّا بَعْدُ ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ، فَحَثَّ عَلَى

[1]) ينظر: المشهور، أبوبكر بن علي: إحياء لغة الإسلام العالمية، ٥١ وما بعدها.

كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ :وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي".

إن قراءة التاريخ والواقع والمستقبل في ضوء فقه التحولات تقدم رؤية كلية شاملة لا تغفل عامل او جانب من الجوانب الصانعة للتاريخ والحضارة والانسان. ويسقط امام هذه الرؤية التحيز الى جانب او عامل محدد كصانع أساس في حركة التاريخ. بل يدعو الى توسعة المشهد في قراءة الواقع والتاريخ، وربط كل ذلك بالقدرة الكلية للخالق وارادته وتعاليمه ورسالاته وفهم سننه التي وضعها في الكون للاستفادة منها. ان الفلسفة الغربية المعاصرة فشلت في الإجابة على أهم سؤال فلسفي وهو لماذا الحياة؟ وما معنى الحياة؟ والاجابة على هذا السؤال تتجلى بوضوح في الرؤية التي تقدمها المنهجية القرآنية والنبوية في قراءة الكون والتاريخ والكتاب والسنة، أي منهجية فقه التحولات في قراءة التاريخ والواقع، فلا معنى للحياة والوجود والاحداث بدون الايمان بالله الخالق العظيم المريد. وإذا كانت المنهجية الأوروبية المعاصرة تعتمد فقط على العقل – وهو محدود القدرات– في قراءة التاريخ فإن المنهجية القرآنية النبوية تجمع بين العقل والنص في قراءة وفهم التاريخ والواقع ولا يوجد مثيل للحضارة الإسلامية في هذا المجال. يقول الامام الغزالي في الجمع بين العقل والنص: " *فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور*"[١]. فهذه حضارة تجمع بين العقل والرسالة السماوية، لم تلغ العقل ولم تتخل عن رسالة السماء. وهذه هي عظمة الحضارة الإسلامية.

---

(١) إحياء علوم الدين،(د.ن)بيروت ٢٠٠٣م، ج٣ص١٧.

إن هـذا المـنهج الكـوني الشـامل لدراسـة التـاريخ تفتقـد إليـه كـل المنـاهج المعاصـرة فأحـداث الطبيعـة لـديهم مجـرد مصـادفات خـبط عشـواء لا علاقـة لهـا بسلوك وفعل الإنسان. كما أنهم لا يدرسون أو يؤمنون بأي تدخل لقوى الغيب في الأحداث التاريخية.

وبهذا فإن المنهج القرآني للتاريخ يحقق أهدافه السماوية في العظة والعبرة وفي التربية القلبية والوجدانية والعقلية وفي الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل وفي التنبيه لكافة العوامل الصانعة للحدث التاريخية ليستطيع المؤمن أن يقف على بينه من أمره، وفي رفع مستوى الوعي الكوني والتاريخي والوظيفي للإنسان. (١)

ونستطيع القول ان قراءة التاريخ بموجب منهجية فقه التحولات هو صوت انذار قوي للتنبه للتحولات القادمة في تاريخ البشرية والدعوة الى الاستفادة من العدي القرآني والنبوي في استقراء ما هو قادم.

تاريخ الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي في العصور الوسطى ،قراءة مقارنة:

هنـاك نقـاط اتفـاق واختلاف بين كـل من تـاريخ الفكـر الإسـلامي وتـاريخ الفكـر الأوروبي في العصـور الوسـطى. يبـدأ الاخـتلاف منـذ نشـأة كـل منهمـا. فالتاريخ الأوروبي الوسيط وهـو التـاريخ المعاصر للفكـر الإسـلامي بـدأ مـع ظهـور الديانة المسيحية وتعاليم السيد المسيح، مثله مثل الفكر الإسلامي الذي بدأ مع ظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته السماوية. على أن التحول الكبير

(١) ينظر زيدان، عبد الكريم: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٣م، ص٧.

في تاريخ الفكر المسيحي كان مع القديس بولس(١) (ت حوالي ٦٤م) الذي مزج تعاليم المسيح مع غنوصية(٢) قديمة. فنشأت بذلك رهبانية مسيحية منحرفة(٣)، ثم مع هجوم الوثنية على المسيحية واتهامها بالتسبب في سقوط روما نشأ اللجوء إلى الفلسفة في الدفاع عن الدين على يد سان أوجستين (ت٤٣٠م)(٤) وهو ما يقابله نشوء علم الكلام عند المسلمين للدفاع عن الإسلام أمام الفكر المسيحي والهندوسي. على أن العداء بين الفلسفة اليونانية والمسيحية لم يتوقف عند هذه المسالة، بل كان يتعدى إلى رفض الفلسفة لأسس الديانة المسيحية وأطروحاتها. ووصل الأمر عند المسيحية إلى نبذ الثقافة اليونانية ووصمها بالوثنية والاحتقار (٥). ثم إقفال جامعة الفلسفة في أثينا عام

---

(١) القديس بولس واسمه الحقيقي شاول، ولد بطرسوس، اعتنق المسيحية وأثر فيها كاتبا تقريبا نصف الكتاب المقدس المتداول بين المسيحيين، تعرض للحبس وتروي بعض المصادر نهايته بالإعدام. (قتيبة، شهاب: أديرة وكنائس دمشق وريفها، (د.ن)، دمشق ٢٠٠٥م، ص ٣٦،٣٧).

(٢) غنوصية: لغويا تعني المعرفة، هي نزعة فكرية تمزج بين الفلسفة بالدين، قائمة على المعرفة الحدسية للوصول الى المعرفة بالله. ظهرت في القرنيين الاول والثاني للميلاد. (عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة٢٠٠٠م، ص٥٨١).

(٣) مجموعة من الكتاب: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض١٩٩٩م، ص٥٠٠.

(٤) صبحي، في فلسفة التاريخ، ١٧٣.القديس أوجستين: ولد في مقاطعة نوميديا في الجزائر عام٣٥٤م، ثم انتقل إلى روما ثم ميلانو كان مانويا فلما استمع إلى القديس امبروزيوس اعتنق المسيحية ساعد على ذلك والدته المسيحية مونيكا. له العديد من المؤلفات من أهمها: الاعترافات ومدينة الله وهو في فلسفة التاريخ.(بدوي، عبد الرحمن: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت١٩٩٧م،ص١٥ -١٨).

(٥) طرابيشي: مصائر الفلسفة، ٢٥ وما بعدها.

٥٢٩م ونفي عدد كبير من أساتذة الجامعة ومصادرة ممتلكاتهم[١]. بينما كانت ترجمة علوم اليونان وفلسفتها حظيت بازدهار كبيرا عند المسلمين في القرون الأولى للهجرة، ويوزن الكتاب المترجم بميزان الذهب مكافأة على ترجمته. وبنا الخليفة المأمون بيت الحكمة خصيصا لهذا العمل العلمي الكبير[٢].

ثم مع عصر التنوير نشأت العقلانية الأوروبية التي تدعو إلى تحكيم العقل في كل شيء، وهو بخلاف العقلانية الإسلامية التي نشأت على يد المعتزلة لإثبات الإيمان والتوحيد، فإذا كانت العقلانية الأوروبية هاجمت الدين لأن الدين المسيحي - الكاثوليكي- هاجم العقل ورفض مخرجاته، فإن العقلانية الإسلامية دافعت عن الدين لأن الإسلام احترم العقل ولم يلغه كما فعلت المسيحية الكاثوليكية؛ وهذا هو الفرق بين أبو علي الجبائي[٣] (ت٣٠٣هـ) وفولتير Voltaire (ت١٧٧٨م)[٤] على سبيل المثال. أما أبرز نقاط الاتفاق فيما بين

---

(١) العريني، السيد الباز: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٨٢، ص ٩؛ طرابيشي: مصائر الفلسفة، ٦٣.

(٢) كوربان، هنري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، دار عويدات للطباعة والنشر، بيروت٢٠٠٤م، ص٦٧ وما بعدها. رغم إنصاف كوربان في كثير من المواضع للحضارة الإسلامية، إلا أن مشكلة المستشرقين الغربيين أنهم لا يستطيعون فهم الحضارة والفكر الإسلامي الا من خلال الثقافة اليونانية القديمة أو من خلال فكرهم المعاصر. مثل أن يسمي أبو سعيد الجنابي بالاشتراكي.

(٣) أبو علي الجبائي : محمد بن عبد الوهاب، البصري، المعتزلي كان زعيما في علم الكلام وإليه نسبة الطائفة " الجبائية " .له العديد من المؤلفات منها: " تفسير القرآن " .(ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٢٥، الزركلي : الأعلام ٧/٣٦).

(٤) فولتير: كاتب فرنسي اشتهر بعدائه للكنيسة والدين(Morley, J., Voltaire, London ١٩٢٣).

العقلانية الإسلامية والعقلانية الأوروبية هو أن الإنسان صانع قدره وحر في اختياراته. ولعل هذا الاختلاف بين العقلانية الإسلامية والعقلانية الأوروبية بسبب الظروف التاريخية في نشأة كل منهما. إذ نشأت العقلانية الإسلامية في القرون الأولى للإسلام في ظروف انفتاح العرب والمسلمين على حضارات وفكر العالم آنذاك، فكان لزاما على مفكري وعقلاء الإسلام الدفاع عن الدين ودحض الفكر المنافس له بأساليب الجدل العقلي، على اعتبار انه لا يواجه الفكر إلا الفكر. أما العقلانية الأوروبية فنشأت بعد ما يقرب من سبعة عشر قرناً على ظهور المسيحية لمواجهة انحرافات رجال الدين اللاعقلانية والتي كانت تحارب العلم والتطور المنشود عند الأوروبيين آنذاك. ولكن علينا ألا ننسى المحاولات المسيحية في التوفيق بين العقل والدين مثل التي عمل عليها بيتر ابيلار[1] (ت ١١٤٢م) Peter Abelard وتوما الاكويني[2](ت ١٢٧٤م) Tomas Aquinas والذي ثبت إعجابه وتأثره بالغزالي وابن رشد وابن

(١) ابيلارد، بيتر فيلسوف فرنسي مشهور له الفضل في إنشاء جامعة باريس، ويعتبر أشهر عقلانيي أوروبا في العصور الوسطى . وُلد ابيلارد قرب نانت بفرنسا. قام بتدريس اللاهوت بباريس في الفترة ١١١٣ - ١١١٨ م. وأسس مع اثنين من زملائه مدرسة تطورت تدريجيًا حتى أصبحت، فيما بعد، جامعة باريس. وكان له إسهامًا في مجال المنطق واللاهوت. ودعا إلى استخدام المنطق لفهم النصرانية والدفاع عنها. له العديد من المؤلفات منها كتاب نعم ولا.(Abelard, Peter., Historica Calamitatum, The Story of my misfortunes, Translated by Henry Adams Bellwos, New York, ١٩٢٢,pp١٢ff).

(٢) توما الاكويني راهب دونميناكيني وفيلسوف مسيحي كاثوليكي، له تأثير كبير على الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى وحتى الوقت الحاضر سواء مخالفة له أو موافقة. (كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص٢٢٣).

سيناء في نظرته التوفيقية بين الدين والفلسفة، إلا انه فضل فلسفة الغزالي وعلم الكلام الاشعري وبخاصة في مسألة إثبات وجود الله تعالى، وقدم العالم، وحدوثه [(١)]. كذلك تأثر توما الاكويني بابن سينا واخذ عنه الكثير في المنهج والمصطلحات[(٢)].

كذلك تأثر ابيلارد بالإمام الغزالي في عدة قضايا مثل فلسفة الشك وقضية النيات.[(٣)]. حيث سبق بيتر ابيلارد فلسفة الشك لدى ديكارت [(٤)] Descartes (ت ١٦٥٠) بأربعمائة عام، متأثرا بأبي حامد الغزالي.

حكم ابيلارد العقل في النص، حتى توصل إلى أن الله لا يستطيع أن يفعل شيئاً غير ما فعل ولا أحسن مما فعله عليه، ورغم ما في هذه العبارة من سوء أدب مع الله إلا أنه يبرر ذلك بحجتين، الأولى: إن الله كان قادراً على فعل أي خير أراد، فيكفي أن يقول له كن فيكون، وعلى ذلك سيكون الله ظالماً إذا لم

---

(١) زقزوق: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، ٤٢؛ حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، دار التنوير، بيروت ١٩٨١م،ص٢٢٦ ؛ الاغبري، جهاد ناشر: الفلسفة، (د.ن) صنعاء ٢٠٠٧م،ص٨٢.

(٢) شاخت، جوزيف و بوزورث، كليفورد، تراث الإسلام،٢/٨٥.

(٣) الغزالي، محمد بن أحمد (ت٥٠٥هـ): المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق/ جميل صليبيا وكامل عياد، دار الاندلس، بيروت ١٩٨٨م، ص٨٣ -٨٥. يقول الغزالي:"إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق. فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر، بقي في العمى والضلال". (ميزان العمل، (د. ن) القاهرة ١٩٦٤م. ص٤٠٩).

(٤) رينيه ديكارت : فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة" ويعتبر الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن١٧م ،و صاحب المقولة الشهيرة: "أنا أفكر، إذن أنا موجود(عبدالرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة،١/٤٨٨).

يفعل أكبر خير كان في مقدوره فعله. والثاني: أن الله لا يفعل شيئاً إلا لسبب كاف وجيه، ولهذا لم يصنع الله إلا كل ما هو ملائم وحسن، وعلى ذلك فالعالم هو أفضل عالم ممكن وهو كل ما أستطاع الله صنعه.[1]

وينسب إلى الإمام الغزالي[2] قوله ليس في الإمكان أحسن من هذا العالم، لأنه لو كان كذلك ولم يخلقه " لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل". وعلى ذلك يكون الغزالي سبق ابيلارد. على أن الغزالي كان مؤدباً مع الله في صياغة عباراته وعرض فكرته، كذلك ينسب هذا القول إلى بعض المعتزلة. وقد أشكل هذا القول على بعض الفقهاء فهاجموا الإمام الغزالي[3]، إلا أن المرتضى الزبيدي[4] قدم شرحا في هذا القول مدافعا عن الغزالي.[5]

---

(١) Marenbon, J., Philosophy of Peter Abelard, Cambridge ٢٠١٠, pp ٢١٦ff.

؛ عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، ١/ ٩١.

(٢) إحياء علوم الدين، ج٤ص٣٥٠؛ كتاب الأربعين في أصول الدين،٢٤٥.

(٣) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت١٠٦١هـ): الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، تحقيق/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج١ص١١٧.

(٤) المرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): الإمام الفقيه المحدث اللغوي النسابة، أصله من العراق وولد في الهند ونشأ في زبيد ومات في القاهرة. له الكثير من المؤلفات منها: إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين، وتاج العروس من جواهر القاموس. (الزركلي: الأعلام،٧/٧٠).

(٥) ابن عجيبة، احمد بن محمد (ت١٢٢٤هـ): إيقاظ الهمم شرح الحكم، تحقيق/ محمد عزت، المكتبة التوفيقية القاهرة (د. ت)، ص٧٩؛ المحبي، محمد الحموي (ت١١١١هـ): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت (د.ت)، ص٦١٢.

والحقيقة أن الفضل في إيقاظ العقلانية الأوروبية يعود إلى تأثر المفكرين الأوروبيين بالمسلمين وخاصة الغزالي وابن رشد شارح فلسفة أرسطو العقلية. فكانت من أهم المحاولات في تحكيم العقل في اللاهوت المسيحي اللاعقلاني[١]. لكننا في الحقيقة نتحفظ على استخدام كلمة عقل وعقلانية على الحالة الأوروبية، لأن العقل لغة هو الحجر والنهي ضد الحمق[٢]. أي هو المانع لفعل ما لا يليق. وهذا لا ينطبق على الحالة الأوروبية التي خرجت عن العقل أي الحجر والحجز إلى ألا عقل والخضوع للغرائز، وفي هذه الحالة يمكن أن نقول عليه فكر في أقصى مدح له. كذلك تتعدد الفهوم البشرية في كل من الفكر الإسلامي والفكر الأوروبي لكن مع اختلاف ان فهوم الفكر الإسلامي ترجع الى مرجعية النص السماوي سواء القرآني او السنة النبوية الصحيحة، بينما الفهم الأوروبي الحديث يتعدد دون وجود مرجعية نصية محددة له. وبالتالي اختلافاته شاسعة وضخمة.

من أبرز رجال الفلسفة في القرن السابع عشر ديكارت بمنهجه منهج الشك أولا، أو ما يعرف بالشك المنهجي. وهو ما أثر في أوروبا حتى قيل إن إنتاجه وضع أقدام أوروبا على طريق التطور التكنولوجي، لأنه دعا إلى خروج الفلسفة من جانبها النظري إلى الجانب العملي التطبيقي لامتلاك الطبيعة[٣].

---

(١) محمد عمارة: ابن رشد، فقيه الفلاسفة وفيلسوف الفقهاء، دار السلام، القاهرة ٢٠١٢م،ص ١٧٦.

(٢) ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت ب د، ج١١ص٤٥٨. مادة: عقل.

(٣) نبي، مالك: مشكلات الحضارة، القضايا الكبرى، دمشق، دار الفكر، بيروت٢٠٠٠م، ص١٨١ وما بعدها.

لكن هذا المنهج كان سبقه إليه الإمام الغزالي بخمسة قرون تقريبا، بل ثبت أن ديكارت قرأ للغزالي وتأثر به واستفاد منه.[1]مع فارق أن الغزالي حكم العقل ولم يلغ القرآن والسنة، وفي ذلك يقول[2]:" فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور". والحقيقة التاريخية التي غابت عن الكثير أن الغزالي أيقظ العقلانية الإسلامية من ركود مر بها. ولم يحارب العقل كما يشيع عنه البعض عن غير معرفة للغزالي أو قراءة له، بل دعا إلى تحكيم العقل وعدم إلغاءه[3]، كما اقر بالعلوم العقلية اليونانية ولم يعترض عليها، ولكن اعتراضه وانتقاده كان لفرع الإلهيات في الفلسفة، وهو الفرع التكهني أو التخمينات وغير العلمي فيها، والذي يناقض الإسلام والنبوة بمواجهة سافرة لا لبس فيها.

وشمل تأثير الغزالي الفيلسوف ديفيد هيوم[4] (ت١٧٧٦م)، حيث لم يزد نقد هيوم للسببية أكثر مما قاله الغزالي عنها أنها مجرد تزامن بين شيئين[5]، وهو

(١) زقزوق: المنهج الفلسفي ،١٢ وما بعدها. اثبت هذا الباحث التطابق الواضح بين نصوص الغزالي ونصوص ديكارت في أطروحته للدكتوراه هذه؛ انظر أيضا: عباس محمود العقاد: اثر العرب في الحضارة الأوروبية، القاهرة ٢٠١٧ ص٩٠. وهناك شكوك علمية من أن ديكارت اخذ جزء كبير من عمله في الرياضيات من عمر الخيام.

(٢) إحياء علوم الدين، ج٣ص١٧.

(٣) زقزوق: المنهج الفلسفي، ٥٥.

(٤) ديفيد هيوم: فيلسوف واقتصادي ومؤرخ أسكتلندي، له عدة مؤلفات. (عبد المعطي، فاروق: ديفيد هيوم، الفيلسوف الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣م).

(٥) رينان، ارنست: ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٧م،ص١٢. نقلا عن محمد حمدي زقزوق: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت،٤٤.

موقف الاشاعرة بشكل عام من السببية كما هو معروف[١]. على أن الفارق بين الغزالي وهيوم هو ان الغزالي أراد إثبات نظرية الخلق المتجدد للعالم، بينما ديفيد هيوم كان يرمي الى نفي العلة الأولى، أي نفي الخالق عز وجل.

كما أثر الغزالي في الراهب الدومينيكي ريمون مارتي[٢] (ت١٢٨٤م) Raymond Martini وفي بسكال[٣] (ت١٦٦٢م) Blaise Pascal صاحب الحجة المشهورة في إثبات وجود الآخرة والتي تسمى حجة بسكال.[٤] وليس فقط المفكرين المسيحيين تأثروا بالغزالي، بل كذلك علماء اليهود في كثير من أرائهم، فاخذوا في كتبهم المشهورة مقاطع كاملة بل صفحات من كتب الإمام الغزالي، مثل كتب: المقاصد، والمنقذ، والتهافت، والإحياء، والمشكاة، والميزان، وغيرها، وذلك بعد ترجمتها للرد على فلاسفة عصرهم. فساعد ذلك على نشر كتبه في أوروبا وتوسع الإقبال عليها والتأثر بها[٥].

---

(١) الادلبي، صلاح الدين احمد: عقائد الأشاعرة، دار السلام٢٠١٠م، القاهرة، ص١٣٦.

(٢) ريمون مارتي: رجل دين ومبشر ومستشرق دومنيكي، ولد في قطالونيا وتوفي في برشلونة، أجاد اللغة العربية وألف كتبا للرد على المسلمين دفاعا عن المسيحية، سافر إلى تونس وأنشأ مدرسة لتعليم العربية للمبشرين. (بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت١٩٩٣م، ص٣١٠،٣٠٩).

(٣) بسكال، بليز: مخترع الآلة الحاسبة، فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي. (عبود، شوقي: معجم أدباء العالم، دار المؤلف للطباعة والنشر، وهران ٢٠١٦م، ص٨١).

(٤) الزيدي، مفيد: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٩م، ج١ص٣٧٣.

(٥) الشمالي، عبده: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية، دار صادر، بيروت١٩٧٩م، ص ٥٥٣. لم يخف كثير من المستشرقين إعجابهم بالإمام الغزالي، فقال رينان Ernest Renan على سبيل المثال: "لم تنتج الفلسفة العربية فكرا مبتكرا كالغزالي". (الشمالي: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، ٥٥٣).

كذلك ظهر تأثر إمانويل كانط واضحا بالإمام الغزالي في كتابة نقد العقل المحض، وهو الكتاب الذي عده البعض أحد أهم التحولات في الفكر الغربي، حي عد هذا الكتاب انه مجرد محاولة لفهم كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي. ونقد كانط للميتافيزيقا في القسم الثالث من كتابه والمعنون بالجدل المتعالي، جاء هذا النقد متطابقا مع ما ورد في كتاب التهافت من دون أي زيادة.(١) أما عن مصادرات كانط الثلاثة التي دعا إلى القبول بها لأنها لا يمكن الحكم عليها بالنظر العقلي وهي الحرية وخلود النفس والله عز وجل(٢)، فمن الواضح انه سبقه إليها ابن رشد الذي أشار أن على الفيلسوف القبول ببعض الأفكار الدينية للوصول إلى معرفة الحقيقة مثل وجود الله ووحدانيته وعدالته والحياة بعد الموت(٣). لكن الملاحظ على كانط انه أراد إنقاذ الإيمان المسيحي اللاعقلاني بتحييد العقل عنه، لذلك دعا إلى الفصل بين الإيمان والعقل. وهذا عكس تماما ما عمل عليه المتكلمون المسلمون.

على أن معرفة المنهج التجريبي من العرب والمسلمين كان أحد أهم المعارف المستقاة من الحضارة الإسلامية، والتي تميزت بها بعد ذلك الحضارة الاوروبية،

---

(١) الميلاد، زكي: فلاسفة المسلمين وفلاسفة أوروبا المحدثين هل من علاقة، مجلة المسلم المعاصر، مجلة دورية محكمة، بيروت، العدد ١٥٢، ٢٠١٤م، ص١٥-٣٨.

(٢) الصافي: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، ص٨٩.

(٣) ويكيبيديا، فلسفة إسلامية، ٢٠١٨/٧/٣٠، نقلا عن: Catholic Encyclopedia: Averroes نسخة محفوظة ١١ ديسمبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.

حيث عرف فرانسيس بيكون Bacon [1](ت ١٦٢٦م) هذا المنهج من روجر بيكون[2] Roger Bacon (ت١٢٩٤م)، الذي بدوره عرفه من المسلمين في الأندلس. ويعود الفضل في نهضة أوروبا إلى معرفتها بهذا المنهج. وهو منهج لم يعرفه اليونان أنفسهم. [3] كذلك تأثر روجر بيكون بابن سيناء والفارابي " إلى درجة أن نظريته عن قداسة البابا تتفق تمام الاتفاق مع النظريات التي قال بها ابن سينا عن الخلافة". والحقيقة ان ابن سيناء كان له تأثيرا ضخما على الفكر الأوروبي، مثل تأثر ألبرت الأكبر[4](ت١٢٨٠م) Albertus Magnus به في تعريفه للنفس وفي نظريته في النبوة. [5]

أما تيار التنوير الذي قاده فولتير والداعي إلى العقل كمرجعية نهائية للحكم على الأمور فبحسب جدلية التاريخ برز أمامه تيار الرومانتيكية الذي

---

(١) فرانسيس بيكون: فيلسوف وسياسي انجليزي ولد في مدينة لندن عام ١٥٦١، التحق بجامعة كامبريدج ومن ثم رحل إلى فرنسا واشتغل مدة في السفارة الإنجليزية بباريس ثم ما لبث أن عاد إلى وطنه وشغل مستشارا للملكة إليزابيث، يعده الأوروبيون مؤسس المنهج الاستقرائي. (بدوي: موسوعة الفلسفة، ٣٩٢/١).

(٢) روجر بيكون: فيلسوف انجليزي، درس في جامعة أكسفورد، تعلم اللغة العربية واستفاد من علومهم خاصة المنهج التجريبي، حاربته الكنيسة واعتبرته ساحرا وحكم عليه بالسجن. (أبو دية، أيوب: علماء النهضة الأوروبية، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت ٢٠١١م، ص١ وما بعدها).

(٣)غارودي، روجيه: نحو حرب دينية، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية للطباعة، بيروت ١٩٩٧، ص٤٨؛ هونكه، زيغريد: شمس العرب تستطع على الغرب، ٣٣٤.

(٤) ألبرت الأكبر: راهب وكاهن دومنيكي ألماني، حاول تطبيق فلسفة أرسطو على الفكر المسيحي. (كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية، ٢١٥-٢١٧).

(٥) شاخت، جوزيف و بوزورث، كليفورد، تراث الإسلام،٨٤/٢.

قاده جان جاك روسو حيث أشار إن العقل منحط لأن دوافعه منحطة. وان القيم والأخلاق هي المعيار الأساسي للحكم على الأمور[(١)].

كذلك بالنسبة للعقلانية الإسلامية التي مثلها المعتزلة سريعا ما ظهر أمامهم الحنابلة الداعين إلى قدسية النص وتعطيل العقل. ثم لم يلبث أن ظهر الأشاعرة الذين حاولوا التوفيق بين العقل والنص. وهو ما افتقد إليه الفكر الغربي الذي غلب جانب العقل المنسلخ من أي مرجعية روحية أو أخلاقية.

أما في الفلسفة المثالية الحديثة والتي يمثل هيجل Hegel (١٧٧٠-١٨٣١)[(٢)] أبرز روادها، فنجده يستشهد بأبيات شعرية لمولانا جلال الدين الرومي[(٣)]. كما نجد فلسفته في وحدة الوجود تكاد تطابق فلسفة محيي الدين ابن عربي، مع اختلاف الألفاظ[(٤)]، فابن عربي يقول[(٥)]: "اعلم إنه كما إن الروح روح لبدنه، فكذلك الحق تعالى روح للعالم". وهذا هو خلاصة فكر وأطروحة هيجل عن الروح الكلية التي تحكم العالم.[(٦)]لكن هناك فرق جوهري بين فكرهما، هو تمييز ابن عربي بين واجب الوجود وممكن الوجود، وهو ما لم نجده عند هيجل. فابن عربي يكمل العبارة السابقة قائلا:

---

(١) صبحي، احمد محمود وجعفر، صفاء عبد السلام: في فلسفة الحضارة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٩م، ص١٧٩.

(٢) هيجل: ولد في ١٧٨٧ في مدينة شتوت جارد الألمانية، درس الفلسفة واللاهوت ثم ركز دراسته أكثر في أعلام التصوف الألمان، عمل مدرسا خصوصيا، ثم مدرسا في جامعة ييل ثم في جامعة هيدلبرج وجامعة برلين، يعد أعظم الفلاسفة الألمان في عصره. (بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج٢ص٥٧٤ وما بعدها).

(٣) راتب الحوراني: هيغل والفارابي، دار الفارابي، بيروت ٢٠١٢م، ص٢٩٩.

(٤) http://www.maaber.org/ibn_arabi/ibnarabi_٣.htm

(٥) المسائل لإيضاح المسائل، تحقيق / قاسم محمد عباس، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٩م، ص١٢٣.

(٦) هيجل، فردريك: العقل في التاريخ، ترجمة وتقديم وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت ٢٠٠٧م،ص٨٩ وما بعدها.

"وكما أن الروح يدبر بدنه بقواه، فكذلك الحق تعالى يدبر العالم بأسمائه وصفاته، وكما أن الروح ليس بحال في البدن ولا متحد به، فكذلك الحق تعالى ليس بحال في العالم." بينما يؤخذ على فلسفة هيجل فلسفة الحلول والاتحاد التي ينفيها ابن عربي فالطبيعة عند هيجل ما هي إلا تجسد للعقل الكلي(١). وذهب نيكلسون(٢) (ت ١٩٤٥م) إلى أن ابن عربي أثر في النهضة الأوروبية تأثيرا قويا، وأن دانتي الاجيري(٣) Dante Alighieri (ت١٣٢١م) تتلمذ له في النهج والأسلوب وفي الصور والأمثال والاصطلاحات والأساليب الفنية. بل ذهب أحد المستشرقين إلى أن ابن عربي اثر في النهضة الأوروبية بشكل عام تأثيرا قويا.(٤)

أما أسين بلاثيوس(٥) (ت١٩٤٤م) Asín Palacios فيذهب إلى أن ابن عربي كان صدى للمسيحية والأفلاطونية المحدثة وهو ما أنتقده عبد الرحمن بدوي.(٦)

---

(١) هيجل، العقل في التاريخ، ٨٠.

(٢) نيكلسون، رينولد: مستشرق انجليزي تخصص في التصوف والأدب الفارسي. (ويكيبيديا، رينولد ويكلسون).

(٣) دانتي الاجيري: شاعر ايطالي من فلورنسا، كاتب الكوميديا الإلهية. (بابتي، عزيزة فوال: موسوعة الاعلام العرب والمسلمين والعالميين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٩، ج٢ص٨٠).

(٤) أنظر: الشمالي: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، ٥٩٢ ؛ قاسم، محمود: أصول الرومانتيكية عند محيي الدين بن عربي، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ،المجلد السادس عشر ،١٩٧١،ص٢١ -٢٥؛ ينظر أيضا: عبدالقادر احمد اليوسف: العصور الوسطى الأوروبية، المكتبة العصرية، بيروت١٩٦٧م،ص٣٥٦،٣٥٧.

(٥) بلاثيوس، أسين: مستشرق وقس كاثوليكي اسباني ولد عام ١٨٧١م، اشتغل بدراسة التصوف الإسلامي. (القاضي، محمد: رائد الاستعراب الاسباني المعاصر: أسين بلاثيوس، المجلة العربية، الرياض ٢٠١٠م).

(٦) بلاثيوس، أسين: ابن عربي، حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة١٩٦٥، ص٩٨، ١١٧. وقد حضا ابن عربي باهتمام ودراسة كبار الباحثين الغربيين (ينظر على سبيل المثال: المطاوعة، هدى: محيي الدين ابن عربي: ميراث الأمة المنسي، مجلة نزوى، مسقط، العدد الأربعون، أكتوبر٢٠٠٤، ص٥٨). على أن هذا الاهتمام لم يخلُ من النظر إلى فكره من زاوية الثالوث المسيحي (Shahzad, Qaiser, Accommodating Trinity, A Brief Note on Ibn Arabi's Views, Journal of Ecumenical Studies, Vol.٤٨,No.١,Winter ٢٠١٣.)

ويلتقي هيجل مع الغزالي في تحديد مسار الجدل، من جهة إن كل مفهوم ينطوي على تناقض، ولذلك يرى أحد الباحثين انه من التعصب أن يرد جدل هيجل إلى اليونان دون إشارة إلى جدل الإسلاميين.(١)

وفي الوقت الذي برز فيه الفكر المادي خاصة مع فلسفة ماركس ظهر كذلك ما يسمى بالروحانية الحديثة التي كانت على ما يبدو ردة فعل ضد المادية، ومارست جلسات تحضير الأرواح بأسلوب المراقبة العلمية الشديدة، وتوصل فكر الروحانية الأوروبية إلى عدة حقائق كما تشير أدبياتهم، وهي أن الروح لا تفنى بل تضل باقية وان هناك أرواح منعمة وأرواح معذبة بسبب أعمالها السيئة أو عدم إيمانها بالخالق(٢).

ثم بعد تيار الروحية الذي كان من أعلامه هردر(٣) Herder Johan Gottfried(١٧٤٤-١٨٠٣م) بأطروحاته برز أوجست كونت(٤) August comte (١٧٩٨ -١٨٥٧) بالفلسفة الوضعية كمقابل للروحية. وأصبح هم العقل الأوروبي من العلم هو البحث عن القوانين وإنكار كل ما هو

---

(١) الميلاد: فلاسفة المسلمين وفلاسفة أوروبا المحدثين، ١٥-٣٨.

(٢) عبيد، رءوف: الإنسان روح لا جسد، بحث في العلم الروحي الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٦، ص ٢٧ -٤٠.

(٣) هردر: فيلسوف ورجل دين وشاعر ألماني. (Herder, J. G., Another Philosophy of History and Selected Political Writings, Translated Evrigenis, I. D. and Pellerin, D., Indianapolis ٢٠٠٤, pp ix ff).

(٤) كونت، أوجست: عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي، مؤسس الفلسفة الوضعية القائلة لا سبيل إلى المعرفة إلا بالحواس والخبرة (بدوي: موسوعة الفلسفة،٣١١/٢ وما بعدها).

غيبي. البحث عن القوانين في كل مناحي المعرفة بما فيها العلوم الإنسانية وباستخدام مناهج العلوم الطبيعية.(١)

ثم ظهر دلتاي Wilhelm Dilthey (١٨٢٢-١٩١١م)(٢) الذي دعا إلى وضع حدود فاصلة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، ولهذا رفض أطروحات الوضعيين الذين يريدون استخدام مناهج العلوم الطبيعية والفيزيائية في الدراسات الإنسانية؛ إذ أن هدف المناهج الطبيعية الوصول إلى قوانين عامة، بينما الدراسة التاريخية تهدف إلى فهم واقعة مفردة غير متكررة. ولهذا استخدم دلتاي مصطلح الفهم بدلا عن مصطلح التفسير، حيث إن العلم يعلل بينما الدراسات الإنسانية تتفهم الحياة أو التجربة (٣).

وبعد طور العقلانية أخذت الفلسفة الأوروبية في التنوع الفكري الباحث عن الحقيقة بعيدا عن الرسالات السماوية فوصلت إلى ما سمي ما بعد الحداثة، التي تعني التشكك والتحرر من هيمنة العقل نفسه. مرورا بفلسفات اللذة والمنفعة والوجودية وغيرها من الفلسفات المادية. وفشلت الحضارة الغربية كما يقول

---

(١) بدوي، عبد الرحمن: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠م، ص١٠،١١.

(٢) دلتاي، وليم: فيلسوف ألماني ومؤرخ عمل مع آخرين على وضع منهج جديد للعلوم الاجتماعية والإنسانية مختلف عن منهج العلوم الطبيعية (بوبر، كارل: أسطورة الإطار، تحرير: مارك ر. بوبر، ترجمة: يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت٢٩٩٣، ص ٢٩٢ حاشية١٤ت؛ ويدجيري، البان: المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت ١٩٧٩ ص٣١٤).

(٣)الصافي: دراسات في المنهج والفكر، ص ١٤٥،١٤٦؛ علي صديقي: إشكالية المنهج في الدراسات الإنسانية والأدبية.

http://www.odabasham.net.، ٢٠٠٨/١٢/٢٠. Hamilton, Historicism,pp٧٠ff

روجيه جارودي[1](ت٢٠١٢م) في الإجابة على أهم سؤال فلسفي وهو: ما معنى الحياة؟ ويوضح: لا معنى للحياة بدون الإيمان بالله. كذلك هوسرل (ت ١٩٣٨م) في كتابه: أزمة العلوم الأوروبية في طرحه للسؤال: هل الأزمة الأوروبية هي أزمة معرفة أم معنى[2]؟ ما معنى الوجود وما معنى الحياة هي أهم إشكالات الفلسفة الأوروبية المعاصرة.

لكن من الجدير بالذكر حول أسباب نهضة الغرب وحضارته المعاصرة الإشارة إلى ماكس فيبر[3] (١٨٦٤-١٩٢٠) Max Wiber المفكر الألماني الذي أكد في دراسة له أن السبب الحقيقي لنهضة الغرب هو التدين البروتستانتي والتصوف البروتستانتي والأخلاق البروتستانتية، وليس كما يزعم بعض الملحدين أن نهضة الغرب كانت بسبب ترك الدين والكفر بالله. والحقيقة أن من كبار فلاسفة التاريخ الغربي بينوا أن الأديان هي سبب قيام الحضارات وروحها المؤسسة.[4]

ومن أبرز الملاحظات على الفكر الأوروبي في فلسفة التاريخ هو تمحوره تقريبا في سؤال من يصنع التاريخ الله أم الإنسان؟ فكان سان أوجستين وهيجل ممن نسبوا

---

(١) روجيه جارودي: فيلسوف فرنسي كان شيوعيا وأسلم عام ١٩٨٢م. له الكثير من المؤلفات. والتي سببت له مواجهة مع اللوبي اليهودي في فرنسا. (شمسان، فوزية: روجيه جارودي، الرؤية والتغيير، صنعاء٢٠٠٣).

(٢) قواسمي، مراد: في معنى التاريخ عند نيتشة، دار الروافد الثقافية، بيروت ٢٠١٢م، ص١٩١.

(٣) فيبر، ماكس: عالم اجتماع وسياسي واقتصادي ألماني، من أشهر كتبه: الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية. (للمزيد عنه أنظر Wiber, M., Max Weber, Translated by Harry Zohn, New Yourk ٢٠٠٩)

(٤) أمثال شبنجلر وتوينبي. (صبحي، في فلسفة التاريخ، ٢٥٥).

الفعل إلى الله عز وجل على اختلاف الطرح. وكان فولتير وكارل ماركس ممن نسبوا الفعل إلى الإنسان. وحاول إمانويل كانط الجمع بينهما.[1]

ونفس هذا السؤال برز أيضا في الحضارة والفكر الإسلامي ولكن بصيغ مختلفة. مثل هل الله خالق أفعال الإنسان أم الإنسان خالق أفعاله؟ أو هل الإنسان مسير أم مخير؟ فشكل ذلك جدلا كلاميا بين الفرق الكلامية خاصة المعتزلة والأشاعرة.

ولابد من التوضيح أنه صار من أهم سمات الحضارة الغربية هو تأثرها بفلسفة عالم النفس فرويد[2] في فكر اللذة والرغبة وأنها الدافع الأساس لسلوك الإنسان، وفكر دارون في التطور والنشوء والارتقاء. على انه لا يصح بأي حال مع الحضارة الغربية إصدار أي تعميم عنها بسبب تنوع فلاسفتها بين المادية والمثالية والروحية وبين الإيمان والإلحاد.

ملخص صيرورة الفكر الغربي بدء وثنيا مع اليونان، ثم موحدا مع الأريوسية الموحدة، التي لم تستمر وتحول إلى المسيحية الكنسية ونظرية العناية الإلهية التي اضطهدت الانسان واستغلته، فظهرت البروتستانتية ثم الإيمان بفلسفة التقدم الإلحادية بعصر ما سمي بالتنوير، ثم انقسم إلى فلسفات مادية ومثالية، والحداثة اللادينية وليبرالية رأسمالية، ثم انتهى إلى العدمية في عصر ما بعد الحداثة أو اللا أدرية.

(١) صبحي: في فلسفة التاريخ، ١٧٢ وما بعدها.

(٢) سبق الفيلسوف الألماني شوبنهاور فرويد في القول إن الرغبة هي ماهية الإنسان وأساس الدافعية لديه، على أن شوبنهاور قلل من أهمية العقل إزاء الرغبة. (بدوي، عبد الرحمن: شوبنهاور، دار القلم، بيروت ٢٠٢١م، ص٢٠٦-٢٠٨.

أسباب تقدم الغرب:

تظافرت عدة عوامل ساعدت في قيام ما سمي بنهضة أوروبا لا علاقة لها بالعلمانية أو بالكفر بالله، ولكن كدورات تاريخية طبيعية بين الشعوب والأمم كان من أبرزها:

١- النهضة الفكرية والعقلية بفضل الاحتكاك بالعرب والمسلمين وكان من أبرز رجالاتها فرانسيس بيكون الذي أدخل المنهج التجريبي الى أوروبا بعدما أخذه من روجر بيكون الذي بدوره أخذه من العرب وبالأخص من ابن الهيثم. وديكارت صاحب فلسفة الشك التي قادت الى نهضة العقلانية الأوروبية، وثبت ان ديكارت أخذ وقرأ للإمام الغزالي. وامانويل كانط صاحب كتاب نقد العقل المحض، والذي أيضا أخذ وأستفاد من الإمام الغزالي كما سوف نوضح ذلك.

٢- تحول القوة الاقتصادية والمالية من العرب والمسلمين الى أوروبا بسبب حركة الكشوفات الجغرافية والاستعمار الذي بدأ بدوافع دينية، ونتج عن ذلك أيضا نهب استعماري استمر منذ خمسمائة عام وحتى الآن. وانعكس بازدهار الآداب والفنون والعلوم.

٣- ظهور البروتستانتية التي أخرجت دول شمال أوروبا من هيمنة الكاثوليكية البابوية وتعاليمها المتشددة ضد ممارسة الحياة مما ساعد على تغير نمط الحياة الى العمل والكفاح والادخار حسب ما أوضح ماكس فيبر أن التصوف البروتستانتي كان سبب قيام الرأسمالية الغربية.

٤- الثورة الصناعية التي قامت في القرن ١٩ والتي أدخلت أوروبا في عصر الميكنة والإنتاج الاقتصادي الضخم، ثم ما لحقها من تطورات تكنلوجية ساعدت أوروبا في صناعاتها العسكرية.

٥- ظهور النظام البنكي في إيطاليا أولا، ثم في باقي دول أوروبا مكنها من مواكبة النهضة العلمية والصناعية والهيمنة على بقية دول العالم من الناحية المالية البنكية. ساعد على ذلك ظهور نظام العملات الورقية. ونتج عن ذلك طبقة غنية حاكمة طورت أدوات حكمها الى شركات عالمية ومنظومة بنكية عالمية تملكها اقلية يهودية. فصار حقيقة الحكم في الغرب بلوتقراطية وليس ديمقراطية. أي حكم الأغنياء وليس حكم الشعب نفسه بنفسه.

الخاتمة

كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سراجا منيرا فكرا وسلوكا وأخلاقا. ببعثته ولدت حضارة الإسلام بكل ما فيها من علم وفكر وأخلاق. لكن هذه الحضارة كانت تتمتع بحيوية عجيبة يجعلها في حالة من التجديد المستمر من خلال سنة التدافع والتضاد في كل علم من علومها وكل حقل حضاري فيها، ولا زالت تتجدد بالتدافع المستمر رغم كل الظروف والمتغيرات المحيطة. بل وحتى المؤامرات الخبيثة. والتجدد في هذه الأمة أمر كفله الله لها "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا".

كذلك وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم معيارا للحكم على الأمور آخر الزمان، وهي فترة زمنية تكثر فيها الفتن والضلالات والدجل فقال:" إن أمتي لا تجتمع على ضلالة. فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم".[1]

ومن أخطر ما تعانيه الأمة اليوم هو تزييف الوعي في كل العلوم الإسلامية تقريبا. فعلم القران مستهدف بالتفسير المنحرف له المضاد للنص الصريح وللسنة، والحديث مستهدف بالدعوة بالاكتفاء بالقران الكريم والطعن والحط والتشكيك في الحديث النبوي وهو شارح ومطبق ومفسر للقران الكريم والمصدر الثاني للتشريع، كذلك مستهدف من خلال الأخذ منه بغير فقه فيحرف المعنى إلى غير المقصود منه. وعلم الفقه مستهدف من خلال الدعوة إلى إلغاء المذاهب الإسلامية بحجة أنها فرقت بين المسلمين بينما هي مناهج استنباط الأحكام

(١) رواه ابن ماجة، حديث رقم ٣٩٥٠.

الشرعية من الكتاب والسنة، والمشكلة في التعصب لها وليس فيها، وعلم التصوف استهدف بحجة انه شركيات ودروشة وتكاسل وخمول بينما هو علم التزكية والتربية والسلوك وكل ما يخالف الشريعة ليس من التصوف والأمة اليوم بأمس الحاجة للنهضة الروحية. واستهدف علم الكلام بحجة انه سفسطة وجدل لا طائل منه في قضايا لا تهم المسلم بينما هو علم الدفاع عن الإسلام والإيمان والنبوة من خلال الأدلة العقلية وعلم المنطق وهو مهم في مواجهة الغزو الفكري ومواجهة عقول كبيرة تدعو للإلحاد. واستهدفت اللغة العربية بحجة أنها لا تواكب العصر فالإنجليزية هي لغة العصر ولغة العلم والمال والأعمال، بينما اللغة العربية هي وعاء الفكر ومنهجه وأثاره ولغة الحضارة الإسلامية وعلومها ولغة القران الكريم، بينما اللغة الانجليزية مجرد علم آلة ليس مقصود لذاته.

لا يصح القول عن أفول الحضارة الإسلامية دون تمييز وفحص لهذه الكلمة. الحضارة الإسلامية والإسلام والفكر الإسلامي هو رسالة وليس مجرد دولة فقط مثل دولة الرومان أو دولة الفرس مثلا. الدول تقوم وتسقط، تزدهر وتأفل، أما الرسالة فهي لم تأفل يوما ولم تتوقف يوما. بل كل يوم هي في مزيد.

الإسلام هو رسالة انتشر في العالم بدون دول تنشره في الغالب، مثل ما نشره الحضارم في الهند وشرق آسيا وأفريقيا وغيرها. واليوم ينتشر في أوروبا وأمريكا رغم ضعف حال الدول الإسلامية.

الأمانة العلمية تقتضي التمييز بين الدول الإسلامية التي تخضع لسنن حركة التاريخ من الميلاد والازدهار ثم الاندثار، وبين فكر ورسالة الإسلام الذي لا

يعرف حدود ولا تؤثر عليه أحوال الدول بل هو في حالة تجدد وحيوية مستمرة في كل زمان ومكان، خاصة في رسالته الاخلاقية.

باختصار، نهضت أوروبا ماديا لأنها امتلكت أدوات الثروة من خلال الاستعمار، وانعكس ذلك على الآداب والفنون. ثم طورت ادواتها الى شركات عالمية وبنوك محتكرة للنظام المالي العالمي. وتخلف العرب لأنهم تعرضوا لإفقار مستمر منذ ٥٠٠ سنة. ولن ينفع العربي أن يتجرد من هويته ودينه حتى يكون متطورا وهو منهوب ثروته ومجرد من موارده تحكمه زمرة من ملاك البنوك اليهود بوسائل متعددة. الحداثة الحقيقة ليست في الانسلاخ والتنكر للتاريخ والدين والقيم الروحية، ولكن في امتلاك الموارد المالية والثروات التي تحقق حياة بكرامة مع الاحتفاظ بالقيم الروحية التي لا تقدر بثمن. " ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا " الاسراء (٦). بالأموال والبنين وكثرة النفير عز الأمم وكرامتها.

نبذة عن المؤلف

الدكتور محمد حسين الصافي:

ولد في الخليج الأمامي على بعد أمتار من شاطئ البحر بمدينة عدن. من أسرة آل الصافي المعروفة بالتجارة والعلم، جده الحبيب العلامة عبد الله بن حامد الصافي من كبار علماء اليمن في عصره، ووالده الأستاذ حسين الصافي الإعلامي المشهور أول مدير عام للإذاعة والتلفزيون ومؤسس التلفزيون بمدينة عدن. انتقل مع أسرته إلى مدينة صنعاء عام ١٩٧٢م، ودرس بالمدرسة الأهلية ثم بمدرسة جمال عبد الناصر، وأدى خدمة الدفاع الوطني في اللواء الخامس مشاة السوادية، البيضاء. التحق بكلية الآداب جامعة صنعاء، وحصل على الماجستير عام ١٩٩٨ والدكتوراه عام ٢٠٠٨م.

أنظم مع والده في العمل الحر أثناء دراسته الجامعية، وبعد وفاه والده أسس شركة صافوان للتجارة الحائزة على العديد من الوكالات التجارية العالمية، منها شركة AT&T الأمريكية- اكبر شركة اتصالات في العالم- وغيرها، كذلك أسس صافوان للأبحاث وأبحاث السوق، ثم تفرغ للعلم دراسة وتدريس منذ العام ٢٠٠٣م، قام بالتدريس في جامعة العلوم والتكنولوجيا منذ العام ١٩٩٧م وفي جامعة صنعاء منذ العام ١٩٩٩، وفي المعهد العالي للتوجيه والإرشاد العام ٢٠١٣م. في عام ٢٠٠٢م تولى إدارة فرع دار المصطفى بصنعاء، عين عام ٢٠٠٣ مدرسا في قسم التاريخ كلية الآداب بجامعة صنعاء، ثم أستاذا مساعدا عام ٢٠٠٩م، وأستاذا مشاركا عام ٢٠١٧م، ورائدا للشباب عام

٢٠١٩م. أسس عام ٢٠٠٥م مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث فرع صنعاء. له العديد من المؤلفات العلمية والأنشطة الفكرية منها نظرية النبض الكلي، وهي محاولة تفسير جديدة للتاريخ. كرم عام ٢٠١٦ من قبل كلية الآداب والعلوم الإنسانية لجهوده العلمية والثقافية المتميزة. وكرم عام ٢٠١٨م من قبل الاتحاد العربي للثقافة والإبداع ووزارة الثقافة جمعية المنشدين اليمنيين لجهوده في الحفاظ على التراث الإنشادي حاصلا على قلادة الاتحاد العربي للثقافة والإبداع.

التعليم:

- دكتوراه بامتياز في تاريخ العصور الوسطى، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب بعنوان: العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر اليمن والبحر الأحمر في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي. جامعة صنعاء ٢٠٠٨.إشراف مشترك مع جامعة المنصورة.
- ماجستير بامتياز في تاريخ العصور الوسطى، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (حروب صليبية) بعنوان: دور ريمون الرابع كونت تولوز في الحرب الصليبية الأولى. جامعة صنعاء ١٩٩٨م.
- بكالوريوس آداب – قسم تاريخ – مايو ١٩٩٣م – جامعة صنعاء

يدرس المواد التالية:

- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى.
- تاريخ الدولة البيزنطية.
- تاريخ الحروب الصليبية.

- تاريخ الأيوبيين والمماليك.
- فلسفة التاريخ.
- تيارات فكرية معاصرة.
- تاريخ الرومان.
- العلاقات التجارية بين أوروبا والمسلمين. (دراسات عليا).

الأعمال الإدارية:

- مساعد مدير مكتب الصافي للإعلانات ١٩٨٢-١٩٨٣. (وكلاء الخطوط الجوية اليمنية).
- مدير مكتب الصافي للإعلانات ١٩٨٣-١٩٨٨م.
- مدير عام صافوان للتجارة ١٩٨٨م حتى ٢٠٠٣.
- مدير عام صافوان للأبحاث وأبحاث السوق ١٩٨٩-٢٠٠٣م.
- مدير فرع دار المصطفى بصنعاء ٢٠٠٣-٢٠٠٥م.
- مدير مركز الإبداع الثقافي فرع صنعاء ٢٠٠٥- إلى الوقت الحاضر.
- عضو الهيئة العلمية الاستشارية لمجلة أبحاث الوسطية الشرعية. جامعة الوسطية الشرعية. حضرموت.

له العديد من الدراسات منها:

- انهيار الرأسمالية، الفوضى القادمة. كتاب نشر مكتبة مدبولي القاهرة ٢٠٠٤.
- علماء التزكية ودورهم العلمي والدعوي. المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب جامعة تعز ٢٠٠٩.

- قراءة في المناهج الغربية لتفسير التاريخ في القرن ١٩م. مجلة كلية الآداب، المجلد ٣٤ العدد٢ ابريل- يونيو٢٠١٣م.
- مدخل إلى المناهج الغربية لتفسير التاريخ في القرن العشرين. مجلة كلية الآداب، المجلد ٣٤ العدد٤ أكتوبر-ديسمبر ٢٠١٣م.
- قراءة في مناهج التفسير النفسي للتاريخ. نشر في كتاب: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء ٢٠١٦م.
- مدرسة حضرموت العالمية، تناول تاريخي لدور حضرموت في التاريخ الإسلامي. قدم في ندوة الإمام الحداد، المكلا ٢٠٠٧.
- الصراعات الفكرية في عصر الأيوبيين والمماليك. قضية وحدة الوجود أنموذجا. مقبول للنشر، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب ٢٠١٣/٦/١٠م. نشر في كتاب: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء ٢٠١٦م.
- مناهج المعرفة ودراسة التاريخ. نشر في كتاب: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء ٢٠١٦م.
- وحدة اليمن عبر التاريخ٢٠١٠. التوجيه المعنوي للقوات المسلحة.
- التوحيد والعقلانية في الفكر الأوروبي الوسيط. بتر ابيلارد أنموذجا. مقبول للنشر، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب ٢٠١٣/١١م
- تاريخ الحروب الصليبية على ضوء فلسفة التاريخ. مقبول للنشر في مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب٢٠١٣/١١/٢٠م. نشر في كتاب:

دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء ٢٠١٦م.

- نظرية النبض الكلي، البعد الطبيعي والفيزيائي لحركة التاريخ والنظرة الموحدة للكون والإنسان والتاريخ. نشر في كتاب: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء ٢٠١٦م.
- حيوية تاريخ الفكر الإسلامي، مع مقارنة بتاريخ الفكر الأوروبي، تحت النشر.
- دراسات في المنهج والفكر التاريخي، كتاب نشر مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء ٢٠١٦م.
- نظرات مقارنة بين تاريخ الفكر الأوروبي وتاريخ الفكر الإسلامي. صنعاء ٢٠١٧م. تحت النشر.
- كتاب: الناجحون، التنمية البشرية على ضوء السنة النبوية، تحت النشر.
- قراءة نقدية لمنهج وفكر المؤرخ هنري بيرن على ضوء كتابة تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. بحث تحت النشر .
- أساسيات المناهج المعرفية لنظريات تفسير التاريخ، مجلة آداب الحديدة، كلية الآداب، جامعة الحديدة، العدد العاشر، يوليو، سبتمبر ٢٠٢١م.
- صوفية اليمن، الفكر والواقع، منتدى مجال،٢٠٢١م.
- البحر الأحمر، الماضي، الحاضر، المستقبل، منتدى مجال،٢٠٢٢م.
- منهجية قراءة التاريخ في ضوء فقه التحولات، المؤتمر العلمي الأول لجامعة الوسطية سيئون، حضرموت، ١٧/ ٩/ ٢٠٢٢م.

- نقد للقراءات الحداثية للتراث والتاريخ الاسلامي، محمد عابد الجابري أنموذجا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، العدد٤٥، يوليو سبتمبر ٢٠٢٠م.

المحاضرات العلمية والفكرية العامة التي ألقاها:

- البعد الفيزيائي والطبيعي في حركة التاريخ، فعاليات الأسبوع التاريخي، جمعية التاريخ والآثار، جامعة صنعاء٢٠٠٢م.
- التعليم المعاصر والتعليم النبوي (شبوة ٢٠٠٥).
- مدرسة حضرموت العالمية (المكلا٢٠٠٧).
- المنهج الأكاديمي ودراسة التاريخ الإسلامي(سيئون).
- في فقه التحولات، قراءات تاريخية (عدن٢٠٠٧).
- المناهج الغربية ودراسة السيرة النبوية (جامعة صنعاء ٢٠٠٩).
- انهيار الرأسمالية (جامعة صنعاء ٢٠٠٩).
- دور التصوف في التاريخ الإسلامي (مركز دال للدراسات – صنعاء ٢٠٠٨)
- الأزمة المالية العالمية، رؤية كلية (مركز منارات – صنعاء ٢٠٠٩).
- الإمام الغزالي ودوره في نهضة الأمة. (جامعة صنعاء٢٠٠٩).
- الحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا. (جامعة صنعاء٢٠١٠).
- قضية وحدة الوجود في الفكر الإسلامي. (الجمعية الفلسفية اليمنية ٢٠١١).
- التنمية البشرية والسنة النبوية. (جامعة صنعاء ٢١/١/٢٠١٣م).

- مناهج التفسير النفسي للتاريخ. سمنار علمي في قسم التاريخ-جامعة صنعاء. (٣٠/٤/٢٠١٣م).
- الحب في الفكر الإسلامي، مولانا جلال الدين الرومي أنموذجا. (جامعة صنعاء٢٢/١٢/٢٠١٥).
- روجيه جارودي، الفكر والإنسان. (جامعة صنعاء ٣/٥/٢٠١٦م).
- الناجحون. (جامعة صنعاء ١٨/١١/٢٠١٨م).
- الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي في العصور الوسطى، قراءة مقارنة، سيمنار علمي، قسم التاريخ، جامعة صنعاء٢٠١٩م.
- نقد للقراءات الحداثية للتراث والتاريخ الإسلامي، الجابري أنموذجا، سيمنار علمي، قسم التاريخ، جامعة صنعاء ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٠م.
- النظرية النسبية لإينشتاين والمنهج التاريخي، سيمنار علمي، قسم التاريخ والعلاقات الدولية، جامعة صنعاء ٢٤ نوفمبر ٢٠٢١م.
- حيوية تاريخ الفكر الإسلامي، سيمنار علمي، قسم التاريخ والعلاقات الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، ٢٧/٢/٢٠٢٢م.
- المنهج الروحي للمعرفة، سيمنار علمي، قسم التاريخ والعلاقات الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، ١١ /١٠/ ٢٠٢٢م.

أشرف وشارك في تنفيذ الدراسات الاقتصادية والبيئية التالية:

- دراسة مستوى الوعي البيئي في اليمن.
- الدراسة الاقتصادية الاجتماعية التمهيدية لدراسات تغيرات المناخ في اليمن.

- دراسة أثر تغيرات المناخ في القطاع الزراعي.
- دراسة أثر تغيرات المناخ في قطاع الطاقة.
- سيناريو تغيرات المناخ في اليمن.
- دراسة أولية لمشروع تمويل الصناعات النسيجية الصغيرة.
- دراسة سوق المياه المعدنية في اليمن.
- دراسة سوق غاز الفريون بصنعاء.
- دراسة سوق الأجبان في اليمن.
- دراسة تسويقية للتحويلات الهاتفية لأسواق: (السعودية–الإمارات–البحرين–الكويت–باكستان–تونس).
- دراسة جدوى اقتصادية لمشروع مدينة سكنية – عدن.
- دراسة جدوى اقتصادية لمشروع شاليهات – عدن.
- دراسة هندسية لمشروع مدينة سكنية – عدن.
- دراسة هندسية لمشروع شاليهات – عدن.
- تصور إعادة بناء وتأهيل مدينة عدن بعد الحرب (المؤتمر الشعبي العام).
- دراسة إدارة مجلة التجارة والاقتصاد – وزارة التجارة والتموين – ١٩٨٩م.
- تصور متكامل لمشروع المؤتمر اليمني الأول للتجارة والاقتصاد ١٩٩١م.

الندوات التي شارك فيها أو في إدارتها:

- ندوة الاجتهاد في الفكر الإسلامي فرع دار المصطفى بصنعاء (٢٠٠٣م)
- ندوة يوم الأرض الفلسطيني، بيت الثقافة صنعاء (٢٠٠٣م).
- ندوة إحياء التراث الإسلامي ـــ جامعة صنعاء (٢٠٠٤).

- ندوة المادية المعاصرة ورقي الإسلام الروحي_ جامعة صنعاء ٢٠٠٦م.
- ندوة قصة إسلامي _ جامعة صنعاء ٢٠٠٥م.
- ندوة دور علم التزكية في العملية التعليمية. اتحاد الأدباء والكتاب ٢٠٠٦م.
- ندوة الخطاب الديني في الإعلام اليمني والعربي، اتحاد الأدباء ٢٠٠٦م.
- تريم عاصمة الثقافة الإسلامية. جامعة صنعاء٢٠١٠.
- دور المنظمات غير الحكومية في العمل التكافلي. جمعية الإصلاح الخيرية، جامعة صنعاء،٢٠١٢م.
- التنصير في العالم الإسلامي. جامعة صنعاء ٣٠/١/٢٠١٣م.
- التغريب. جامعة صنعاء٣/١٢/٢٠١٤م.
- الغزو الفكري في تاريخ المسلمين، عرض نموذج تاريخي، جامعة صنعاء ٢٠١٧م.
- التصوف والصوفية بين الماضي والحاضر، نادي عبق الثقافي، صنعاء ٢١/١١/٢٠١٩م.
- أعلام المسلمين: حجة الإسلام الغزالي، مركز المرصد النبوي، صنعاء ٢٥/١١/٢٠٢٢م

فلسفته وفكره:

نظرية النبض الكلي: يقول الدكتور محمد بوجود طاقة كونية مظهرها قانون كلي عام هو قانون حركة النبض الكلي الحاكم للكون والتاريخ والإنسان. حركة نبض كلي لا يفلت منها شيء كبير أو صغير في هذا الوجود يأخذ شكل الدوران للإلكترون ويأخذ شكل ولادة النجوم وموتها، ويأخذ شكل قيام

الحضارات وسقوطها. وهو نبض منتظم يترتب عنه حركة منتظمة ابتداء من انتظام سرعة الضوء وهو الأعجوبة الكبرى في هذا الكون، وانتهاء بانتظام سرعة دوران الأرض حول الشمس، في تناغم وانسجام مدهش. وهذا ليس تفسيرا آليا للكون والتاريخ. لكنه كون يتسم بالحياة والنبض وكل ما فيه يتسم بهذه الخاصية. نبض لكل مستويات الوجود، الوجود الذي هو عبارة عن مستويات متدرجة من الطاقة، بما فيها المادة التي هي شكل من أشكال الطاقة المحكومة بهذا النبض. وعلى ذلك فقيام الحضارات الإنسانية ما هو إلا تكتل لشكل من أشكال الطاقة، وانهيارها ما هو إلا تبدد هذه الطاقة لكن بحسب قانون النبض الكلي العام الحاكم للإنسان والكون والتاريخ. والدولة هي تموضع للطاقة في هذه الحضارة. فالدولة هي اظهر شكل للطاقة الإنسانية في التاريخ. وبما أن ليس كل الدول في التاريخ هي دول خير وحضارة راقية وجمال، فهناك دول شر وتدمير وخراب وأنانية وسفك دماء. كذلك الطاقة ليس كلها طاقة ايجابية، بل هناك طاقة سلبية مدمرة. وإذا كانت حركة التاريخ في كثير من نواحيها هي حركة الصراع بين الخير والشر وبين الإيمان والكفر، فعلى ذلك فإن حركة التاريخ هي حركة الصراع بين الطاقة الايجابية البناءة والطاقة السلبية المدمرة. وهذا هو التوازن بين المتضادات الذي يقوم عليه هذا الكون الأعجوبة الرائعة للخالق البديع. فحركة النبض هي الحاكمة لحركة الجدل نفسها في صراع المتناقضات ونسيج الأضداد أي أن توازن الطاقة هو المبدأ الذي يقوم عليه نسيج الأضداد.[1]

---

(١) الصافي: دراسات في المنهج والفكر،٧٤ وما بعدها.

كيف تولد الحضارات والدول: بحسب نظرية النبض الكلي والطاقة الكونية للتاريخ فإن ولادة الحضارات والدول تكون بولادة روح جديدة وطاقة جديدة وهو ما يتمثل في التقاء أربعة عوامل أساسية. أولا: في الانفجار السكاني. فقيام الحضارات والدول كان روحه ومظهره والملازم له هو الانفجار السكاني. ولم نشاهد ولادة حضارة أو دولة وهي تعاني من نقص عدد السكان. وأسباب الانفجار السكاني ثلاثة: توفر الغذاء يؤدي إلى انفجارا سكانيا كما رأينا سابقا. وعاملا آخر يساهم في حدوث الانفجار السكاني هو الإحساس بالتحدي الذي تشعر به جماعة ما أو شعب ما، فتكون ردة الفعل في التكاثر. وفي هذه الجزئية تتوافق هذه النظرية مع نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي. والسبب الثالث هو الدورة الطبيعية للتكاثر السكاني بين العلو والانخفاض، والتي تخضع لها تقريبا كل الكائنات ضمن حركة النبض الكلي.

والعامل الثاني في قيام الحضارة هو وجود وتوفر طاقة القوة الاقتصادية والمالية، فكثير من الحضارات والدول قامت بسبب وجودها على طرق التجارة الدولية مما وفر لها قوة طاقة المال والاقتصاد. وهذا العامل يرتبط بعامل الانفجار السكاني، حيث يكون وفرة المال وقوة الاقتصاد عاملا في توفير الغذاء.

اما العامل الثالث: فهو قيام قوة عسكرية ذات امكانات قوية، تستطيع فرض وجود الحضارة وحمايتها من الاخطار الخارجية والداخلية. وهي التي عبر عنها ابن خلدون بقوة العصبية.

وكل هذا تمثله الآيات الكريمة:" وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)". الاسراء. وقوله تعالى:" أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤)". الشعراء.

والعامل الرابع ظهور زعامة وقيادة قوية تستطيع توحيد الجماعة وتقودها لتأسيس الدولة والحضارة.

فإذا كانت هذه عوامل وأسباب ولادة الحضارات والدول فإن موت الحضارة والدولة بفقدان هذه العوامل الأربعة، أو واحد منها، مثل فقدان الأهمية الاقتصادية والقوة المالية للدولة، أو تناقص عدد السكان بشكل كبير، أو ضعف ووهن القوة العسكرية مما يؤدي إلى تعرضها للغزو والتدمير. أو سقوطها في صراعات داخلية مدمرة يعرضها للتمزق نتيجة فقدان القيادة الموحدة للجماعة.

الحضارة= انفجار سكاني+ قوة المال والاقتصاد+ قوة عسكرية+ شخصية قيادية.

الحضارة (طاقة كبيرة) = انفجار سكاني (رافد من الطاقة) + قوة المال والاقتصاد (رافد من الطاقة) + قوة عسكرية (رافد من الطاقة) + شخصية قيادية (رافد من الطاقة).

تأخذ هذه النظرية في اعتبارها التفسيرات الفيزيائية الحديثة للكون وللعالم وللوجود، فالتفسير الفيزيائي للكون والتاريخ أن الكون عبارة عن منظومة كهربائية (منظومة من الطاقة) تتحرك وتسير عبر التضاد المتوازن، فالتدافع والتضاد المسيطر عليه من قوة أعلى طبيعة أساسية في الكون وفي التاريخ. إن هذا الكون بكل ما فيه ليس سوى موسيقى بديعة للخالق العظيم. وإن التنوع

والاختلاف هو جزء أساسي من هذه الموسيقى والمعزوفة الكونية الرائعة. وما بين التفرد والتجانس وبين الوحدة والتنوع واختلاف الترددات والاهتزازات تنطلق العلاقة المعقدة بين الكون والتاريخ. وبين الوجود الحي أو الطاقة الفاعلة وبين الإنسان الحر المسئول، في علاقة تفاعلية متبادلة نتج عنها تراث التاريخ الإنساني الهائل بكل ما فيه من جوانب ايجابية أو سلبية.

ولابد من الإشارة إلى أن هذه النظرية ليست تفسير مادي للتاريخ بل كشف عن طبيعة حركة التاريخ ذو النبض الكلي الذي لا يصدر إلا من حي قيوم يهب الحياة والقيومية لكل ما في الوجود في كل حين وثانية. ضمن قانون انسجام وتوازن كلي بديع للكون كله.

حيوية الحضارة الإسلامية: ينتقد الدكتور محمد قراءة محمد عابد الجابري وأمثاله للتاريخ والحضارة الإسلامية ويرفض المنهج البنيوي في دراسة الحضارة والفكر الإسلامي الذي اتبعه محمد عابد الجابري ومحمد أركون، حيث استخدم هذا المنهج لهدم التراث العربي وتشويهه والحط من شأنه. وقدم صورة مغلوطة لحقيقة وروح التاريخ والتراث العربي والإسلامي، وذلك بهدف إحلال الفكر الأوروبي الوضعي بدلا عن الفكر الإسلامي المرتبط بالرسالة السماوية.

يقول الدكتور محمد: قامت الحضارة الإسلامية العظيمة والتي لم تر البشرية مثيل لها ثمرة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم سواء بالكتاب أو السنة. وحكمت سنة التدافع والتضاد التاريخ السياسي والحضاري للمسلمين، حيث تداولت المذاهب الإسلامية في الحكم والدول. والحقيقة أن اختلاف البشر من سنن الحياة والكون والطبيعة، وعظمة الإسلام هو في قبوله للسنن الإلهية واحتوائه لها.

سواء هذا في الحياة السياسية أو في غيرها من الميادين. كانت الأوضاع التاريخية المتتابعة عاملاً مهماً في ظهور العلوم الإسلامية المختلفة، فكانت الفتنة والاختلاف والتغيرات دافعا للحفاظ على أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتمييز الصحيح من الموضوع، وكانت حاجة المجتمع المسلم المتغيرة دافعاً لظهور علم الفقه والمذاهب الفقهية في ظل الاختلاف حول النصوص ظنية الدلالة أو النصوص ظنية الثبوت. وكان طغيان المادية وحب الدنيا واختفاء مظاهر السنة دافعاً لظهور علم التصوف وطرق التربية الروحية، كما كان تحدي الفكر المسيحي والفكر الهندي واختلاف المسلمين في قضايا الإمامة والقضاء والقدر والصفات دافعاً لظهور علم الكلام ومدارسه الفكرية المختلفة.

هكذا إذن كانت حيوية الفكر الإسلامي تحكمه حركة التضاد والتدافع، فرفضاً للفتنة ونتائجها ظهر الخوارج الذين كفروا الإمام علي ومعاوية معاً، وقالوا بكفر مرتكب الكبيرة، ورفضاً للخوارج ظهر المرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ورفضاً للمرجئة ظهر المعتزلة الذين قالوا مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، ورفضا للمعتزلة ظهر الحنابلة ورفضاً للحنابلة ظهر الأشاعرة ورفضا للأشاعرة ظهر فكر ابن تيمية الذي لم يشهد من وجود تاريخي سوى في العصر الحديث، مما سبب في بروز الفكر الاثنا عشري لكن المتجدد في نظرية ولاية الفقيه للإمام الخميني بعد سقوط خلافة أهل السنة. واستمرت جميع هذه المدارس في الوجود وحركة التدافع الذي ساعدتها على التنافس والمجاهدة ضد الخصوم وإبراز أفضل ما لديها، بل إن هذه الفرق تطورت نتيجة التضاد والتنافس فيما بينها، وفي الفقه ردا على مدرسة الرأي لأبي حنيفة

ظهرت مدرسة النص لمالك، ثم مدرسة التوفيق بينهما للشافعي، وفي الدعوة والسلوك رفضا للخروج على السنة والترف ظهر التصوف بمدارسه المختلفة. وفي السياسة رفضا لدولة بني أمية المناصبة العداء لآل البيت ظهر التشيع بمذاهبه المختلفة. كذلك بظهور الرازي بما يمثله من عقلانية وعلم الكلام ظهر مولانا جلال الدين الرومي بما يمثله من روحانية وعشق إلهي رفضاً للعقلانية الجامدة، وبظهور ابن عربي بما يمثله من فكر مثالي مغرق في المثالية ظهر ابن تيمية بما يمثله من فكر تجسيمي نسب إليه وتبرأ هو منه واسماه إثبات الصفات.

طبيعة حركة التاريخ الإسلامي هذه تدافعية وليس على منهج هيجل في الجدل، إذ لا نفي فيها، بل جميع المدارس والفرق لا زالت حتى اليوم تتواجد ولو بأحجام مختلفة استمراراً لطبيعة التنوع والتعدد في الخلق البشري. ويتميز هذا التاريخ الإيماني باستمرار ظهور المجددين فيه.

وبحسب الدكتور الصافي تعاني الأمة اليوم تزييف الوعي في كل العلوم الإسلامية تقريبا. فعلم القران مستهدف بالتفسير المنحرف له المضاد للنص الصريح وللسنة، والحديث مستهدف بالدعوة بالاكتفاء بالقران الكريم والطعن والحط والتشكيك في الحديث النبوي وهو شارح ومطبق ومفسر للقران الكريم والمصدر الثاني للتشريع، كذلك مستهدف من خلال الأخذ منه بغير فقه فيحرف المعنى إلى غير المقصود منه. وعلم الفقه مستهدف من خلال الدعوة إلى إلغاء المذاهب الإسلامية بحجة أنها فرقت بين المسلمين بينما هي مناهج استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، والمشكلة في التعصب لها وليس فيها، وعلم التصوف استهدف بحجة انه شركيات ودروشة وتكاسل وخمول بينما هو

علم التزكية والتربية والسلوك وكل ما يخالف الشريعة ليس من التصوف والأمة اليوم بأمس الحاجة للنهضة الروحية. واستهدف علم الكلام بحجة انه سفسطة وجدل لا طائل منه في قضايا لا تهم المسلم بينما هو علم الدفاع عن الإسلام والإيمان والنبوة من خلال الأدلة العقلية وعلم المنطق وهو مهم في مواجهة الغزو الفكري ومواجهة عقول كبيرة تدعو للإلحاد. واستهدفت اللغة العربية بحجة أنها لا تواكب العصر فالانجليزية هي لغة العصر ولغة العلم والمال والأعمال، بينما اللغة العربية هي وعاء الفكر ومنهجه وأثاره ولغة الحضارة الإسلامية وعلومها ولغة القران الكريم، بينما اللغة الانجليزية مجرد علم آلة ليس مقصود لذاته.

رأيه في التفسير الإسلامي للتاريخ: يشير الصافي إلى أن المنهج الإسلامي للتاريخ منهج كوني شامل لدراسة التاريخ تفتقد إليه كل المناهج المعاصرة، حيث يبدأ من خلق السماوات والأرض ويتضمن ربط حركة التاريخ الإنساني والفعل الإنساني بالبعد الطبيعي والبعد الغيبي، فأحداث الطبيعة ليست مجرد مصادفات خبط عشواء لا علاقة لها بسلوك وفعل الإنسان. كما أن المناهج الأخرى لا تدرس أو تؤمن بأي تدخل لقوى الغيب في الأحداث التاريخية. هذا المنهج عند تحليله ودراسته للحدث التاريخي، يأخذ بكافة العوامل الصانعة لهذا الحدث ومنها العامل الغيبي أو تدخل قوى الغيب للمساهمة في صنع الحدث التاريخي،

كما يعلمنا الإخبار القرآني والنبوي للتاريخ بأهمية العامل الفيزيائي والطبيعي. فالبيئة الفيزيائية والطبيعية المحيطة بالإنسان تتأثر وتتفاعل مع فعل الإنسان، إن كان خيراً بخير أو شراً بشر. فالكفر والإفساد يؤدي إلى غضب الطبيعة بأمر ربها. والإيمان والإصلاح يؤدي إلى عطاء الطبيعة وخدمتها للمؤمن

كما في حديث السحابة التي تسقي زرع المؤمن المتصدق [1]. وقوله عز وجل: " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض". (الأعراف ٩٦).[2]

على أن الرؤية الإسلامية توضح أن التاريخ الإنساني تاريخان: تاريخ أبوي وتاريخ انوي، فالتاريخ الأبوي هو تاريخ أبونا ادم وأبونا إبراهيم عليهم السلام أي تاريخ الأنبياء والرسل والصالحين المجددين وقصة الصراع بين الإيمان والكفر والخير والشر. وتاريخ انوي ينطلق من قول الإنسان كما قال الشيطان أنا خير منه[3]. وهو تاريخ الصراع على الدنيا والسلطة والمال والنفوذ، وكل تاريخ الحروب والصراع العبثي مثل حروب نابليون أو الحرب العالمية، فهو تاريخ ولكن تاريخ انوي ونحن ندرسه لأخذ الفائدة.

انهيار الرأسمالية: في كتابه انهيار الرأسمالية، الفوضى القادمة، قدم الدكتور الصافي رؤيته في مستقبل الحضارة الغربية الرأسمالية من الناحية التاريخية والاقتصادية. مبينا أن خلل الدورة المالية في المجتمع هو العامل الأساس في سقوط النظام البنكي المالي وبالتالي في سقوط الحضارة الغربية برمتها. إضافة إلى انتهاء عمرها التاريخي والحضاري[4].

---

(١) صحيح مسلم، رقم٧٦٦٤؛ صحيح ابن حبان، رقم ٣٣٥٥.

(٢) الصافي: دراسات في المنهج والفكر،٢٦٧ وما بعدها.

[3]) المشهور، ابوبكر بن علي: إحياء لغة الإسلام العالمية، أربطة التربية الإسلامية، عدن، ٢٠٠م، ص٦.

(٤) الصافي، محمد حسين: انهيار الرأسمالية، الفوضى القادمة، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٤م.

مدونة الدكتور محمد حسين الصافي.

/https://mohammedalsafy.blogspot.com

صفحة الدكتور محمد حسين الصافي - Posts | Facebook

https://www.facebook.com/D.MOHAMED ALSAFI/posts

مصفوفة التحولات الكبرى في التاريخ الإسلامي

م	التحولات	الحديث النبوي الذي أخبر عن التحول	رجال التربية النبوية والفكر الإسلامي
	الردة	بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل	أبو بكر الصديق والصحابة
	الفتنة وأدعياء الإسلام الخارجون عنه والذين يكفرون المسلمين	لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وعَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلاَفٌ وَفُرْقَةٌ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ لاَ يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا سِيمَاهُمْ قَالَ: «التَّحْلِيقُ» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث رجل قرأ كتاب الله حتى إذا رأيت عليه بهجة وكان عليه رداء الاسلام أعاره الله اياه اخترط سيفه	علي – عمار بن ياسر– الحسن.

م	التحولات	الحديث النبوي الذي أخبر عن التحول	رجال التربية النبوية والفكر الإسلامي
		وضرب به جاره ورماه بالشرك قيل يا رسول الله الرامي أحق بها ام المرمي؟ قال: الرامي ورجل أتاه الله سلطانا فقال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله وكذب ليس لخليفة ان يكون جنة دون الخالق ورجل استخفته الأحاديث كلما قطع أحدوثة حدث بأطول منها ان يدرك الدجال يتبعه".	
	نقض الحكم من راشدي إلى ملك عضوض	لتنتقض عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبثت بالتي تليها وأول نقضها الحكم وآخرها الصلاة	الحسين – زيد بن علي...
	المادية الطاغية وعبادة الشهوات والبطون (مرض حب الدنيا)	إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا قَالَ فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	الحسن البصري– عمر بن عبد العزيز– جعفر الصادق – موسى الكاظم– الغزالي–عبد القادر الجيلاني ومدارس التربية الروحية (الطرق الصوفية)
	حركات الزندقة والفلسفة الإلحادية والباطنية المخربة للإسلام.	إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان	المعتزلة – الاشاعرة –الغزالي–فخر الرازي...

م	التحولات	الحديث النبوي الذي أخبر عن التحول	رجال التربية النبوية والفكر الإسلامي
	التمزق السياسي وفقد وحدة الدولة.	إنها ستكون بعدي هنات وهنات ورفع يديه فمن رأيتموه يريد تفريق أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم جميع فاقتلوه كائنا من كان من الناس	صلاح الدين الايوبي- سليمان القانوني - محمد الفاتح.. الخ
	الغزو الصليبي وغزو التتار والاستعمار الحديث. وسقوط الخلافة الإسلامية.	يوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ	صلاح الدين-قطز-عزالدين القسام-عمر المختار-الامير عبد القادر الجزائري- محمد عبد الكريم الخطابي-هداية الله- الشيخ شامل-مهدي السودان-
	تيارات فكرية معاصرة: الماركسية، الليبرالية، الوجودية، العلمانية...	إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان	
	العولمة المعاصرة (الهيمنة الاقتصادية	لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود	

م	التحولات	الحديث النبوي الذي أخبر عن التحول	رجال التربية النبوية والفكر الإسلامي
	والثقافية والحضارية للغرب على العالم)	والنصارى؟ قال فمن؟ [سنن: السنن هو الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر]	
	مرحلة ما قبل قيام الساعة	أحاديث اشراط الساعة	المهدي- عيسى عليه السلام

مصفوفة الحركات والجماعات الإسلامية الكبرى المعاصرة في العالم الإسلامي ومدارسها الفكرية

	الحركة أو الجماعة الإسلامية	البلد	المدرسة الفكرية
١	جماعة الدعوة والتبليغ محمد إلياس	الهند -باكستان وبقية أنحاء العالم	تصوف سني، تربية وسلوك
٢	جماعة النور بديع الزمان النورسي	تركيا- وبقية أنحاء العالم	تصوف سني، تربية وسلوك
٣	التيجانية والشاذلية	المغرب ومصر وبقية أنحاء العالم	تصوف سني، تربية وسلوك
٤	الإخوان المسلمون حسن البنا	مصر وبقية العالم	المؤسس حسن البنا كان صوفيا على الطريقة الشاذلية الحصافية. لكن غلب عليها الجانب السياسي.
٥	السلفية محمد بن عبد الوهاب	السعودية وبقية العالم	مدرسة ابن تيمية، ضد التصوف، وتكفر ما عداها من الفرق.
٦	مدرسة حضرموت التاريخية.	اليمن والهند وشرق آسيا وأفريقيا، وبقية دول العالم	تصوف سني، تربية وسلوك.
	المدرسة الزيدية	اليمن	مدرسة الامام زيد بن علي
٧	جماعة ولاية الفقيه، من الشيعة الأمامية. الخميني	إيران، لبنان.. الخ	تصوف شيعي (عرفان).

مصفوفة حركات الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الحديث ومدارسها الفكرية

البلد	المجاهد	المدرسة الفكرية
اندونيسيا	هداية الله وأولاده	تصوف
الهند	احمد عرفان الشهيد وأتباع ولي الله دهلوي	تصوف
روسيا والقوقاز	الإمام شامل	تصوف
فلسطين	عز الدين القسام	تصوف
مصر	عمر مكرم	تصوف
ليبيا	عمر المختار	تصوف
الجزائر	الأمير عبد القادر الجزائري	تصوف
المغرب	محمد عبد الكريم الخطابي	تصوف
موريتانيا	الشيخ ماء العينين	تصوف
السنغال	عمر التكروري واحمد حبيب الله	تصوف
نيجيريا	عثمان بن فودي	تصوف
السودان	الشيخ محمد المهدي	تصوف
مالي	حمى الله الشريف	تصوف
عدن	النقشبندي	تصوف

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١. الاشعري، ابو الحسن علي (ت٣٢٤هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق/ هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، فيسبادن المانيا، ١٩٨٠.

٢. الأصفهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ): الأربعون على مذهب المحققين من الصوفية، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٤هـ.

٣. الأصفهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ): الأغاني، تحقيق/ سمير جابر، دار الفكر، بيروت (د.ت).

٤. الأصفهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.

٥. الاهدل، بدر الدين أبو عبد الله الحسين (ت٨٥٥هـ): تحفة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق / عبد الله محمد الحبشي، (د. ن) بيروت ١٩٨٦م.

٦. الاهدل، بدر الدين أبو عبد الله الحسين (ت٨٥٥هـ): كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين وبيان حال ابن عربي واتباعه المارقين، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس ١٩٦٤م.

٧. بالفقيه، عبد الله حسن: لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي، تحقيق / محمد يسلم عبد النور، مركز النور للدراسات والابحاث، صنعاء ٢٠٠٥م.

٨. بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م): تاريخ ثغر عدن، (د.ن د. م د.ت).

٩. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ): الأدب المفرد، تحقيق محمد ناصر الالباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ): الجامع المسند الصحيح، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ،

١١. البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ): طبقات صلحاء اليمن، تحقيق/ عبد الله الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء١٩٩٤م.

١٢. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد (ت٧٧٩هـ): تحفة النظار في غرائب الامصار المعروف بالرحلة، دار التراث، بيروت ١٩٦٨م.

١٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ): بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، مجمع الملك فهد، (د.ت)،

١٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ): مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن النجدي الحنبلي، (د.ن) بيروت (د.ت).

١٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ): منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق/ محمد رشاد، جامعة محمد بن سعود، الرياض (د.ت).

١٦. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن(ت٥٩٧هـ): دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق/ حسن السقاف، دار الامام النووي، عمان، ١٩٩٢.

١٧. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ): صفة الصفوة، دار الحديث، القاهرة (د.ت).

١٨. الحاكم، أبو عبد الله محمد النيسابوري (ت٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

١٩. الحصيني، أبو بكر الدمشقي (ت٨٢٩هـ): دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك الى السيد الجليل الامام احمد، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة.

٢٠. الحلاج، الحسين بن منصور (ت٣٠٩هـ): حقائق التفسير أو خلق خلائق القرآن والاعتبار، تحقيق/ محمود الهندي، مكتبة مدبولي، القاهرة٢٠٠٦.

٢١. ابن حنبل، عبد الله بن أحمد (ت٢٩٠هـ): السنة، ب د، تحقيق/ محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام ١٤٠٦هـ.

٢٢. خرداذبة، أبو القاسم عبد الله (ت٣٣٠هـ): المسالك والممالك، تحقيق/ دي غويه، دار صادر اوفست، ليدن ١٨٨٩م.

٢٣. الخزرجي، علي بن الحسن بن وهاس(ت٨١٢/١٤٠٩م): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (د.ن)، القاهرة١٩١٤م.

٢٤. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر(ت٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

٢٥. الخلال، أحمد بن محمد بن هارون الحنبلي (ت٣١١هـ): السنة، تحقيق/ عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، (د.ت).

٢٦. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ): المقدمة، دار القلم ط٤، القاهرة ١٩٨١.

٢٧. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧١م.

٢٨. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م): العبر في خبر من غبر، تحقيق/ صلاح الدين المنجد، (د.ن)، الكويت١٩٨٤.

٢٩. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م): سير أعلام النبلاء، تحقيق/ بإشراف شعيب الارناؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م. الأنصاري، فاضل: قصة الطوائف، (د.ن)، دمشق٢٠٠٠.

٣٠. ابن رجب، زين الدين عبدالرحمن الحنبلي (ت٧٩٥هـ): جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا، ط٢، تحقيق/ محمد الاحمدي أبو النور، الناشر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤٢٤هـ.

٣١. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن احمد (ت ٥٩٥هـ-١١٩٨م): فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، دراسة وتحقيق/ محمد عمارة، دار المعارف ط٢، القاهرة (د.ت).

٣٢. زروق، احمد بن احمد البرنسي المغربي (ت٨٩٩هـ): أصول الطريقة الشاذلية، تحقيق/ محمد عبد القادر نصار، دار الكرز، القاهرة ٢٠٠٨م.

٣٣. زروق، احمد بن احمد البرنسي المغربي (ت٨٩٩هـ): قواعد التصوف، دار البيروتي، دمشق٢٠٠٤م.

٣٤. السبكي، تاج الدين بن علي (ت٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق/ محمد بن محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة ١٤١٣هـ.

٣٥. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ): معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت١٩٨٦م.

٣٦. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (د.ن) بيروت (د.ت).

٣٧. السراج، أبي نصر عبد الله الطوسي: اللمع في تاريخ التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت٢٠١٠م.

٣٨. السفاريني، محمد بن احمد الحنبلي (ت١١٨٨هـ): غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة ط٢، القاهرة ١٩٩٣.غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة ط٢، القاهرة ١٩٩٣.

٣٩. السلمي، أبو عبد الرحمن محمد (ت٤١٢هـ): طبقات الصوفية، (د.ن) بيروت١٩٩٨.

٤٠. السهروردي، أبو حفص عمر بن محمد (ت٦٣٢هـ): عوارض المعارف، مكتبة القاهرة، القاهرة: ٢٠٠٤.

٤١. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ): تاريخ الخلفاء، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ط١، القاهرة ١٩٥٢م.
٤٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ معرفة القاهرة، (د.ن) القاهرة ١٩٠٩م.
٤٣. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ): الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية، (د.ن) القاهرة (د.ت).
٤٤. ابن شاهين الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن خليل الحنفي (ت٩٢٠هـ): نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق / عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت٢٠٠٢.
٤٥. ابن شداد، أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت٦٣٢هـ): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق/ جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة ط٢، ١٩٩٤م.
٤٦. الشرجي، أبي العباس أحمد بن أحمد (ت ٨٩٣هـ): طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦م.
٤٧. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ): الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، بيروت (د.ت).
٤٨. الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ): أدب الطلب، صنعاء ١٩٧٩م.
٤٩. الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت (د.ت).
٥٠. الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ): قطر الولي في حديث الولي، (د.ن) بيروت ٢٠٠١.
٥١. ابن الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠.

٥٢. الطبراني، سليمان بن احمد الشامي (ت٣٦٠هـ)، مسند الشاميين، تحقيق/ حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م.

٥٣. الطبراني، سليمان بن احمد: المعجم الكبير، تحقيق/ حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ١٩٨٣م.

٥٤. الطوسي، أبي نصر عبد الله السراج (ت٣٧٨هـ): اللمع، بيروت٢٠١٠.

٥٥. الطوسي، أبي نصر عبد الله السراج (ت٣٧٨هـ): اللمع، دار الكتب العلمية، بيروت٢٠١٠.

٥٦. العبدلي، احمد فضل (ت١٩٤٣م)، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥١هـ.

٥٧. العجلوني، إسماعيل بن محمد (ت١١٦٢هـ): كشف الخفايا ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار احياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

٥٨. ابن عجيبة، احمد بن محمد (ت١٢٢٤هـ): إيقاظ الهمم شرح الحكم، تحقيق/ محمد عزت، المكتبة التوفيقية القاهرة (د. ت).

٥٩. ابن العربي، أبو بكر (ت٥٤٣هـ): العواصم من القواصم، تحقيق/ محب الدين الخطيب، دار الجيل، بيروت (د.ت).

٦٠. ابن عربي، محيي الدين (ت٦٣٨هـ): المسائل لإيضاح المسائل، تحقيق / قاسم محمد عباس، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٩م.

٦١. العرياني، عثمان الكليسي (ت١١٦٨هـ): خير القلائد شرح جواهر العقائد، تحقيق/ احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

٦٢. ابن عساكر، علي بن حسن (ت٥٧١هـ): تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٦٣. العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي (ت٨٥٢هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق/ محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعرف العثمانية، حيدر آباد ١٩٧٢م.
٦٤. العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي (ت٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.
٦٥. العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي (ت٨٥٢هـ): هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإسكندرية، (د.ن. د.ت).
٦٦. ابن علوان، احمد: التوحيد الأعظم، تحقيق/ عبد العزيز المنصوب، (د.ن) صنعاء٢٠١٣م.
٦٧. ابن العماد، عبد الحي الدمشقي(ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
٦٨. الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت (د.ت)
٦٩. الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ): الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية ط١، بيروت٢٠٠٤م.
٧٠. الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ): إلجام العوام عن علم الكلام، تحقيق/ مشهد العلاف، (د.ن) بيروت ٢٠١٦م.
٧١. الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ): المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق/ جميل صليبيا وكامل عياد، بيروت ١٩٨٨م
٧٢. الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ): تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٣٩.
٧٣. الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ): كتاب الأربعين في أصول الدين، قرأه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمود بيجو، (د.ن د. م د.ت).

٧٤. الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ): منهاج العارفين، القاهرة (د.ن. د.ت).

٧٥. الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ): ميزان العمل، (د. ن) القاهرة ١٩٦٤م.

٧٦. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت١٠٦١هـ): الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، تحقيق/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.

٧٧. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي (ت٦٢٠هـ): إثبات صفة العلو، تحقيق/ بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٦هـ.

٧٨. القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية، مؤسسة الكتب الثقافية ط١، بيروت، (د.ت).

٧٩. القلقشندي، احمد بن علي الفزاري (٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

٨٠. القنوجي، صديق بن حسن (ت١٣٠٧هـ): أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق / عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.

٨١. ابن قيم الجوزية، محمد بن ابي بكر (ت٧٥١هـ): بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

٨٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت٧٥١هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣.

٨٣. ابن ماجة، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة (ت٢٧٣هـ)، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب، القاهرة، (د.ت).

٨٤. المالكي، عبد الحافظ بن علي الحلواني (ت١٣٠٣هـ): هداية الراغبين في السير والسلوك الى ملك الملوك، مكتبة القاهرة، القاهرة، (د. ت).

٨٥. الماوردي، أبو الحسن علي (ت٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة (د.ت).
٨٦. ابن المجاور، جمال الدين ابي الفتح يوسف الشيباني (ت٦٩٠هـ): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المعروف بتاريخ المستبصر، تصحيح اوسكر لوففرين، بيروت ١٩٨٦م.
٨٧. مجهول: حوليات يمانية، اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي، تحقيق/ عبد الله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، صنعاء١٩٩١م.
٨٨. المحبي، محمد الحموي (ت١١١١هـ): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت (د.ت).
٨٩. المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، (د.ن د. م د.ت).
٩٠. المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤف (ت١٠٣١هـ): الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت٢٠٠٨.
٩١. المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤف (ت١٠٣١هـ): مناقب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، تحقيق/محمد إبراهيم الحسني، (د.ن)، دمشق٢٠٠٩.
٩٢. ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت
٩٣. المهدي، الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، (ت٨٤٠هـ): تكملة الأحكام والتصفية من بواطن الآثام، تحقيق/ عبد الله بن حمود العزي، مؤسسة الامام زيد بن علي، صنعاء٢٠٠٧.
٩٤. الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري(ت٣٩٦هـ): ذم الكلام وأهله، تحقيق/ عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٩٩٨م.

٩٥. ابن الوردي، ابو حفص عمر بن مظفر: تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي، (ت٧٤٩هـ)، بيروت (د.ن د. ت).

٩٦. ابن الوزير، محمد بن إبراهيم (ت٨٤٠هـ): الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق/ علي محمد العمران، دار عالم الفوائد، (د.ت).

٩٧. ابو يعلى، محمد الفراء (ت٥٦٠هـ): طبقات الحنابلة، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت (د.ت).

المراجع العربية والمعربة والمقالات:

٩٨. إبراهيم، مجدي محمد: ابو العباس مرسي، مذهبه وآراءه الصوفية، دار الكتب العلمية، القاهرة ٢٠١٤م.

٩٩. اتور، آندريه: التصوف الإسلامي، ترجمة، عدنان عباس علي، منشورات الجمل، كولونيا ٢٠٠٣.

١٠٠. الاغبري، جهاد ناشر: الفلسفة، صنعاء ٢٠٠٧م.

١٠١. أمين، احمد: ظهر الإسلام، بيروت (د.ن. د.ت).

١٠٢. اوقويوجو، جيهان: مولانا جلال الدين الرومي، ترجمة اورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٩م.

١٠٣. بدوي، عبد الرحمن: اشبنجلر، دار القلم، بيروت ١٩٨٢.

١٠٤. بدوي، عبد الرحمن: تاريخ التصوف الإسلامي، وكالة المطبوعات، القاهرة، ١٩٩٣م.

١٠٥. بدوي، عبد الرحمن: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠م، ص١١،١٠.

١٠٦. بدوي، عبد الرحمن: شوبنهاور، دار القلم، بيروت ٢٠٢١م.

١٠٧. بدوي، عبد الرحمن: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت١٩٩٧م.

١٠٨. بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤م.

١٠٩. بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت١٩٩٣م.

١١٠. بلاثيوس، أسين: ابن عربي، حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة١٩٦٥.

١١١. بليق، عزالدين: منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، (د.ن)، بيروت١٩٧٨.

١١٢. بناوي، جعفر: التعايش في المجتمع الإسلامي، دراسة في العلاقات الإنسانية في المجتمع الواحد، دار الخليج العربي، (د.م)، ١٩٩٩م.

١١٣. بوبر، كارل: أسطورة الإطار، تحرير: مارك ر. بوبر، ترجمة: يمنى طريف الخولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت٢٠٠٣.

١١٤. البوطي، محمد سعيد رمضان: اللامذهبية أخطر بدعة، دمشق، (د.ن د. م د.ت).

١١٥. البوطي، محمد سعيد رمضان: نقض أوهام المادية الجدلية، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م.

١١٦. التادافي، محمد بن يحيي: قلائد الجواهر، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة٢٠٠٤.

١١٧. التصوف ورسائل النور للنورسي، مجموعة أبحاث، دار سوزلر، القاهرة ٢٠٠٠٦م.

١١٨. جالودي، عليان عبد الفتاح (تحرير): التحولات الفكرية في العالم الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان الأردن٢٠١٤م.

١١٩. جمعة، علي: التعايش مع الآخر في ضوء السيرة النبوية، الأسس والمقاصد، (د.ن د. م)،٢٠١٨.

١٢٠. الجندي، أنور: الدعوة الإسلامية في عصر الصحوة، دار الفضيلة، القاهرة ١٩٩٦م.

١٢١. الجندي، عبد الحليم: الإمام جعفر الصادق، (د.ن)، قم١٩٩٥م.

١٢٢. جوايتن، س. د: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق/ عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٠.

١٢٣. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت١٩٨٧.

١٢٤. الحامد، صالح: تاريخ حضرموت، مكتبة الرشاد، صنعاء، ٢٠٠٣م.

١٢٥. الحبشي، عبد الله محمد: الصوفية والفقهاء في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٧٦م.

١٢٦. الحداء، أمين بن صالح هران: الأحاديث التي صححت في فضل الآل، (د.ن)، صنعاء ٢٠١١.

١٢٧. الحداء، أمين بن صالح هران: فقه الآل بين دعوى الإهمال وتهمة الانتحال، (د.ن) صنعاء، ٢٠١٠م.

١٢٨. حسن السقاف: تهنئة الصديق المحبوب ونيل السرور المطلوب، دار الامام النووي، عمان الأردن ١٩٩٣م.

١٢٩. الحسن، عز الدين: العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة، ب د.

١٣٠. الحسني، سارة بنت محمد بن صالح: دراسات في قضايا معاصرة، دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١٧م.

١٣١. الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي ط٣، القاهرة ٢٠٠٠م.

١٣٢. حنفي، حسن: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، دار التنوير، بيروت ١٩٨١م.
١٣٣. حلاق، وائل: تاريخ النظريات الفقهية في الإسلام، ترجمة أحمد موصللي، الناشر: دار المدار الإسلامي، بيروت ٢٠٠٧م.
١٣٤. حوى، سعيد: تربيتنا الروحية، (د.ن)، القاهرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
١٣٥. الحيدري، كمال: العرفان الشيعي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢٩هـ.
١٣٦. خلاف، عبد الوهاب: علم أصول الفقه، بيروت، (د.ن د. ت).
١٣٧. خليفة، عبد الرحمن (ت١٣٦٤هـ): المشبهة والمجسمة، دار الرازي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٩.
١٣٨. أبو خليل، شوقي: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، دار الفكر بيروت ١٩٩٨م.
١٣٩. أبو خليل، شوقي: الاسلام وحركات التحرر العربية، دار الفكر، دمشق (د.ت).
١٤٠. درنيقة، محمد احمد: الطريقة النقشبندية وأعلامها، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ٢٠٠٩.
١٤١. درويش، هدى، دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠٤.
١٤٢. الدسوقي، عبد المنعم إبراهيم: أثر الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية كنموذج لحوار الحضارات، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة ٢٠٠٣م.
١٤٣. أبو دية، أيوب: علماء النهضة الأوروبية، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت ٢٠١١م.

١٤٤. ديورانت، ويل: أبطال من تاريخ العالم، ترجمة سامي الكعكي وسمير كرم، بيروت ٢٠٠١.
١٤٥. ديورانت، ويل: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود واخرين، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨م.
١٤٦. راتب الحوراني: هيغل والفارابي، دار الفارابي، بيروت ٢٠١٢م.
١٤٧. راشد، رشدي وآخرون: موسوعة تاريخ العلوم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧م.
١٤٨. رزق، عاصم محمد: خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمماليكي (٥٦٧ -٩٢٣هـ / ١١٧١- ١٥١٧م)، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٧م.
١٤٩. رينان، ارنست: ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٧م.
١٥٠. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين ط٥، بيروت١٩٨٠م.
١٥١. زقزوق، محمد حمدي: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣.
١٥٢. زهرة، محمد: الإمام زيد، القاهرة، (د.ن، د، ت).
١٥٣. زهرة، محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).
١٥٤. الزوبي، ممدوح، الطرق الصوفية، ظروف النشأة وطبيعة الدور، دار الأهالي، دمشق ٢٠٠٤.
١٥٥. زيدان، عبد الكريم: الوجيز في اصول الفقه، (د.ن)، بيروت٢٠١٤م.
١٥٦. الزيدي، مفيد: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٩م.
١٥٧. زيعور، علي: مذاهب علم النفس، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤م.

١٥٨. زينو، علي محمد: القرآنيون، نشأتهم، عقائدهم، أبرز اعلامهم، ادلة القرآنيين وتفنيدها، دار القبس ٢٠١١.

١٥٩. سالمان، توفيق أحمد عبد الغني: المنهل الحديث في علوم الحديث، مطبعة الفجر الجديد ط١، القاهرة ١٩٩١.

١٦٠. السباعي، مصطفى: الاستشراق والمستشرقون، (د.ن، د. م) ٢٠١٨م.

١٦١. السبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل، مؤسسة الامام الصادق، قم ١٤١٣هـ.

١٦٢. سعفان، إبراهيم: هدم اللغة العربية لماذا، (د.ن، د.م)، ٢٠٠٧م.

١٦٣. السقاف، حسن بن علي: التنديد بمن عدد التوحيد، دار الامام النووي، عمان، (د.ت).

١٦٤. سميط، زين بن إبراهيم: بهجة الطالبين في مهمات أصول الدين، دار العلم والدعوة، تريم ٢٠٠٩م.

١٦٥. السنان، حمد والعنجري، فوزي: أهل السنة الاشاعرة، شهادة علماء الأمة وأدلتهم، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت ٢٠٠٦م.

١٦٦. السيد، علاء الدين: كيف يسيطر اليهود على اقتصاد العالم، موقع ساسة بوست، https://www.sasapost.com/jews-control-world/. شوهد في ٢٠٢١/٥/١٩م.

١٦٧. شاخت، جوزيف وبوزورث، كليفورد، تراث الإسلام، ترجمة، حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٨.

١٦٨. الشاطري، محمد أحمد: أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر ط٣، المدينة المنورة ١٩٩٤م.

١٦٩. الشرقاوي، عبد الرحمن: أئمة الفقه التسعة، (د.ن) القاهرة ١٩٨٣.

١٧٠. الشرقاوي، عفت: في فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت١٩٨٥م.

١٧١. الشمالي، عبده: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية، دار صادر، بيروت١٩٧٩م.

١٧٢. شمسان، فوزية: روجيه جارودي، الرؤية والتغيير، صنعاء٢٠٠٣.

١٧٣. شهاب، محمد ضياء وعبد الله نوح: الإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق ماله ولنسله وللأئمة من أسلافه من الفضائل والمآثر، دار الشروق، جدة ١٩٨٤م.

١٧٤. الشيخ، رأفت: تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة٢٠٠٠.

١٧٥. شيخون، محمد: المصارف الإسلامية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٢.

١٧٦. الشيرازي، محمد الحسيني، آية الله العظمى: منتخب المسائل الإسلامية، لجنة الإمام المهدي للطباعة والنشر والترجمة،١٩٩٩ (د.ن).

١٧٧. الصافي، محمد حسين: انهيار الرأسمالية، الفوضى القادمة، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٤م.

١٧٨. الصافي، محمد حسين: دراسات في المنهج والفكر التاريخي، مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، صنعاء ٢٠١٦م.

١٧٩. صبحي، احمد محمود وجعفر، صفاء عبد السلام: في فلسفة الحضارة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٩م.

١٨٠. صبحي، احمد محمود: في علم الكلام، (د. ن)، الإسكندرية ١٩٧٨.

١٨١. صبحي، أحمد محمود: في فلسفة التاريخ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ٢٠٠٤م.

١٨٢. صلاح الدين احمد الادلبي: عقائد الأشاعرة، دار السلام٢٠١٠م، القاهرة.
١٨٣. طرابيشي، جورج: مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام، دار الساقي، بيروت ١٩٩٨م.
١٨٤. طوقان، قدري حافظ: النزعة العلمية في التراث العربي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الأول، العدد٣، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
١٨٥. عاشور، سعيد عبد الفتاح: بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، مراجعات لكتابات بعض المستشرقين المحدثين عن الإسلام وحضارته، عالم الكتب ط١، القاهرة ١٩٨٧م.
١٨٦. عاشور، سعيد: أوروبا العصور الوسطى، القاهرة١٩٨٦م.
١٨٧. عاقل، فاخر: مدارس علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م
١٨٨. عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، (د.ن)، القاهرة ٢٠١٧.
١٨٩. عبد الحميد، محسن: حقيقة البابية والبهائية، مكتبة المعارف، بغداد١٩٦٩.
١٩٠. عبد الرحمن بدوي: اشبنجلر، دار القلم، بيروت ١٩٨٢، ص٣ وما بعدها.
١٩١. عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت١٩٨٤م.
١٩٢. عبد القادر احمد اليوسف: العصور الوسطى الأوروبية، المكتبة العصرية، بيروت١٩٦٧م.
١٩٣. عبد الله محمد الحبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن، مكتبة الجيل الجديد ط١، صنعاء ١٩٧٦م.
١٩٤. عبد الله، عبد العزيز: العربية لغة العلم والحضارة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس، العدد ١-٢،١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.
١٩٥. عبد الله، يسري عبد الغني: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والابحاث، بيروت، المجلد١٥، العدد٥٨، ٢٠٠٨.

١٩٦. عبد المعطي، فاروق: ديفيد هيوم، الفيلسوف الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣م.
١٩٧. عبود، شوقي: معجم أدباء العالم، دار المؤلف للطباعة والنشر، وهران ٢٠١٦م.
١٩٨. عبيد، رءوف: الإنسان روح لا جسد، بحث في العلم الروحي الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٦.
١٩٩. العريني، السيد الباز: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٨٢.
٢٠٠. عزيزة فوال بابتي: موسوعة الاعلام العرب والمسلمين والعالميين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٩.
٢٠١. عماد الزغول: نظريات التعلم، دار الشروق الاردن، عمان ٢٠٠٩.
٢٠٢. عمارة، محمد: ابن رشد، فقيه الفلاسفة وفيلسوف الفقهاء، دار السلام، القاهرة ٢٠١٢م.
٢٠٣. غارودي، روجيه: العولمة المزعومة، تعريب: محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع، صنعاء ١٩٩٨م.
٢٠٤. غارودي، روجيه: نحو حرب دينية، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية للطباعة، بيروت ١٩٩٧.
٢٠٥. غانم، فضل: البنية القبلية في اليمن، (د.ن د. م) ١٩٨٥م.
٢٠٦. غرين، براين: الكون الأنيق، ترجمة فتح الله الشيخ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠٠٥م.
٢٠٧. الغماري، عبد الله بن صديق: فتح المعين بنقد كتاب الأربعين، مكتبة الامام النووي، عمان ١٩٩٠.
٢٠٨. الفار، جورج: آفاق فلسفية: أمكنة وأناس وأفكار، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١٢م.

٢٠٩. الفضلي، عبد الهادي: خلاصة علم الكلام، دار المؤرخ العربي ط٢، بيروت١٩٩٣.

٢١٠. فليي، جان شو: التصوف والمتصوفة، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق، بيروت١٩٩٩م.

٢١١. فورد، هنري: اليهودي العالمي، المشكلة العالمية الأولى، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة ابن سيناء، القاهرة ط١ ٢٠١٣.

٢١٢. فوزية شمسان: روجيه جارودي، الرؤية والتغيير، صنعاء٢٠٠٣م.

٢١٣. فياض، سليمان: الأئمة الأربعة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة ٢٠١١.

٢١٤. فيض الله، محمد فوزي: المذاهب الفقهية، دار القلم، دمشق ٢٠٠١م.

٢١٥. قاسم، محمود: أصول الرومانتيكية عند محيي الدين بن عربي، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد السادس عشر ،١٩٧١.

٢١٦. القاضي، محمد: رائد الاستعراب الاسباني المعاصر: أسين بلاثيوس، المجلة العربية، الرياض ٢٠١٠م.

٢١٧. القانص، غالب حميد: الفكر التربوي عند الزيدية في اليمن خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين)، مجلة ثوابت، صنعاء، العدد ٦٧، ٢٠١٢م.

٢١٨. قتيبة، شهاب: أديرة وكنائس دمشق وريفها، (د.ن)، دمشق ٢٠٠٥م.

٢١٩. قرم، جورج: تاريخ أوروبا وبناء الأسطورة، ترجمة: رلي ذبيان، دار الفارابي، بيروت ٢٠١١.

٢٢٠. القرني، متعب: أقطاب الفكر العربي، ١٩١٨-٢٠١٨، دار مدارك للنشر، الرياض ٢٠١٨م.

٢٢١. قواسمي، مراد: في معنى التاريخ عند نيتشة، دار الروافد الثقافية، بيروت ٢٠١٢م.

٢٢٢. كـار، ولـيم: اليهـود وراء كـل جريمـة، ترجمـة: خـير الله طلفـاح، (د.ن، د.م)، ١٩٨٢م.

٢٢٣. كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مكتبة المنصور للنشر والتوزيع، الكويت ٢٠١٦م.

٢٢٤. كسـنزاني، محمـد عبـد الكـريم: موسـوعة الكسـنزان فيمـا اصـطلح عليـه اهـل التصوف والعرفان، دار المحبة، دمشق ٢٠٠٥م.

٢٢٥. الكنـدهلوي، محمـد زكريـا: رسـائل في الـدعوة إلى الإسـلام، دار وحـي القلـم، دمشق٢٠١٠م.

٢٢٦. كوربان، هنري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، دار عويدات للطباعة والنشر، بيروت٢٠٠٤م.

٢٢٧. الكـيلاني، ماجـد عرسـان، هكـذا ظهـر جيـل صـلاح الـدين وهكـذا عـادت القدس، دار الفرقان، عمان ٢٠٠٣، ص١٧٧.

٢٢٨. المـالكي، حسـن بـن فرحـان: قـراءة في كتـب العقائـد، المذهب الحنبلي نموذجـا، (د.ن) الرياض ٢٠٠٤م.

٢٢٩. مجموعـة مـن الكتـاب: الموسوعة الميسرة في الأديـان والمـذاهب المعاصرة، النـدوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض١٩٩٩م.

٢٣٠. محمـود، عبـد الحلـيم: التفكـير الفلسـفي في الإسـلام، مطبعـة الإيمـان، القـاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٣١. محمـــود، عبـــد الحلـــيم: العـــارف أبـــو العبـــاس مرســـي، دار الكاتـــب العـــربي، القاهرة١٩٦٩م.

٢٣٢. محمود، عبد الحليم: المنقذ من الضلال، قضية التصوف، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٣م.

٢٣٣. محمود، مصطفى: عالم الأسرار، دار أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٢م.

٢٣٤. مستجاب، محمد: تراث يوسف زيدان، جريدة أخبار الأدب، القاهرة، ١٩٩٤/١٢/٢٥.

٢٣٥. مشروح، إبراهيم: طه عبد الرحمن قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت٢٠١٧م.

٢٣٦. المشهور، ابوبكر العدني ابن علي: إحياء لغة الإسلام العالمية، أربطة التربية الإسلامية، (د.م) ٢٠٠٥م.

٢٣٧. المشهور، ابوبكر العدني ابن علي: سلامة الدارين في دراسة مواقف السبطين العلمين ريحانتي رسول الله الإمام الحسن والإمام الحسين، الاربطة الإسلامية، (د.ن د. ت).

٢٣٨. المطاوعة، هدى: محيي الدين ابن عربي: ميراث الأمة المنسي، مجلة نزوى، مسقط، العدد الأربعون، أكتوبر٢٠٠٤.

٢٣٩. المنصوب، عبد العزيز سلطان: العارف بالله عبد الهادي السودي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤.

٢٤٠. منير، وليد: التصوف وسيكولوجية الحضور المتسامي بين الدافع والغاية – دراسة استكشافية – مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، العدد ٣٦، السنة التاسعة ربيع ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢٤١. الموسوي، حيدر يونس: المصارف الإسلامية، مؤسسة اليازوري للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١٨.

٢٤٢. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://www.mominoun.com/auteur/٤٤٢. اطلع عليه في ٢٠٢١/٤/٥م).

٢٤٣. ميلاد، زكي: الدفاع عن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية في زمن المحنة، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، السنة الخامسة عشرة، العدد٥٨، ٢٠٠٨م.

٢٤٤. ميلاد، زكي: فلاسفة المسلمين وفلاسفة أوروبا المحدثين هل من علاقة، مجلة المسلم المعاصر، مجلة دورية محكمة، بيروت، العدد ١٥٢، ٢٠١٤م.

٢٤٥. نبي، مالك: مشكلات الحضارة، القضايا الكبرى، دمشق، دار الفكر، بيروت٢٠٠٠م.

٢٤٦. الندوي، أبو الحسن علي: القادياني والقاديانية ثورة على النبوة المحمدية، المكتبة السلفية، القاهرة ١٩٥٥.

٢٤٧. الندوي، أبو الحسن علي: حول الاستشراق والمستشرقين، دار ابن كثير، بيروت ٢٠٠٢م.

٢٤٨. الندوي، أبو الحسن علي: ربانية لا رهبانية، دار القلم، دمشق ٢٠٠٢م.

٢٤٩. الندوي، أبو الحسن علي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، تعريب: سلمان الحسيني الندوي، دار القلم، دمشق٢٠٠٢م.

٢٥٠. نصر الله، جوزيف: منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي، المكتبة البولسية اللبنانية، بيروت ١٩٩١م.

٢٥١. هنتيجتون، صموئيل: صدام الحضارات وإعادة النظام العالمي، ترجمة: طلعت شايب، (د. ن) القاهرة ١٩٩٢م.

٢٥٢. هونكه، زيغريد: شمس العرب تستطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر بيروت (د. ت).

٢٥٣. هيجل، فردريك: العقل في التاريخ، ترجمة وتقديم وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت ٢٠٠٧م.

٢٥٤. ويدجيري، البان: المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت ١٩٧٩.

٢٥٥. اليافعي، عبد الفتاح قديش: التجسيم والمجسمة، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠١٠م.

٢٥٦. اليافعي، عبد الفتاح قديش: المنهجية العامة في العقيدة والفقه والسلوك، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء٢٠٠٧م.

٢٥٧. اليافعي، عبد الفتاح قديش: في الطريق إلى الألفة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ٢٠٠٩م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

٢٥٨. Abelard, Peter., Historica Calamitatum, The Story of my misfortunes, Translated by Henry Adams Bellwos, New York, ١٩٢٢.

٢٥٩. Herder, J. G., Another Philosophy of History and Selected Political Writings, Translated Evrigenis, I. D. and Pellerin, D., Indianapolis ٢٠٠٤.

٢٦٠. Ian, I., Sufism and Deconstruction: A Comparative Study of Derrida and Ibn Arabi. London: Routledge, ٢٠٠٤.

٢٦١. Marenbon, J., Philosophy of Peter Abelard, Cambridge ٢٠١٠ .

٢٦٢. Morley, J., Voltaire, London ١٩٢٣

٢٦٣. Piaget, J., Play, Dreams, and Imitation in Childhood, London ٢٠٠٣.

٢٦٤. Shahzad, Qaiser, Accommodating Trinity, A Brief Note on Ibn Arabi's Views, Journal of Ecumenical Studies, Vol.٤٨, No.١, Winter ٢٠١٣.

٢٦٥. Wiber, M., Max Weber, Translated by Harry Zohn, New Yourk ٢٠٠٩.



نشأة الفكر الإسلامي، النبي وظهور علوم الاسلام

علوم القرآن وقضية البدعة

علوم الحديث وهجوم المستشرقين

علم الفقه وأصوله وأهمية المذاهب وحيويتها المتجددة

علم التصوف المفترى عليه ومدارس التربية الروحية

قضية وحدة الوجود في تاريخ الفكر الإسلامي

علم الكلام والدفاع عن الاسلام

في الفكر السياسي، تعدد الخيارات

حركة التدافع تحكم التاريخ الإسلامي، والقدرة على الاستمرار

الفكر الإسلامي والتحولات التاريخية الكبرى

المدارس الإسلامية التاريخية والجماعات الإسلامية المعاصرة:

تاريخ الفكر الإسلامي من خلال نظرية النبض الكلي

تاريخ الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي في العصور الوسطى، قراءة مقارنة

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث. فرع صنعاء. ش صنعاء، الستين الغربي.

ت ٧١٥١٠١٣٣١/٧٧٩٢٦٠٩٢٨.

